إقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

شبهات المتوسلين
عرض ونقض

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالبة: مي بنت أحمد بن محمد حسن سكيك

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ:2014/9/23

الجامعة الإسلامية- غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



شبهات المتوسلين

عرض ونقض

إعداد الطالبة
مي بنت أحمد بن محمد حسن سكيك

إشراف الأستاذ الدكتور
جابربن زايد بن عيد السميري

قدمت هذه الرسالة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة

1435هـ- 2014م





الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا　　　هاتف داخلي 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref

التاريخ 2014/04/15م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **مي أحمد محمد حسن سكيك** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

شبهات المتوسلين – عرض ونقض

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 15 جمادى الآخر 1435هـ، الموافق 2014/04/15م الساعة الواحدة ظهراً بمبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. جابر زايد السميري	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. خالد حسين حمدان	**مناقشاً داخلياً**	....
د. سلمان نصر الداية	**مناقشاً داخلياً**	....

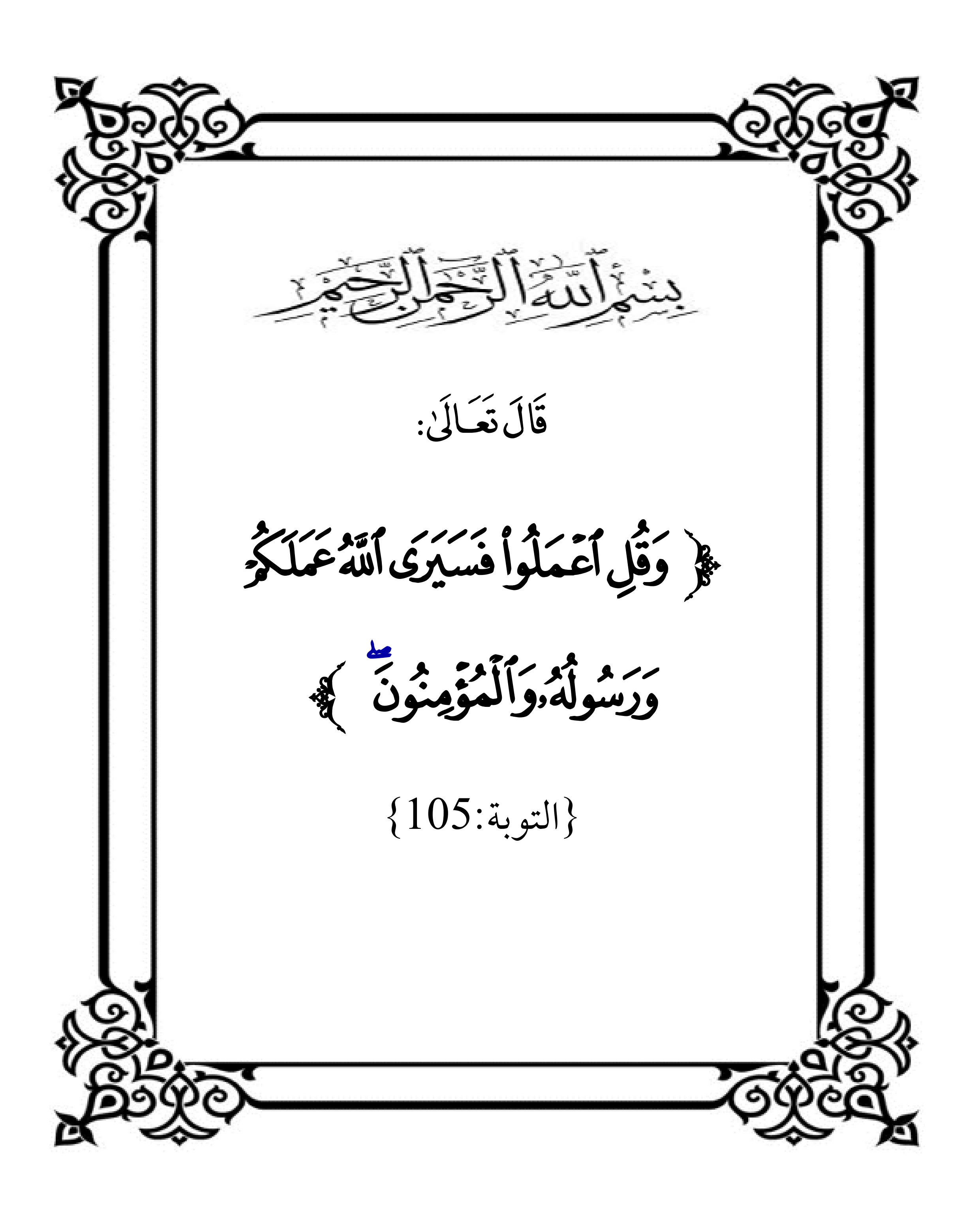
وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم العقيدة الإسلامية.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي وللدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز


بسم الله الرحمن الرحيم
قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾
{التوبة:105}



إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين

سيدنا محمد ﷺ

إلى ملاكي في الحياة .. إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني .. إلى بسمة الحياة وسر الوجود .. إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

أمي الغالية

إلى من كلل العرق جبينه.. وشققت الأيام يديه ... إلى من علمني أن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار .. إلى والدي أطال الله بقاءه بالعمل الصالح، وألبسه ثوب الصحة والعافية، ومتعني ببره ورد جميله، أهدي ثمرة من ثمار غرسه

أبي الغالي

إلى الروح التي سكنت روحي ورفيق دربي ... إلى من سار معي نحو الحلم.. خطوة بخطوة بذرناه معاً.. وحصدناه معاً ... وسنبقى معاً.. بإذن الله

جزاك الله خيراً... زوجي الفاضل: ناصر إسماعيل حجازي

إلي فرح الحياة ونورها أبنائي وبناتي وأزواجهم الأفاضل

إلى توأم روحي.. إلى صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة

أختي المعلمة الفاضلة : مها

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى إخواني المهندسين

(ماهر، مازن، محمد، محمود، مراد)

إلى من علمونا حروفاً من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى عبارات في العلم إلى من صاغوا لنا علمهم حروفاً ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح

أساتذتنا الكرام

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي .. إلى من تحلين بالإخاء وتميزن بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهن سعدت، إلى من كن معي على طريق النجاح

صديقاتي العزيزات

إلي كل من يقع نظره على هذا الجهد المتواضع قارئاً أو طالب علم

أهديكم هذا العمل المتواضع عسى أن يجعله الله علماً نافعاً وعملاً مقبولاً

شكر وتقدير

أحمد الله ﷻ كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى وأرفع إليه أسمى آيات الحمد والثناء حتى يرضى، وأسجد لله العظيم شكراً وحمداً على ما غمرني به من سداد وتوفيق، و على ما منحني به من صبر وتثبيت، حتى تم إنجاز هذه الرسالة التي أسأل الله أن تكون شمعة على الطريق، تنير الدرب لكل طالب علم منيب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي هذه الأمة وقدوة الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين . .

الشكر والتقدير والاعتراف بالفضل والجزاء من الله لأولي العلم وأرباب المعرفة، أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذتي الكرام خاصة بالذكر المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور/ جابر بن زايد بن عيد السميري والذي ما بخل عليّ بوقته وعلمه وتوجيهاته وتوصياته، حتى خرجت إلى حيز النور بدرجة من الدقة والموضوعية كما أتوجه بالشكر والتقدير للأستاذين الفاضلين اللذَين تفضلا بمناقشة هذه الرسالة كلٍ من:

الدكتور الفاضل/ سلمان بن نصر الداية حفظه الله.

الدكتور الفاضل/ خالد بن حسين حمدان حفظه الله.

وكذلك شكري الخاص للأستاذ الدكتور/ نافذ بن حسين حماد ، والأستاذ / محمد المظلوم، أسأل الله لهم التوفيق والسداد.

و أقدم شكري وتقديري للقائمين على هذا الصرح الشامخ – الجامعة الإسلامية رئاسة وإدارة وعاملين – ، فجزاهم الله كل الخير.

كما يسرني أن أتقدم في هذا المقام بجزيل الشكر والعرفان إلى والديّ لحسن تربيتهما ودعائهما لي بالنجاح في كل شئون حياتي وأموري العلمية والعملية أدامهما الله وأطال عمرهما بالعمل الصالح، وإلى أختي التى لم تنسني من الدعاء على الرغم من بعد المسافات، حيث تتقارب النفوس بدعواتها التي أنارت لي الطريق، والي إخواني الذين ساندوني مادياً ومعنوياً، فلهم جميعاً خالص الشكر والتقدير لما بذلوه من عون، جزاهم الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير لأهلي المتواجدين معي والذين قدموا لي كل الدعم.

كما أتقدم بالشكر إلى زوجي "أبو محمد " الذي كان مرافقاً ومسانداً لي طيلة كتابة هذه الرسالة، حيث تحمل جزءاً كبيراً من أعباء الحياة لنتقاسم سوياً ثمرة هذا النجاح، وإلى بناتي: (أنفال، تسنيم، نعمة، صابرين، أبرار)، وأبنائي: (محمد، أحمد، محمود)، أمل الحياة ونبض الكتابة لأجلهم كانت المثابرة وبين عيونهم تخطيت بأمل.

كما لا أنسى صديقاتي اللواتي أعتز بهن لهن مني كل الشكر والتقدير .

وأخيراً تقف كلمات الشكر عاجزة أن تفي بما في النفس من الامتنان والتقدير لكل من ساندني لإكمال رسالتي، وتبقي الساحة قاصرة على استيعاب أولئك جميعاً، وابتهل إلى المولى ﷻ أن يجزي كل من لم يرد اسمه لما نصحني وأرشدني ولو بجزء بسيط لإنجاز هذا العمل المتواضع، فلهم مني كل التقدير والعرفان سائلة المولى العلى القدير أن يجزيهم خير الجزاء، وأدعو الله لهم بالتوفيق جميعاً لما يحبه ويرضاه.

الباحثة/ مي بنت أحمد بن محمد حسن سكيك

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:158].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً*يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: 71.70] .

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدَثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار وبعد:

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع نبيه ﷺ وأوجب علينا طاعته فقال الله تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:80] وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:7].

إن المحبة الحقيقية للرسول ﷺ بالاتباع لا بالابتداع؛ لذا يجب علينا اتباع الرسول ﷺ في كل ما أمرنا به واجتناب ما نهانا عنه، ولهذا أشار ﷺ بقوله: (إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان[1]، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا[2]، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم[3]، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق)[4].

---

(1) النذير العريان: الذي تجرد من ثوبه ورفعه بيده إعلاما لقومه بالغارة عليهم. ضرب به النبي ﷺ المثل لأمته لأنه تجرد لإنذارهم، انظر: حاشية صحيح البخاري، تعليق مصطفى البغا، ج 8، ص 101.

(2) فأدلجوا: من الإدلاج وهو السير في الليل أو أوله، المصدر نفسه.

(3) فاجتاحهم: استأصلهم وأهلكهم، المصدر نفسه.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: الاقتداء بسنن الرسول ﷺ، ج8، ص101، رقم7283، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه =

لقد انتشر التوسل المبتدع كثيراً بين الناس، وكذلك عبر صفحات الشبكة العنكبوتية التي يتابعها العلماء والعوام، فيقع العوام وبعض العلماء في هذا التوسل المبتدع ويعتقدون بصحته، وحين نناقش هذه الظاهرة نرى أن المتوسلين الذين يتوسلون بالتوسل البدعي يستشهدون بكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ؛ لإثبات مايعتقدونه عن طريق فهمهم الخاطئ للآيات والأحاديث النبوية الصحيحة أو باستدلالهم بالأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ لذا فالأمل كبير في أن تعي جميع الفئات من المتوسلين التوسل البدعي حقيقة التوسل، وذلك بالتمعن الصحيح والتفسير السليم للآيات والأحاديث النبوية؛ لأن بتوسلهم المبتدع يظلمون أنفسهم ويظلمون من يتبعهم شر ظلم.

أولاً: أهمية البحث:

1. تظهر أهمية البحث في أنه يبحث ظاهرة أصبحت منتشرة بين الناس، وبشكل كبير عند الفرق في التاريخ الإسلامي والمذاهب الإسلامية ألا وهي التوسل بذات النبي ﷺ وبجاهه، وبجاه الأولياء الصالحين، وغير ذلك من التوسل البدعي.
2. ما رأيته بين الناس أنهم يتوسلون بالنبي ﷺ وبجاهه وببركته، وكذلك يتوسلون بالصالحين ظناً منهم لقبول الدعوة أسرع، لما لهم من شأن عظيم عند الله ﷻ.
3. لقد تأثر بعض المسلمين بهذه الشبه التي تثار، فكان لزاماً على طلبة العلم وأهله كشف هذه الشبه، وبيان فسادها للناس أجمعين.
4. مما يكسب هذه الرسالة أهمية أني لخصت فيها كتباً كثيرة، فهي خلاصة جهود علماء كبار، وعصارة كتب متفرقة.

ثانياً: أهداف البحث:

1. التعريف بمفهوم التوسل والوسيلة وبيان التوسل الحق الذي أقره الشرع، وبيان ماهية التوسل والتبرك والتشفع والاستغاثة.
2. بيان العقيدة الصحيحة في التوسل الحق، قال تعالى :﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[يونس: 35].

=صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، عدد الأجزاء: 9.

3. بيان التوسل الباطل والشبهات التي اعتمد عليها المتوسلون، والرد عليها من الكتاب والسنة ومن أقوال العلماء والفقهاء من أهل السنة والجماعة.
4. الرد على أهل البدع والأهواء الذين ينتسبون للدين الإسلامي، ويشككون الناس بدينهم، وكذلك الرد على المعاصرين الذين تأثروا بهذه الشبه وبدأوا يرددونها، وذلك من باب الجهاد لقول النبي ﷺ: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)[1].
5. كشف شبه المتوسلين من أهل البدع والأهواء، وبيان أنها ترديد لما أورده أئمتهم السابقون.

ثالثا: منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي[2].

رابعاً: طريقة البحث:

لقد اجتهدت اجتهاداً كبيراً في محاولة حصر أهم الشبهات؛ حيث جمعت ما أمكنني من كتب تهتم بموضوع التوسل، فبحثت في الإنترنت وقمت بتنزيل الكثير من الكتب، ودخلت الكثير من المواقع المتخصصة، فاتضح لي أن حصر أهل البدع والأهواء من الصعوبة بمكان؛ فبعضهم مشاهير، وبعضهم مغمور لا يعرف، فتسميته والرد عليه تشهير له، وبعضهم بل أكثرهم مردّد لما قيل سابقاً، فاتجهت لحصر الشبهات– مع عدم إغفال ذكرهم إن وجدوا لاسيما المشاهير منهم – وهذا أيضاً منهج نبوي فقد كان النبي ﷺ يرد على الخطأ لا على المخطئ، بقوله : (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا)[3]، فكانت الطريقة المتبعة هو التالي:

---

(1) أخرجه أبي داود في سننه، ك: الجهاد، ب: كراهية ترك الغزو، ج3، ص10، رقم2504، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عدد الأجزاء: 4، وأخرجه النسائي في سننه، ك: الجهاد، ب: وجوب الجهاد، ج6، ص7،رقم3096، المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية 1406– 1986، عدد الأجزاء: 9، حكم الألباني: صحيح.

(2) وهو وصف منظم للحقائق، ولميزان مجموعة معينة أو ميدان من ميادين المعرفة المهمة بطريقة موضوعية وصحيحة، انظر: كتاب دليل البحث والتقويم التربوي أحمد الخطيب وآخرون، صفحة62، طبعة1985م.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحج، ب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤونة، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، ج 2، ص 1020، رقم 1401، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: 5.

1. ليس من منهجي أن أجمع كل ما أثير، بل أجمع أهم هذه الشبهات التي قد يقع فيه اللبس عند بعض الناس، وهذه الشبهات وقعت بسبب جهلهم باللغة، أو سوء فهمهم، أو تحريف المعنى، أو الكذب، أو الدعوى المجردة عن الدليل، فذكر هذا يكفي في إبطاله.
2. من أكثر الكتب التي جمعت في هذا الباب كتابان:

- كتاب البكري وهو أول من قال بالجواز بالتوسل بجميع الأنبياء عليهم السلام والصالحين أحياء وأمواتاً، ولكن الكتاب لم يصل إلينا إلا من خلال ردود شيخ الاسلام ابن تيمية عليه في كتابه الاستغاثة في الرد على البكري.
- كتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام للسبكي.

اعتمد الباحث في النقل على كتب ومراجع المذاهب الإسلامية المعتمدة، وكذلك البحث على الكتب والأبحاث المعاصرة في هذا المجال، وكذلك من الشبكة العنكبوتية إن وجد، كل ذلك من خلال العناصر الآتية:

- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية وكتابتها في المتن، وتمييز الآيات بوضعها بين هلالين.
- إن كان الحديث في أحد الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما، وأما إذا كان في غير الصحيحين فأتوسع في تخريجه من باقي كتب السنة، واعتمدت أحكام المعاصرين في الحكم على الحديث مثل الشيخ الألباني والشيخ شعبة الأرنؤوط رحمهما الله تعالى.
- توثيق الكتاب كاملاً عند أول اقتباس منه، وذلك بذكر اسم الكتاب، اسم المؤلف، ثم اسم المحقق أو المترجم حال وجوده، رقم الطبعة، دار النشر، بلد النشر، تاريخ النشر، إن وجد، ثم رقم الجزء والصفحة.
- في حالة الاقتباس من نفس الكتاب، يكون التوثيق بذكر الكتاب، ورقم الصفحة فقط.
- ترجمت في الحاشية للأعلام المغمورين، كما بينت معاني الألفاظ الغريبة.
- الفهارس: فهرست للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وترتيبها حسب ورودها في الرسالة، وفهرست الأعلام، وفهرس المراجع والمصادر بالترتيب الهجائي، وفهرس الموضوعات.
- أشرت إلى الجزء (ج)، والصفحة (ص)للاختصار.
- وضعت بعض الرموز للاختصار عند تخريج الأحاديث وهي: كتاب (ك)، باب (ب).

خامساً: الصعوبات التي واجهتني:

- كثرة الكتب التي ألفت في هذا الموضوع قديماً وحديثاً، وصعوبة حصرها.
- محاولة الاطلاع على الكثير من الكتب التي أُلف في هذا الباب؛ لمعرفة كل ما قيل فيه؛ حتى أثبت أن شيخ الإسلام ابن تيمية ليس هو أول من منع التوسل بالنبي محمد ﷺ، كما ذكر ذلك الفقيه علي السبكي في كتابه شفاء السقام ونص عبارته : "اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار"[1].

سادساً: الدراسات السابقة:

لقد تناول كثير من العلماء قديماً وحديثاً موضوع التوسل، وكانوا يدرجونه تحت بند التوحيد أو مواضيع أخرى، ومن الذين كتبوا فيه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– وغيره من العلماء القدامى، وكذلك العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني– رحمه الله – وهما من أهل السنة والجماعة، وكذلك الكثير من علماء المعاصرين، ولكن لم أجد أن أحداً كتب بحثاً محكماً ومستقلاً في شبهات المتوسلين، بالنسبة للرسائل العلمية فلقد اطلعت على الإنترنت ووجدت رسائل بالعناوين الآتية في جامعات السعودية :

1. التوسل أنواعه وحكمه ، عبد الكريم بن محمد الحميدي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
2. التبرك المشروع والتبرك الممنوع، ناصر بن حميدان بن ناحي العوفي الجامعة الإسلامية.
3. موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من تقديس الأماكن والأزمان، أبو بكر صار.
4. رسالة أخرى ولكن في بغداد جامعة المستنصرية، وهي مفهوم التوسل في الفكر الإسلامي لمحمد خليل إبراهيم.

---

(1) شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي الشافعي(المتوفى: 756هـ)، المحقق: حسين محمد علي شكري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى 1977م، ص357.

سابعاً: أسباب اختيار البحث:

استمداد فكرة البحث أنه لما يسر الله تعالى لي أن أبحث موضوع لرسالتي في مرحلة الماجستير، ومن خلال بحثي عن موضوع يكون في مجال دراستي لهذه المرحلة لقد اقترحه عليَ فضيلة الأستاذ الدكتور جابر السميري، فاعتمدت هذا الموضوع مع قناعتي التامة فيه؛ لأن موضوع التوسل اضطرب الناس فيه اضطراباً كبيراً، واختلفوا فيه اختلافاً عظيماً، فمن العلماء من اعتبره مسألة عقدية أي من أصول الدين، ومنهم من جعله مسألة فقهية أي من فروع الدين، و أما في زمن القرون الأولى كانوا ينسبون أحكام الدين من قبيل أنه سنة أم بدعة، و ثار حوله الجدل، واشتد الخلاف فيه، وورود شبهات كثيرة تحتاج إلى عرض ونقض.

لأجل ذلك شرعت في كتابة هذا البحث وقسمته إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وبها أهم النتائج والتوصيات.

خطة البحث:

المقدمة وتشمل:

1. أهمية البحث.
2. أهداف البحث.
3. منهج البحث.
4. طريقة البحث.
5. الصعوبات التي واجهتني.
6. الدراسات السابقة.
7. أسباب اختيار البحث.

التمهيد ويشمل:

أولاً: ماهية التوسل.

ثانياً: ماهية الاستغاثة

ثالثاً: ماهية الشفاعة.

رابعاً: ماهية التبرك.

الفصل الأول

ماهية الشبهات

المبحث الأول: تعريف الشبهات.

المطلب الأول: تعريف الشبهات لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أول شبهة وقعت في الخليقة.

المبحث الثاني: التوسل بين أهل السنة والجماعة وأهل البدع والأهواء.

المطلب الأول: أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: أهل البدع والأهواء.

المبحث الثالث: الأمور التي أوقعت المتوسلين في الشبهات.

المطلب الأول: خلطهم والتباسهم في مفهوم الحقوق والعبادة.

المطلب الثاني: التقليد واتخاذه مذهباً وديناً.

الفصل الثاني

أقسام الشبهات حسب الأدلة النقلية

المبحث الأول: أدلتهم من القرآن الكريم، وفهمهم الخاطئ لتفسير الأيات.

المطلب الأول: الشبهة الأولى: استدلالهم بقوله تعالي: ﴿ **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ** ﴾ دليل على التوسل بالأنبياء.

المطلب الثاني: الشبهة الثانية: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾.

المطلب الثالث: الشبهة الثالثة: استدلالهم بقوله تعالى : ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ**﴾.

المبحث الثاني: أدلتهم من الأحاديث النبوية الصحيحة وفهمهم الخاطئ لها.

المطلب الأول: الشبهة الرابعة: حديث الشفاعة الذي في الصحيحين.

المطلب الثاني: الشبهة الخامسة: حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما.

المطلب الثالث: الشبهة السادسة: حديث الضرير.

المطلب الرابع: الشبهة السابعة: الاستدلال بحديث ربيعة بن كعب رضي الله عنه.

المطلب الخامس: الشبهة الثامنة: حديث أن الأنبياء أحياء في قبورهم.

المبحث الثالث: الاستدلال بالأحاديث الضعيفة.

المطلب الأول: الشبهة التاسعة: حديث : (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم ...).

المطلب الثاني: الشبهة العاشرة: حديث : (أن آدمَ ﷺ لما أكلَ من الشجرةِ قالَ: يا رب أسألُكَ بحقِّ محمدٍ إلا ما غفرتَ لي).

المطلب الثالث: الشبهة الحادية عشرة: حديث كوة القبر.

المطلب الرابع: الشبهة الثانية عشرة: حديث "إذا سألتم الله فسألوه بجاهي".

المطلب الخامس: الشبهة الثالثة عشر: الاستسقاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث

الشبهات العقلية

المبحث الأول: الاستدلال بالقياس.

المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: الشبهة الرابعة عشر: قياس الخالق على المخلوق.

المطلب الثالث: الشبهة الخامسة عشر: قياس التوسل بالذوات على التوسل بالعمل الصالح.

المطلب الرابع: الشبهة السادسة عشر: قياس التوسل بذات النبي محمد ﷺ على التبرك بآثاره.

المطلب الخامس: الشبهة السابعة عشر: قياس الحياة البرزخية أو الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية.

المبحث الثاني: الاستدلال بالمعقول.

المطلب الأول: تعريف العقل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الشبه الثامنة عشر: التوسل بالوسائط الإلهية تحكيم لسلطان الله على سلطان العبد.

المطلب الثالث: الشبهة التاسعة عشر: الاختلاف في المراتب الوجودية.

الخاتمة :

فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج خلال البحث، والتوصيات.

الفهارس:

1. فهرس الآيات.
2. فهرس الأحاديث.
3. فهرس الأعلام.
4. فهرس المصادر والمراجع.
5. فهرس الموضوعات .

وأخيراً فإني أسأل الله العظيم أن يرزقني السداد وخدمة دينه وإعلاء كلمته، وأرجو منه سبحانه أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع بحسن الجزاء إنه هو مجيب الدعاء.

التمهيد

ويشمل:

أولاً: ماهية التوسل.

ثانياً: ماهية الاستغاثة

ثالثاً: ماهية الشفاعة.

رابعاً: ماهية التبرك.

أولاً: ماهية التوسل :

مفهوم التوسل مأخوذ من تعريفه وأركانه وأنواعه، فالتوسل والوسيلة في اللغة تفعل من مادة (وس ل)، ولهما معانٍ مختلفة منها :

1. "ما يتقرَّب به إلى الغير، والجمع الوَسيلُ والوَسائِلُ، والتوسيل والتَوَسُّلُ واحد، يقال: وَسَّلَ فلانٌ إلى ربّه وَسيلَةً، وتوَسَّلَ إليه بوَسيلَةٍ، أي: تقرَّب إليه بعمل، والتوسل: السرقةُ، يقال: أخذ فلان إبلي تَوَسُّلاً، أي سرقه، والرغبة، والواسِلُ: الراغب إلى الله " [1].
2. الذريعة، و المنزلة عند الملك، والدرجة [2].
3. " توسل فلَان إِلَى الله تَعَالَى وسل وَإِلَى فلَان بِكَذَا تقرب إِلَيْهِ بِحرْمَة آصرة تعطفه عَلَيْهِ" [3].

هناك عدة معانٍ لغوية للتوسل والوسيلة، لايسعني ذكرها كلها في هذا البحث؛ لذلك اخترت من هذه المعاني مايدعم هذا الموضوع، وبالرجوع إلى الكتب [4] وجدتهم قد تحدثوا عن مفهوم

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ- 1987م، عدد الأجزاء: 6، ج5، ص1841.

(2) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة- 1414 هـ، عدد الأجزاء:15، ج11، ص724.

(3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، ج2، ص1032.

(4) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: دار الصميعي (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية)، الطبعة: الأولى- 1416 هـ- 1996 م، عدد الأجزاء: 3، ج3، ص1448، وانظر: كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان التميمي (المتوفى: 1285هـ)، المحقق: عبدالعزيز بن عبدالله الزير آل حمد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع ،الطبعة: 1193هـ- 1285هـ ،عدد الأجزاء: 1، ص217، وانظر: فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: الكويت، الطبعة: الثانية، 1423هـ/2003م، عدد الأجزاء: 3، ج2، ص84، وانظر: تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، الناشر: دار العصيمي للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء:1، ص490، وانظر: غاية الأماني في الرد على النبهاني، أبوالمعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: 1342هـ)، المحقق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1422هـ- 2001م، عدد الأجزاء: 2، ج1، ص362.

التوسل والوسيلة في الاصطلاح بكلام كثير، ولكنني من خلال هذا الاطلاع أستطيع أن أقسم مفهوم التوسل إلى مفهوم عام ومفهوم خاص؛ لأن لفظة التوسل من الألفاظ المجملة لقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن لفظ الوسيلة والتوسل فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه، ويعطى كل ذي حق حقه، فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه، وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه" (1)، وكذلك من شرطيّ قبول العمل:

الأول: تجريد الإخلاص لله وحده، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلاَّ الله.

الثاني: تجريد المتابعة للرسول ﷺ، وهو مقتضى شهادة أنَّ محمداً رسول الله ﷺ.

المفهوم العام لم يشترط فيه أن تكون الوسيلة بما شرعه الله تعالى للعباد، بل بأي وسيلة يعتقد صاحبها أنها ترضي الله ﷻ، وأما المفهوم الخاص يشترط فيه أن تكون الوسيلة شرعية حتى ننال رضى الله، ولا نصل إلى ذلك إلا بالمتابعة والأخذ بالسنة، قال تعالى:﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء: 80]، وبيان ذلك ما يلي :

المفهوم العام للتوسل:

هو اتخاذ الشيء قربة إلى الله تعالى، ولكن بوسيلة لم ترد في السنة الصحيحة، فأخلت بالشرط الثاني لقبول العمل، وفي هذا التوسل وقع الالتباس وعدم الفهم الصحيح في هذه المسألة، وهو التوسل البدعي(2).

المفهوم الخاص:

مراعاة اتخاذ الشيء قربة إلى الله تعالى في موافقة الشرع ، وهو التوسل المشروع.

الوسيلة في القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة : 35]، قال الطبري- رحمه الله- : "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله

---

(1) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: مكتبة الفرقان – عجمان، الطبعة: الأولى (لمكتبة الفرقان) 1422هـ- 2001هـ، عدد الأجزاء: 1، ص84 .

(2) انظر: مجلة البحوث الإسلامية- مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد الأجزاء: 88، ج94، ص109.

فيما أخبرهم، ووعد من الثواب، وأوعد من العقاب، و(اتقوا الله) يقول: أجيبوا الله فيما أمركم، ونهاكم بالطاعة له في ذلك، و(وابتغوا إليه الوسيلة) يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه"[1]، وهذا التفسير يؤيد المفهوم الخاص للتوسل.

وقوله سبحانه: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء : 57]، يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه، ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضرّ ينزل بكم، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم، أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك، ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم، وهؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أرباباً (يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) يقول: يبتغي المدعوّون أربابا إلى ربهم القُربة والزُّلفة، لأنهم أهل إيمان به، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) أيهم بصالح عمله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة (وَيَرْجُونَ) بأفعالهم تلك (رَحْمَتَه) ويَخافُونَ أمره (عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ) يا محمد (كان مَحْذورًا) متقي[2].

ويظهر مما سبق أن المراد بالوسيلة الشرعية: ما يتقرب به إلى الله تعالى بالاجتهاد في عبادته وبكل ما يحبه ويرضاه.

أركان التوسل :

1. مُتَوَسِّل: وهو الفاعل للتوسل ليصل إلى مقصده.
2. تَوَسُّل: وهو الفعل الذي يباشره المتوسِّل.
3. متوسل به: وهو الوسيلة الموصلة إلى المقصود.
4. متوسل إليه: وهو المقصود.

أقسام التوسل:

ينقسم التوسل من جهة المشروعية وعدمها إلى توسل مشروع، وتوسل ممنوع:

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ- 2000 م، عدد الأجزاء:24، ج10، ص291.

(2) انظر: جامع البيان، ج 17، ص471.

القسم الأول: التوسل المشروع (الحق):

وهو التقرب إلى الله ﷻ بفعل الطاعات، وترك المنكرات، وابتغاء رضاه ﷻ.

والوسيلة الشرعية: هي التقرب إلى الله تعالى بما يحب من الاعتقادات، والأعمال، والأقوال، والتي أمر الله الخلق بابتغائها(1).

والمتدبر لكتاب الله ﷻ يجد أن القرآن الكريم قد أبان في مواضع كثيرة منه السبل المشروعة في التوسل إلى الله ﷻ، وهذه السبل هي أنواع التوسل المشروع:

1 - التوسل إلى الله ﷻ بالتوحيد وبالإيمان الصادق الصحيح.

2 - التوسل إلى الله تبارك وتعالى بما شرع من أعمال صالحة.

3 - التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا.

4 - التوسل إلى الله ﷻ بدعاء الصالحين الأحياء من عباده.

5 - التوسل إلى الله تعالى بحال المتوسِل .

وهي بحمد الله تعالى بينة واضحة في كتاب ربنا الذي ما فرط الله ﷻ فيه من شيء، قال تعالى :﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام :38]، والتوسل إلى الله ﷻ والتقرب إليه بعمل يحبه الله ويرضاه، واجتناب موجبات سخطه، هو ما كان عليه جميع الرسل والنبيين عليهم الصلاة والسلام، ولقد توسلوا إلى الله ﷻ بوسيلة يبتغون رحمة الله ويخافون عذابه، دون اللجوء أوالتوسل ببعضهم البعض، أوالتوسل بذات النبي محمد ﷺ، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة الأدلة الكافية لهذا.

(أ) التوسل إلى الله ﷻ بالتوحيد وبالإيمان الصادق الصحيح:

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ**

(1) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ج3، ص1448.

إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ. رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[إبراهيم:35-39]، يذكرالله تعالى في هذا المقام محتجا على مشركي العرب، بأن البلد الحرام مكة إنما وضعت أول ما وضعت على عبادة الله وحده لا شريك له، وبين دلائل التوحيد؛ فذكرقول إبراهيم ؏: إنه طلب من الله أن يصونه عن الشرك، وطلب منه أن يوفقه للأعمال الصالحة وأن يخصه بالرحمة والمغفرة في يوم القيامة، والقصد من هذا الدعاء هو الإخلاص لله تعالى وابتغاء رضاه[1]، إن إبراهيم الخليل عليه الصلاة السلام في دعائه هذا ليتوسل إلى ربه ﷻ بتوحيده له، ويسأله أن يثبته على التوحيد، وأن يبعده وبنيه عن عبادة الأصنام، ويتوسل كذلك بطاعته لربه واستجابته لأمر مولاه، وهذا توسل بإ خلاص العبودية لله تعالى[2].

قال تعالى:﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:16]، قال الإمام الرازي رحمه الله: اعلم أنه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: ربنا إننا آمنا ثم إنهم قالوا: بعد ذلك فاغفر لنا ذنوبنا، وذلك يدل على أنهم توسلوا بمجرد الإيمان إلى طلب المغفرة، والله تعالى حكى ذلك عنهم في معرض المدح لهم، والثناء عليهم، فدل هذا على أن العبد بمجرد الإيمان يستوجب الرحمة والمغفرة من الله تعالى، ونظير هذه الآية قوله تعالى في آخر هذه السورة: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: 193]، حيث جعل مجرد الإيمان وسيلة إلى طلب المغفرة.[3]

قال تعالى:﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْـمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]، وهذه الآية حكاية عن أصحاب رسول الله ﷺ عند ما أعلنوا استسلامهم لأمر الله ﷻ، واستعدادهم التام للمسارعة إلى ما يطلب منهم، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وقوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه، وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه ﴿غفرانك ربّنا﴾ سؤال للمغفرة والرحمة واللطف"[4].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص513، 514.

(2) انظر: التوسل في كتاب الله عزوجل، طلال بن مصطفى عرقسوس، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون، 124- 1424هـ/2004م، عدد الأجزاء: 1، ص 36.

(3) انظر: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الرازي (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة- 1420 هـ، ج 7، ص 156- 166.

(4) تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص736.

وفي قوله تعالى حكاية عن الحواريين أتباع عيسى عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:52،53]، قال الإمام الرازي رحمه الله:" واعلم أنهم لما أشهدوا عيسى عليه السلام على إيمانهم، وعلى إسلامهم تضرعوا إلى الله تعالى، وقالوا: ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، وذلك لأن القوم آمنوا بالله حين قالوا: في الآية المتقدمة آمنا بالله ثم آمنوا بكتب الله تعالى حيث قالوا آمنا بما أنزلت وآمنوا برسول الله حيث قالوا: واتبعنا الرسول فعند ذلك طلبوا الزلفة والثواب"[1].

الخلاصة:

من خلال ما أوردناه من أدلة يتضح لنا، إن سؤال المؤمنين لربهم كان بالإيمان والتوحيد الخالص لله عز وجل والاتباع، واتباع الله عز وجل واتباع الرسول ﷺ من أعظم ما يتقرب به إلى الله عز وجل، ويتوسل به إليه لغفران الذنوب وتكفير السيئات، وليس التوسل بالذوات الشريفة، أو بجاههم واللجوء إليهم كما يفعل أهل البدع والشبهات.

(ب) التوسل إلى الله عز وجل بما شرع من أعمال صالحة:

1. الصلاة هي أعظم ما يتوسل به المرء من الأعمال الصالحة بعد توحيده لربه؛ لأنها تجمع بين أنواع من العبادة، فهي تشتمل على: تلاوة القرآن، وعلى ذكر الله عز وجل، والدعاء، والتذلل، والخشوع، والإنابة، والرجاء، والتضرع، والاستكانة؛ فلذا كانت من أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه جل وعلا، وحقّ للمصلي أن يدعو مولاه، وأن يستجيب له ربه، قال الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً. وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾ [الإسراء:78-80]، قال الطبري رحمه الله:" وتأويل الكلام: أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها، ومن الليل فتهجد فرضا فرضته عليك، لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاما تقوم فيه محمودا تحمده، وتغبط فيه، وعسى من الله واجبة؛ لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه[2]، وقال

---

(1) مفاتيح الغيب، ج 8، ص 234-235.

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج17، ص526.

الرازي رحمه الله: وبالجملة فقد سأل الله تعالى أن يرزقه التقوية على من خالفه بالحجة وبالقهر والقدرة، وقد أجاب الله تعالى دعاءه، ولما سأل الله النصرة بين الله له أنه أجاب دعاءه فقال: وقل جاء الحق وهو دينه وشرعه- وزهق الباطل وهو كل ما سواه من الأديان والشرائع[1]، فهذا أمر من الله ﷻ لرسوله ﷺ، وهو تعليم للأمة يدلّ على أن الصلوات المفروضة من أعظم ما يتوسل به العبد إلى ربه تبارك وتعالى.

2. البر بالوالدين، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْـمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:15]، إنه حال رجل عرف إنعام ربه عليه، فهو يرى نعم الله عليه تترى، وبعد أن أطاع الله فيما أمره، وهو البر بالوالدين، طلب من الله تعالى وسأله، قال الرازي رحمه الله: اعلم أنه تعالى حكى عن هذا الداعي أنه طلب من الله تعالى ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يوفقه الله للشكر على نعمه.

الثاني: أن يوفقه للإتيان بالطاعة المرضية عند الله.

الثالث: أن يصلح له في ذريته.

وبعد أن طلب هذه الأشياء الثلاثة، كان عاقبة هذا التوسل قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: 16]، فبين تعالى بقوله:﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا﴾ أن من تقدم ذكره ممن يدعو بهذا الدعاء، ويسلك هذه الطريقة التي تقدم ذكرها نتقبل عنهم أحسن ماعملوا[2].

هناك آيات عظيمة وجليلة وكثيرة توضح أن الأعمال الصالحة هي من أعظم ما يتوسل به العبد، ومن أراد أن يستزيد فلينظر في كتاب التوسل في كتاب الله ﷻ، للمؤلف طلال بن مصطفى عرقسوس، وكتاب التوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي.

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب، ج21، ص389.

(2) انظر: مفاتيح الغيب، ج 28، ص20-21.

أما الدليل من السنة النبوية الصحيحة عن جواز التوسل بالأعمال الصالحة وهو حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار، وهو في الصحيحين وغيرهما، فإن الصخرة انطبقت عليهم، فقالوا: ليدع كل رجل منكم بأفضل عمله، فهؤلاء دعوا الله سبحانه بصالح الأعمال، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قال: (بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون، إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله ياهؤلاء، لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز، فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا، وأنه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من ذلك الفرق فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما، فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم، من أحب الناس إلي، وأني راودتها عن نفسها فأبت، إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها، فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا)[1]، وحديث ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: (سل، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أو غير ذلك» قلت: هو ذاك، قال: (فأعني على نفسك بكثرة السجود)[2]، يدل الحديث على أن كثرة السجود بإخلاص هي الوسيلة في قضاء الحاجة ونيل المسؤول، وهذا ما علمه الرسول ﷺ للصحابي الجليل رضي الله عنه.

(ج) التوسل إلى الله تعالى وبأسمائه الحسنى وصفاته العلا:

ودليله قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: 180]، في هذه الآية أمر من الله ﷻ أن ندعوه بأسمائه

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: حديث الغار، ج4، ص172، رقم3465، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الرقاق، ب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، ج4، ص2099، رقم2743، لكن بلفظ آخر.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الصلاة، ب: فضل السجود والحث عليه، ج1، ص353، رقم489.

الحسنى، قال السعدي رحمه الله: "فقال تعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلا: اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم" [1]، وتطبيق هذا الأمرما ذكره الله في القرآن الكريم على لسان الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام،وهو توسل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إذ أخذا يقولان:﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: 128]، قال الرازي رحمه الله: النسك هو التعبد، يقال للعابد ناسك، وسمي أعمال الحج مناسك، قال ﷺ وهو في حجة الوداع: (خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا)[2]، فإن حملنا المناسك على ما يرجع إليه أصل هذه اللفظة من العبادة والتقرب إلى الله تعالى، واللزوم لما يرضيه وجعل ذلك عاما لكل ما شرعه الله تعالى لإبراهيم ﷺ فقوله: وأرنا مناسكنا أي علمنا كيف نعبدك، وأين نعبدك وبماذا نتقرب إليك حتى نخدمك به كما يخدم العبد مولاه [3]، وتقاولا هذا الدعاء العظيم الذي توسلا فيه أيضاً بأسماء الله الحسنى، وصفاته العليا.

وكذلك توسل موسى وهارون عليهما السلام قال تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: 150،151]، ألا ما أعظمه من دعاء توسّل به موسى ﷺ فيه بكون الله ﷻ هو أرحم الراحمين، وهوتوسل بأسماء الله الحسنى، وصفاته العليا.

وهناك العديد من الأدلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ما يدل على أن التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا من أفضل ما يتوسل به العبد[4].

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م، عدد الأجزاء: 1، ص 309.

(2) أخرجه النسائي في سننه، ك: مناسك الحج، ب: الركوب إلى الجمار واستظلال المحرم، ج5، ص270، رقم3062، حكم الألباني: صحيح، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحج، ب: استحباب رمي جمرة العقبة، ج2، ص943، رقم 1297، بلفظ آخر.

(3) انظر: مفاتيح الغيب، ج4،ص 55-56.

(4) انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع، محمد نسيب الرفاعي، مؤسس الدعوة السلفية وخادمها بحلب، الطبعة: الثالثة، 1399هـ، 1979م، ص23-177.

أما الأدلة من السنة الصحيحة، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه قال للنبي ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: (قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم)[1]، هكذا علم النبي ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم .

(د) التوسل إلى الله ﷻ بدعاء الصالحين الأحياء من عباده:

من التوسلات الصحيحة النافعة التوسل إلى الله ﷻ بدعاء الصالحين، فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام عند ما دعا أباه إلى الإسلام والتوحيد فأصر على عقيدته الباطلة، وأبى الاستجابة لابنه، فما كان من الخليل عليه السلام إلا أن وعد أباه بأن يدعو الله ﷻ؛ ليعفو عنه، ويغفر له هذه الخطيئة الكبرى، ولو لم يعلم إبراهيم عليه السلام أن دعاءه لأبيه مشروع، وأنه وسيلة مقبولة عند الله ﷻ لما وعد أباه بالدعاء له[2]، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً. إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً. قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً. وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً﴾ [مريم: 41-48]، قال ابن عطية: " وقوله تعالى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ﴾ معناه : سأدعو الله تعالى في أن يهديك فيغفر لك بإيمانك وهذا أظهر من أن يتأول على إبراهيم الخليل ﷺ أنه لم يعلم أن الله لا يغفر لكافر، وقد يجوز أن يكون إبراهيم عليه السلام أول نبي أوحي إليه أن لا يغفر لكافر؛ لأن هذه العقيدة إنما طريقها السمع، فكانت هذه المقالة منه لأبيه قبل أن يوحى إليه ذلك" [3].

وموقف إخوة يوسف عليه السلام عند ما تبين لأبيهم خطأ ما عملوا، وندموا غاية الندم على فعلتهم تلك، فطلبوا من أبيهم نبي الله يعقوب عليه السلام أن يدعو الله لهم، فوعدهم بذلك، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الدعوات، ب: الدعاء في الصلاة، ج8، ص72، رقم6326.

(2) انظر: التوسل في كتاب الله عزوجل، ص60.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى– 1422 هـ، ج4، ص19.

أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف:97-98]، الدليل من السنة الصحيحة، عن أنس رضي الله عنه، قال: (بينا النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقام رجل فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يسقينا، فتغيمت السماء ومطرنا، حتى ما كاد الرجل يصل إلى منزله، فلم تزل تمطر إلى الجمعة المقبلة، فقام ذلك الرجل أو غيره، فقال: ادع الله أن يصرفه عنا فقد غرقنا، فقال: (اللهم حوالينا ولا علينا فجعل السحاب يتقطع حول المدينة، ولا يمطر أهل المدينة)(1)، وفي هذا ما فيه من الدلالة على جواز التوسل بدعاء عباد الله المؤمنين، وليس بذواتهم.

(هـ) التوسل إلى الله تعالى بحال المتوسِل :

وهو توسل أبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام عندما عصيا ربهما بطاعتهما لعدو الله إبليس، فندما غاية الندم فقالا: ﴿ **قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [الأعراف: 23]، قال أبو جعفر: "وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجاباه به، واعترافهما على أنفسهما بالذنب، ومسألتهما إياه المغفرة منه والرحمة " (2)، إنه موقف النادم على المعصية، العائد إلى ربه، المعترف بذنبه، المتذلل بين يدي مولاه يطلب رحمته وصفحه، وحق لمن كان بهذه الحال أن يعفى عنه، وأن يتجاوز عن سيئاته.

وكذلك توسل أيوب عليه السلام لما ابتلي بما ابتلي به، قال تعالى: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾** [الأنبياء:83-84]،قال السعدي رحمه الله: " فنادى ربه: رب ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾، فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة فاستجاب الله له" (3)، ولما كان دعاؤه دعاء المتضرع الخائف الذليل الموقن بإجابة ربه له قال ﷻ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرّ﴾ بل وزاده الله ﷻ، وأعطاه أكثر مما طلب ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾.

وكذلك توسل النبي زكريا عليه السلام قال تعالى:﴿ **وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الدعوات، ب: الدعاء غير مستقبل القبلة، ج 8، ص74، رقم 6342.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، ج12، ص 356.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص528.

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 89-90]، قال ابن كثير رحمه الله: "إن هذا دعاء وثناء مناسب للمسألة، وقوله:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: في عمل القربات وفعل الطاعات، ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ قال الثوري: ﴿ رَغَبًا ﴾ فيما عندنا، ﴿وَرَهَبًا ﴾ مما عندنا، ﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ قال ابن عباس: أي مصدقين بما أنزل الله، وقال مجاهد: مؤمنين حقا، والدليل من السنة الصحيحة، وهو ما ذكرته آنفاً، وهو حديث أبو بكر الصديق رضي الله عنه في جواز التوسل بأسماء الله ﷻ وصفاته العلا، ويلاحظ أن ما في هذه الأدلة بيان عملي لما في قول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 35]، ومن هنا يتأكد لنا أن التوسل لله ﷻ لا يكون إلا بالوسيلة والطريقة التي ارتضاها، وجهد يقوم به المرء يبتغي به وجه ربه، لا توسل العاجزين الذين يتطلعون إلى أعمال غيرهم، ومنازل سواهم، فيتوسلون بها وهو التوسل البدعي، وهذا محور البحث لأبين ما فيه من شبه والتباس.

القسم الثاني: التوسل غير المشروع (الممنوع):

وهو التوسل الذي لم يرد له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولا عمل الصحابة والتابعون به.

أنواع التوسل الممنوع:

الأول: التوسل البدعي:

1. التوسل بالنبي ﷺ بعد مماته بذاته وبجاهه وبحقه، أو بغير ذلك.
2. الإقسام على الله بالنبي محمد ﷺ بعد مماته، وذلك كأن يقول القائل مثلاً: اللهم أتوسل إليك بنبيك، أو اللهم بجاه نبيك اغفر لي، والقَسم على الله بالرسول ﷺ أو بحقه، أو بحق الأنبياء عليهم السلام، وبحق الصالحين بدعة.

الثاني: التوسل الشركي:

وهو اتخاذ الأموات وسائط في العبادة، وهو ما يسميه المشركون توسلاً وهو التقرب إلى المخلوقين بالدعاء والخوف والرجاء والطمع ونحو ذلك، كطلب الحاجات من الرسول ﷺ ودعائه لكشف الضر أو رفع الشدة وبث الشكوى إليه، وإلى غير ذلك من ألوان الشرك الذي حرمه الله ورسوله[1].

(1) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرءوف محمد عثمان، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة – الرياض، الطبعة: الأولى، 1414هـ، عدد الصفحات: 330، عدد الأجزاء: 1، ص271-273، والتوصل إلى حقيقة التوسل، ص184-185.

ثانياً: الاستغاثة

الاستغاثة لغة:

مصدر استغاث، وهو مأخوذ من الغوث وهو النصر والعون، يقال: استغثته فأغاثني. وطلب الإغاثة، ولم يجيئ استغاث في القرآن إلا متعدياً بنفسه، قال اللّه تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**﴾ [الأنفال:9]، ولام المستغاث به مفتوحة، ولام المستغاث منه مكسورة، كقول عمر ﷺ لما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي: (يا لَلَّهِ لِلمسلمين)[1] .

وتكون بمعنى الدعاء، قال الله تعالى: ﴿**وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ [البقرة:23].والاستصراخ لقول الله تعالى:﴿ **مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ** ﴾[إبراهيم:22]، أي : بمغيثكم. [2]

"هي نداء من يخلص من شدة، أو يعين على مشقة" [3].

الاستغاثة اصطلاحاً:

"هي طلب الغوث: وهو إزالة الشدة، كالاستنصار: طلب النصر، والاستعانة: طلب العون"[4]

---

(1) انظر: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني (المتوفى: 390هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى 1426 هـ- 2005 م، عدد الأجزاء: 1، ص56.

(2) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)،المحقق: عدنان درويش- محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، عدد الأجزاء: 1، ص 114، انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ)،المحقق: د حسين بن عبد الله العمري- مطهر بن علي الإرياني- يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق– سورية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ- 1999 م، عدد الأجزاء: 11، ج8، ص5034، ج4، ص2101، وانظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عددالأجزاء:4، ج4، ص41، وانظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، عدد الأجزاء: 2، ج2، ص42.

(3) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي(المتوفى: 749هـ)، شرح وتحقيق:عبدالرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر: دار الفكر العربي،الطبعة: الأولى 1428هـ- 2008م، عدد الأجزاء: 3، ج3، ص1110.

(4) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، ج1، ص103.

"هي طلب الغوث من الله تعالى من جلب خير، أو دفع شر، وهي نوع من أنواع العبادة التي لا تصح إلا لله سبحانه وتعالى"[1].

أقسام الاستغاثة:

القسم الأول: الاستغاثة المشروعة:

هي التي نص عليها الشرع، ولها نوعان؛ لأنه لا يُعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله...، ومن خالف ما ثبت بالكتاب والسنة فإنه يكون: إما كافراً، وإما فاسقاً، وإما عاصياً، إلا أن يكون مؤمناً مجتهداً مخطئاً فيثاب على اجتهاده ويغفر له خطؤه، وكذلك إن كان لم يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحجة فإن الله يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء:15]، وأما إذا قامت عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها، فإنه يعاقب بحسب ذلك إما بالقتل وإما بدونه والله أعلم[2].

أنواع الاستغاثة المشروعة:

1. الاستغاثة بالحق سبحانه وتعالى: وهي طلب الغوث من الله ﷻ، في كل أمور حياتنا كإنزال المطر، وهداية القلوب وغفران الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال: 9].

2. الاستغاثة بالمخلوق في كل ما يقدر عليه: وهي طلب إزالة الشدة من المخلوق في الأسباب الظاهرة والأمور الحسية العادية، كالاستنصار بالحاضر القوي على قتال، أو دفع عدو صائل، أو سبع مفترس، وغيرها من الأمور المقدور عليها، وهي بأمر من الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْر﴾ [الأنفال:72]، وكذلك في قصة موسى عليه السلام: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص:15]، مع ملاحظة أنه لا بد من توفر شرطين وهما:

أ- شرط في المستغاث فيه، بأن يكون مما يقدر المخلوق على الإغاثة في مثله.

ب- وشرط في المستغاث به، بأن يكون حياً حاضراً.

---

(1) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، حققه ورتبه: أبو مصعب، محمد صبحي بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن، عدد الأجزاء: 12، ج1، ص90.

(2) انظر: مجموع الفتاوي، ج1، ص112-113.

فلو تخلف شرط منهما خرجت الاستغاثة عن حيز الجواز إلى حيز الشرك أو الابتداع[1].

القسم الثاني: الاستغاثة غير المشروعة:

هي التي لم يرد بها نص شرعي، كالاستغاثة بغير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله، كغفران الذنوب، لقول الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ [آل عمران:135]، والهداية حيث خاطب النبي محمد ﷺ قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [القصص:56]، وكذلك طلب الرزق والمطر، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ [فاطر:3].

والاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته، والاستغاثة بالأولياء الصالحين، كلها استغاثات باطلة لقول ابن تيمية رحمه الله : من توسّل إلى الله تعالى بنبيّه في تفريج كربة فقد استغاث به، سواء كان ذلك بلفظ الاستغاثة أو التّوسّل أو غيرهما ممّا هو في معناهما، وقول القائل: أتوسّل إليك يا إلهي برسولك أو أستغيث برسولك عندك أن تغفر لي: استغاثة حقيقيّة بالرّسول في لغة العرب وجميع الأمم، والتّوسّل بالرّسول استغاثة به، وهذا لا يجوز إلّا في حياته وحضوره لا في موته ومغيبه[2]، لذلك لابد أن تكون الاستغاثة من الحي الحاضر ومما يقدر عليه من الأمور العادية.

---

(1) انظر: حاشية الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، ج1، ص309.

(2)انظر : مجموع الفتاوي، ج 1، ص101-106.

ثالثاً: الشفاعة

الشفاعة لغة:

من مادة (شفع) الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين، من ذلك الشفع خلاف الوتر. تقول: كان فردا فشفعته. قال الله جل ثناؤه: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: 3]، قال أهل التفسير: الوتر الله تعالى، والشفع الخلق [1].

وشفعت في الأمر شفعاً وشفاعة: طالبت بوسيلة، واستشفعت به: طلبت الشفاعة[2].

والشفع: خلاف الزوج، وهو خلاف الوتر، تقول: كان وتراً فشفعته شفعاً، والشفعة في الدار والأرض، والشفيع: صاحب الشفعة وصاحب الشفاعة[3].

استشفع: طلب الناصر والشفيع، ويقال استشفع فلاناً وبه، وتشفع: له شفع، يقال: تشفع لفلان إلى فلان في الأمر وبه إليه، أي: توسل به إليه، واستشفع إلى فلان واستشفع في الأمر وعليه، الشافع: صاحب الشفاعة، الشفاعة: كلام الشفيع[4].

الشفاعة اصطلاحاً:

" هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه"[5].

" هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، والشفاعة يوم القيامة نوعان: خاصة بالنبي ﷺ وعامة له، ولغيره "[6].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)،المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ- 1979م،عدد الأجزاء: 6، ج3،ص201.

(2) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: 2 (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد)، ج1،ص317.

(3) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج3،ص 1238.

(4) انظر: المعجم الوسيط، ج1، ص 487.

(5) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ – 1983م، عدد الأجزاء: 1، ص127.

(6) تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) المحقق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الطبعة: الثالثة 1415هـ- 1995م ،عدد الأجزاء: 1، ج1، ص128.

يقول ابن تيميه رحمه الله: "الشفاعة هي الدعاء، ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع، والله قد أمر بذلك، لكن الداعي الشافع ليس له أن يدعو ويشفع إلا بإذن الله له في ذلك، فلا يشفع شفاعة نهى عنها، كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة:113-114]" [1]، وقال أيضاً: "وكل داع شافع دعا الله سبحانه وتعالى وشفع، فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء الله وقدره ومشيئته، وهو الذى يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة، فهو الذى خلق السبب والمسبب، والدعاء من جملة الأسباب التي قدرها الله سبحانه وتعالى" [2]، وأما عن سبب استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه لقد تبين سابقاً في جواز التوسل بالرجل الصالح.

المفهوم الصحيح للشفاعة:

هو أنه يجوز أن يستشفع بالنبي ﷺ في الدنيا في حياته كما في قصة الأعرابي في جواز التوسل بدعاء الصالحين، وقصة الأعمى المعروفة عند أهل السنن – وسوف أذكرها عند الرد على الشبهات –، كما يشفع ﷺ يوم القيامة، ومعنى الشفاعة في كلتا الدارين لا يخرج من أنه طلب الدعاء، ويلتقي معنى التوسل والشفاعة عند هذا المعنى بالذات، ومما يؤيد ذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا يستشفعون به في حياته، وقد عدلوا عن التوسل والاستشفاع به عليه الصلاة والسلام بعد وفاته فجعلوا يتوسل بعضهم ببعض ويستشفع بعضهم ببعض، فعدولهم رضوان الله عليهم عنه واستشفاع بعضهم ببعض يؤيد أن معنى الاستشفاع أو التوسل هو طلب الدعاء من الحي الصالح[3].

---

(1) الواسطة بين الحق والخلق، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)،المحقق: محمد بن جميل زينو، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: 1، ص31-33.

(2) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(3) انظر: تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: 1415هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الحادية عشرة، العدد الثاني غرة ذي الحجة، عام 1398هـ/1978م، عدد الأجزاء: 1، ص94-99.

ويتضح من ذلك أن الشفاعة هي دعاء وطلب وسؤال الغير أي: أنها بمعنى التوسل ولقد تحدثنا عن التوسل والاستغاثة ودعمناهما بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وثبت من الأدلة أن التوسل بفلان هو طلب الدعاء منه لتقضى حاجاتنا عند الله، فالاستشفاع بالنبي عليه الصلاة والسلام في حياته أو التوسل به هو طلب الدعاء منه، وهذا أمر لا نزاع فيه لدى الصحابة وأتباعهم، وقد كان الصحابة يستشفعون به في عدة مناسبات، مثل مناسبة القحط ليغيثهم الله بدعائه عليه الصلاة والسلام في حياته فقط، وكذلك هو طلب دعاء من الرجل الصالح، أو بالعمل الصالح وليس فيه توسل بالذوات، إنما هو طلب لأمر مشروع ومن باب التعاون على البر والتقوى لقول الله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[المائدة:2]، ومن باب النصيحة أيضاً كما أوضحنا سابقاً لا من باب التوسل بالذوات.

رابعاً: التبرك

التبرك لغة:

من مادة برك،" الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء"[1].

البَرَكَةُ: "ثبوت الخير الإلهي في الشيء"[2].

" النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء بالبركة" [3].

" برك عليه: أي دعا له بالبركة" [4].

التبرك اصطلاحاً:

هو طلب البركة، والتبرك بشيء ما: طلب البركة بواسطته أو طلب حصول الخير بمقاربة ذلك أو ملابسته[5].

أقسام التبرك:

القسم الأول: التبرك المشروع :

هو ما ثبت بنص شرعي على جوازه، وتكون البركة دينية ودنيوية معاً، أو على أحدهما[6].

الأمثلة على ما فيه البركة الدينية والدنيوية معاً :

1. القرآن الكريم، فإن فيه خيري الدنيا والآخرة، عن عثمان بن عفان، قال: قال النبي ﷺ: (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه)[7].

---

(1) مقاييس اللغة، ج1، ص227.

(2) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، الطبعة: الأولى- 1412هـ، ج1، ص119.

(3) الصحاح، ج4، ص1575.

(4) شمس العلوم ودواء كلام العرب من لكلوم، ج1، ص505.

(5) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر بن عبد الرحمن بن محمد بن جديع، الناشر: مكتبة الرشيد- الرياض، الطبعة: عام1411هـ، ص30-39.

(6) انظر: المصدر السابق، ص43.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: فضائل القرآن، ب: فضل القرآن على سائر الكلام، ج6، ص190، رقم 5028.

2. الرسول ﷺ، فإنه يحصل بسبب طاعته واتباعه الكثير من الأجر و المزيد من الثواب، كما كان يتبرك الصحابة رضوان الله عليهم به في حياته أو بشيء من آثاره، كالتبرك بشعر النبي ﷺ وريقه وما انفصل من جسمه ﷺ، فذلك خاص به ﷺ وفي حال حياته فقط.
3. الشرب من ماء زمزم، حيث أن الله تعالى خصه بخصائص شريفة، وجعله أفضل ماء على وجه الأرض، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال في قصة الإسراء والمعراج: أن رسول ﷺ قال: (... فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده، حتى أنقى جوفه....)[1]، يدل ذلك على بركة ماء زمزم، يقول العيني رحمه الله:" وفيه فضيلة ماء زمزم على جميع المياه"[2].
4. ومجالسة الصالحين، وصيام شهر رمضان، والسحور، وغير ذلك لا يسعني ذكرهم في هذا البحث ومن أراد الاستزادة فليقرأ كتاب التبرك وأنواعه وأحكامه للجديع[3].

من الأمثلة على ما فيه البركة الدينية : المساجد الثلاثة : المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى)[4].

من الأمثلة على ما فيه البركة الدنيوية: المطر، حيث يشرب الناس منه، وسائر الدواب، وتنبت الأشجار والثمار، وتكثر الخيرات، عن النبي ﷺ قال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)[5].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التوحيد، ب: قوله:(وكلم الله موسى تكليماً)، ج4، ص149، رقم 7517.
(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج17، ص24.
(3) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه، وهذه مفاهيمنا، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الناشر: إدارة المساجد والمشاريع الخيرية الرياض، الطبعة: الثانية 1422هـ-2001م، عدد الأجزاء:1، ص215-228.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجمعة، ب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ج2، ص60، رقم 1189، وأخرجه مسلم، ك: الحج، ب: لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد، ج2، ص1014، رقم 1397.
(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: العلم، ب: فضل من علِم وعلم، ج1، ص27، رقم79، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفضائل، ب:بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم،ج4، ص1787، رقم 2282.

القسم الثاني: التبرك غير المشروع:

مظاهر التبرك الممنوع:

1. التبرك بقبر الرسول ﷺ، وطلب الدعاء منه أو الشفاعة عند قبره، كأن يقول الشخص: يا رسول الله استغفر الله لي، ادع الله أن يغفر لي، أو يهديني، أو ينصرني، فهذا وما شابهه من البدع التي تؤدي إلى الشرك؛ لأنه من باب الاستغاثة بالمخلوق بما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى.

2. أداء بعض العبادات عند القبر النبوي، أو القبور عامة، يقول ابن تيمية رحمه الله: " ولو كان للأعمال عند القبر فضيلة لفتح للمسلمين باب الحجرة؛ فلمَّا منعوا من الوصول إلى القبر، وأمروا بالعبادة في المسجد، علم أن فضيلة العمل فيه لكونه في مسجده، كما أن صلاة في مسجده بألف صلاة فيما سواه، ولم يأمر قط بأن يقصد بعمل صالح أن يفعل عند قبره ﷺ"[1].

3. التمسح بالقبر وتقبيله، ونحو ذلك، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: (لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا)، قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أني أخشى أن يتخذ مسجداً)[2].

الخلاصة:

إن التبرك مشروع في الإسلام، ومشروعيته منضبطة، حيث إن الله تعالى أوضح لنا الأمور التي يستحب أو يجب طلب البركة منها، فالتبرك بالآثار والأشخاص أحياءاً وأمواتاً لا يجوز؛ لأن طلب البركة تكون ممن يقدر عليها وهو الله الواحد الأحد، حيث إنه تبارك وتعالى هو المختص والمستحق طلب البركة منه؛ لأنه هو المبارك وهو على كل شيء قدير .

لقد ذكرت كل مسألة مصحوبة بدليلها؛ ليتضح أمرها وتتجلى حقيقتها، واقتصرت على مذهب أهل السنة والاتباع، وأهملت أقوال أهل الأهواء والابتداع، لأن الضد يعرف بضده ويخرج بتعريض ضابطه وحده، فإذا طلعت الشمس لم يفتقر النهار إلى استدلال، وإذا استبان الحق واتضح فما بعده إلا الضلال.

---

(1) مجموع الفتاوي، ج27، ص236–237.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجنائز، ب: ما يكره في اتخاذ المساجد على القبور، ج2، ص88، رقم1330، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ب: النهي عن بناء المساجد على القبور، ج1، ص376، رقم 528.

الفصل الأول

ماهية الشبهات

المبحث الأول: تعريف الشبهات.

المبحث الثاني: التوسل بين أهل السنة والجماعة، وأهل البدع والأهواء.

المبحث الثالث: الأمور التي أوقعت المتوسلين في الشبهات.

المبحث الأول
تعــريــف الشبــهـــات

ويشتمل على مطلبين:

المطلــب الأول: تعريــف الشــبهة والالتبــاس لغــة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أول شبهة وقعت في الخليقة.

المطلب الأول
تعريف الشبهة والالتباس لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف الشبهة لغة واصطلاحاً.

الشبهة لغة:

من مادة شبه، وتجمع على شُبُهات وشُبْهات وشُبَه أي: التباس، غموض، شكّ، فقول: شُبه عليه الأمر: أبهمه عليه حتى اشتبه بغيره، والشيء بالشيء مثله، وأقامه مقامه لصفة مشتركة بينهما، شبه عليه وله: لبس، قال تعالى: ﴿وَمَاقَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:157]

اشتبه الأمر عليه: اختلط وفي المسألة شك في صحتها، وتشابهاً واشتبهاً: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، ومنه قوله تعالى: ﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾[الأنعام:99]، وبقراءة أخرى قال تعالى: ﴿مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾[الأنعام:141]، وقال تعالى:﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:70]، وأمور مشتبهة ومشبهة أي: مشكلة، ملتبسة، يشبه بعضها بعضا[1].

الشبهات اصطلاحاً:

قال السنيكي [2] : " الشبهة التردد بين الحلال والحرام"[3].

قال الإمام أحمد – رحمه الله –: "هو الشيء بين الحلال والحرام"؛ لقول رسول الله ﷺ: (إن الحلال بّين والحرام بّين وبينهما شبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعَرضه ومن واقعها واقع الحرام)[4]، قال النووي – رحمه الله– :" وأما المشتبهات فمعناه : أنها

---

(1) انظر: المعجم الوسيط، ج 1، ص 471، وتاج العروس، ج 36، ص 411، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، ج 2، ص 1162.

(2) هو: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعيّ، أبو يحيى: شيخ الإسلام. قاض مفسر، من حفاظ الحديث. ولد في سنيكة (بشرقية مصر) وتعلم في القاهرة، (823–926)هـ، انظر: الأعلام، ج3 ،ص46 .

(3) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411، عدد الأجزاء: 1، ص77.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، ك:الطلاق، ب: أخذ الحلال وترك الشبهات،ج3،ص121،رقم1599، وأخرجه البخاري في صحيحه، ك:الإيمان، ب: فضل من استبرأ لدينه،ج1،ص20،رقم 52، ولكن بلفظ آخر، انظر: الورع، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، رواية: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي (المتوفى: 275هـ)، المحقق: سمير بن أمين الزهيري، الناشر: دار الصميعي– الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ– 1997م، عدد الأجزاء: 1، ص55، رقم156.

ليست بواضحة الحِّل ولا الحرمة؛ فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يعلمون حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك، فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة، ولم يكن فيه نص ولا إجماع، اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي، فإذا الحقه به صار حلالاً، وقد يكون دليله غير خال عن الاحتمال البين فيكون الورع تركه"[1].

الخلاصة:

الأصل في الشبهات الشبه، وهي من الالتباس بين الأمرين، والرسول ﷺ أوضح ذلك في الحديث المذكور سابقاً، ثم قال: (لا يعلمها كثير من الناس)، فأفاد بمفهوم المخالفة[2]: إن هناك قليلاً من الناس يميز هذه الشبهات، وهم العلماءُ المجتهدون، ويؤيد ذلك قول ابن حجر [3] : "ومفهوم قوله: (كثير) أن معرفة حكمها ممكن لكن للقليل من الناس وهم المجتهدون فالشبهات على هذا في حق غيرهم وقد تقع لهم حيث لا يظهر لهم ترجيح أحد الدليلين"[4] .

ورد في القرآن الكريم، ذكر المحكم والمتشابه، وللعلماء عدة تعاريف منها:

المحكم: ما عرف العلماء تأويله، وفهموا معناه وتفسيره.

المتشابه: ما لم يتلق معناه من لفظه، وهو على ضربين:

أحدهما: إذا رد إلى المحكم عرف معناه.

الآخر: ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته، فالمتبع له مبتدع ومتبع للفتنة لأنه لا يكاد ينتهي إلى شيء تسكن نفسه إليه[5].

---

(1) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392، عدد الأجزاء: 18، ج11، ص 27-28 .

(2) مفهوم المخالفة: هو ما يخالف حكمه المنطوق، مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ)،الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ- 2000م، عدد الأجزاء:1، ص260.

(3) هو: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، (773-852)هـ ،انظر: الأعلام، ج1،ص178 .

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة- بيروت، 1379، التحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: 13، ج1، ص127.

(5) انظر: المعجم الوسيط :ج1، ص471، وتاج العروس، ج 36 ،ص 411، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ج2، ص 1162، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص199.

الشبهات التي يحصل فيها الالتباس على نوعين:

1. ما يحصل بسبب الجهل وقلة العلم وقلة المعرفة، وقد يحصل من شخص أن يقع في التباس في فهم الآية، أو في فهم الحديث، ويكون عنده هذا المعنى معنى مشكل؛ والسبب قصور في العلم لديه، وقد يطرأ هذا لأي مسلم، تشتبه عليه أمور تحدث عنده أشياء يظنها حقا، وهي ليس كذلك، وهذا يحصل لأغلب الناس.
2. الشبهات التي تنطوي على: سوء القصد، وسوء النية واتباع الهوى، وتقديم العقل والهوى على النص، فأصحاب هذه الشبهات هم الذين يصفهم العلماء بأنهم أهل البدع والأهواء؛ الذين تستبين لهم الأدلة، وتتضح لهم الحجج؛ ومع ذلك يصرون على الباطل الذي لديهم.

ويؤكد ذلك ما قاله ابن الجوزي [1] : "اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل، فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة، وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم؛ لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم، فأول تلبيسه عليهم إيثارهم التعبد على العلم، والعلم أفضل من النوافل، فأراهم أن المقصود من العلم العمل، وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح"[2].

ثانياً: تعريف الالتباس لغة واصطلاحاً:

الالتباس لغة: وهي من مادة ل ب س: اللام والباء والسين أصل صحيح واحد، يدل على مخالطة ومداخلة[3]، من ذلك لبست الثوب ألبسه، وهو الأصل، ومنه تتفرع الفروع، لبس الثوب يلبسه بالفتح، لبسا بالضم، ولبس عليه الأمر خلط وبابه ضرب، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ**﴾[الأنعام:9]، أي: خلطنا عليهم كما خلطوا [4]، ولها عدة معان هي:

---

(1) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها،(508- 597) هـ، انظر: الأعلام ،ج3،ص 316.

(2) انظر: تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، الناشر: دار القلم بيرزت لبنان، الطبعة: 1403 هـ، عدد الأجزاء: 1، ص130.

(3) مقاييس اللغة، ج5، ص 230.

(4) انظر: تفسير القرآن للسمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م، ج1، ص 72.

1. **التدليس:** وفي الأمر لُبسة بالضم أي: شُبهة يعني ليس بواضح، والتبس عليه الأمر اختلط واشتبه، والتلبيس كالتدليس والتخليط شد د للمبالغة[1].
2. **التمويه:** التلبيس والمخادعة وتزيين الباطل [2].
3. **التعمية:** اللبس وهو الخلط والتعمية، قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾[البقرة:42]، ولبس يلبس لبساً، من التلبيس أو اللبس أي: خلط عليه أمره [3].
4. **الإشكال والتخليط:** التلبيس: التخليط والإشكال [4].
5. **شكّ وشبهة وحيرة:** ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[ق:15]، لَبْس: مفرد، مصدر: لبَسَ/ لبَسَ على [5].
6. **الالتباس** : احتمال اللّفظ أو العبارة لأكثر من معنى، وقد يكون اللّبس نتيجة للتعقيد اللفظيّ[6].

تعريف الالتباس اصطلاحاً:

قال الجرجاني[7] : " التلبيس: ستر الحقيقة وإظهارها بخلاف ما هي عليه" [8].

قال ابن الجوزي: " التلبيس: إظهار الباطل في صورة الحق، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والرديء جيداً؛ وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه، ويزيد تمكنه منهم، ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم، وجهلهم وعلمهم"[9].

---

(1) انظر: مختار الصحاح، ص278.

(2) تاج العروس، ج36،ص 513.

(3) انظر: تفسير القرآن للسمعاني، ص 72، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: 1353هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: 10، ج6، ص430.

(4) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)،الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة،الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م، عدد الأجزاء:1، ص108، وانظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج2، ص548.

(5) معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ص1990.

(6) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(7) هو: علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة 789هـ فرَّ الجرجاني إلى سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي،(740- 816 هـ)،انظر: الأعلام ،ج5 ، ص 7 .

(8) التعريفات، ص66.

(9) تلبيس إبليس، ص38.

الخلاصة:

يظهر مما سبق أن الشبهة واللبس بمعنى واحد، حيث إن إبليس قد لبس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب اتباع أهوائهم، فحكموا آراءهم في النصوص، أو أخذوا من النصوص ما يوافق هواهم، فزين إبليس لهم أعمالهم، لقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**﴾[الأنفال:48]؛ حتى يُحِلوا ما حرم الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِم وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[التوبة: 37]، فمن هنا تكمن أهمية كشف الشبهات؛ لأن كشفها وإزالتها من الفرائض، والرد على المخالفين وعلى المناوئين للإسلام باب من أبواب الجهاد؛ لأنه كما يكون ببذل النفس والمال، يكون باللسان أيضاً؛ لبيان الحجة والبرهان لأقوال أهل الحق في مقاومة أهل الباطل، لقول النبي ﷺ: **(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)**[1].

(1) أخرجه أبي داود في سننه، ك: الجهاد، ب: كراهية ترك الغزو، ج3، ص10، رقم2504، وأخرجه النسائي في سننه، ك: الجهاد، ب: وجوب الجهاد، ج6، ص7، رقم3096، حكم الألباني: صحيح.

المطلب الثاني
أول شبهة وقعت في الخليقة

إن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس لعنه الله، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين، ومن المعلوم الذي لا شك فيه أن كل شبهة وقعت لبني آدم؛ فإنما وقعت من إضلال الشيطان ووساوسه، ونشأت من شبهاته، وترجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق، وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص، ومن جادل جميع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول في إظهار شبهاته، وحاصلها يرجع إلى دفع التكليف عن أنفسهم، وجحد أصحاب الشرائع والتكاليف بأسرهم، إذ لا فرق بين قولهم ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾[التغابن:6]، وبين قوله: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[الإسراء: 60]، وعن هذا صار مفصل الخلاف، وأصل الافتراق، في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء:94]، فبين أن المانع من الإيمان هو هذا المعنى، كما قال المتقدم في الأول: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف:12]،عندما قال الله تعالى له: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:12]، فقال المتأخر من ذريته كما قال إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:52]، وكذلك لو تعقبنا أقوال المتقدمين منهم لوجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين، لقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِم تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:118]، فاللعين الأول لما حكم العقل على من لا يحكم عليه العقل، لزمه أن يجري حكم الخالق في الخلق، أو حكم الخلق في الخالق، فالأول: غلو، والثاني: تقصير[1]، ويؤيد ذلك ابن الجوزي فيقول: "وينبغي أن تعلم أن إبليس الذي شغله التلبيس أول ما التبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[الأعراف:12]، ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم فقال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[الإسراء:62]، والمعنى: أخبرني لما كرمته علي، غرر ذلك الاعتراض أن الذي فعلته ليس بحكمة، ثم أتبع ذلك

(1) انظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: 3، ج1، ص 14-18.

بالكبر فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾[ص:76]، ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التي أراد تعظيمها باللعنة والعقاب"[1].

قال الله تعالى إخباراً عن عدوه إبليس، لما سأله عن امتناعه عن السجود لآدم واحتجاجه بأنه خير منه، وإخراجه من الجنة أنه سأله أن يُنْظِره، فأنظره، ثم قال عدو الله: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ومِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[الأعراف: 16– 17]، قال جمهور المفسرين والنحاة: حذف "على" فانتصب بالفعل، والتقدير: لأقعدن لهم على صراطك، والظاهر: أن الفعل مضمر، فإن القاعد على الشيء ملازم له، فكأنه قال: لألزمنه، ولأرصدنه، ولأعوجنه، ونحو ذلك، فما من طريق خير إلا والشيطان قاعد عليه يقطعه على السالك، وقوله: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:17]، عن أيمانهم قال ابن عباس: أشبه عليهم أمر دينهم[2].

لقد جعل ابن القيم الشبهات من أنواع الفتن فيقول رحمه الله: "والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما، ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾ [النجم:23]"[3]

مما سبق تبين كيف بدأت الشبهات والضلالات بين بني البشر، فما قاله الملعون إبليس هو ما بنى المبتدعة أساس عقيدتهم الفاسدة، حيث إن إبليس يلبس الحق بالباطل، ويقدم الرأي على أمر الله سبحانه وتعالى؛ فمن أجل ذلك أخرجه الله من الجنة، وطُرد من رحمته؛ لأن ترك الأوامر أعظم عند الله من ارتكاب المناهي، **وذلك من وجوه ذكرها ابن القيم:**

---

(1) تلبيس إبليس، ص 25.

(2) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: 2، ج1، ص103.

(3) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ،ج2، ص165.

1. لأن آدم نهي عن أكل الشجرة فأكل منها فتاب عليه، وإبليس أمر أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يتب عليه.

2. إن ذنب ارتكاب النهي مصدره في الغالب الشهوة والحاجة، وذنب ترك الأمر مصدره في الغالب الكبر والعزة، ولا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ويدخلها من مات على التوحيد وإن زنى وسرق.

3. إن فعل المأمور أحب إلى الله من ترك المنهي، وترك المناهي عمل فإنه كف النفس عن الفعل؛ ولهذا علق سبحانه المحبة بفعل الأوامر كقوله:﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: 134]، وأما في جانب المناهي فأكثر ما جاء النفي للمحبة، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[المائدة: 64][1].

فتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال، ولا ينجى من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول، وتحكيمه في كل أمور الدين، ظاهره وباطنه، فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله، وكل ما خرج عنها فهو ضلال، وهذه الشبهات تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفى على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [التوبة: 69]، أي: تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، ثم قال: وخضتم كالذي خاضوا فهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات، فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان، من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل؛ لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، وهذا المبدع وما والاها، وهو فساد من جهة الشبهات، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح، وهذا فسق الأعمال وهومن جهة الشهوات، وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، وهو أصل فتنة الشبهة، والهوى على العقل، وهو أصل فتنة الشهوة، ففتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر،

(1) انظر: الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1393 هـ- 1973 م، عدد الأجزاء: 1، ص119 .

ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة: 24]، فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، وجمع بينهما أيضاً في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر: 3][1].

فتنة الشبهات والأهواء المضلة فبسببها تفرق أهل القبلة وصاروا شيعاً وكفر بعضهم بعضا، وأصبحوا أعداءً وفرقاً وأحزاباً بعد أن كانوا إخواناً قلوبهم على قلب رجل واحد، فلم ينج من هذه الفرق إلا الفرقة الواحدة الناجية [2]. قال رسول ﷺ: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك)[3]، وهم أهل السنة والجماعة[4].

لقد جعل الله تعالى الأمر المتبع قسمين لا ثالث لهما، إما ما جاء به الرسول ﷺ، وإما الهوى، وعلى هذا الناس بهذا الاعتبار قسمان: اتباع الوحي، اتباع الهوى، وهذا واضح في القرآن الكريم، كقوله

(1) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج2، ص165-167 .

(2) قال ابن تيمية:" إن الفرقة الناجية هم أهل الحديث والسنة؛ الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعا لها تصديقاً وعملاً وحباً وموالاةً لمن والاها ومعاداة لمن عاداها، الذين يروون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة؛ فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه، ..... ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس فإن اتباع الظن جهل واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم"، مجموع الفتاوى، ج3، ص347-348.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المناقب، ب: باب ،ج4، ص101، رقم3641، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: قوله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم"،ج3، ص1523،رقم 1920.

(4) قال ابن تيمية في تعريفهم: " ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة، ومتنازعون في إجماع من بعدهم"، لقد جعل الله تعالى الأمر المتبع قسمين لا ثالث لهما، إما ما جاء به الرسول ﷺ ، وإما الهوى، فمن اتبع أحدهما اتباعاً كلياً لم يمكن من اتباع الآخر، قال الشاطبي: "فجعل الأمر محصوراً بين أمرين: اتباع الذكر، واتباع الهوى"، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)،المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1406 هـ- 1986 م، عدد المجلدات: 9،ج2، ص601.

تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص:50]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة:120]، أي: لا يهديه دون الله شيء، وذلك بالشرع لا بغيره، وهو الهدى، وإذا ثبت هذا، وأن الأمر دائر بين الشرع والهوى، تزلزلت قاعدة حكم العقل المجرد، فكأنه ليس للعقل في هذا الميدان مجال إلا من تحت نظر الهوى، فهو إذاً اتباع الهوى بعينه في تشريع الأحكام، ودع النظر العقلي في المعقولات المحضة، فلا كلام فيه هنا، وإن كان أهله قد زلوا أيضاً بالابتداع؛ فإنما زلوا من حيث ورود الخطاب ومن حيث التشريع.[1]

(1) انظر: الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)،تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ- 1992م، عدد الأجزاء: 2 ،ج1، ص 70.

المبحث الثاني:
التوسل بين أهل السنة والجماعة، وأهل البدع والأهواء

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: أهل البدع والأهواء.

المطلب الأول
أهل السنة والجماعة

تعريف السنة لغة واصطلاحاً:

السنة لغة: من مادة سن: السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي أسنه سنا، إذا أرسلته إرسالا، ولها عدة معاني منها :

1. **الْقِدْوَة:** والقدوة: ما تسننت به، والقدة: كالقدوة وقد اقتدى به، وتقدت به دابته: لزِمت سنَن الطَّرِيق[1].
2. **الطريقة المستقيمة المحمودة:** ولذلك قيل: فلان من أهل السُّنة، وسننت لكم سنة فاتبعوها، وفي الحديث: (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة)[2] يريد من عمل بها ليقتدي به فيها [3].
3. **الفطرة:** يقول الخطابي [4] : في قوله ﷺ: (عشر من الفطرة...)[5] فسر أكثر العلماء الفطرة في هذا الحديث بالسنة، وتأويله أن هذه الخصال من سنن الأنبياء الذين أمرنا أن نقتدي بهم لقوله سبحانه: ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام: 90]، وأول من أُمر بها إبراهيم صلوات الله عليه وذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة: 124]، قال ابن عباس: أمره بعشر خصال ثم عددهن فلما فعلهن، قال: إني جاعلك للناس إماماً أي: ليقتدي بك ويستن بسنتك[6].

---

(1) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (المتوفى: 458هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ- 2000 م، عدد الأجزاء:11، ج6، ص534-535.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: العلم، ب: من سن سنة حسنة أو سيئة، ج1، ص2059، رقم1017 .

(3) انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، عدد الأجزاء: 8، ج12،ص 209-210.

(4) هو: حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستيّ، أبو سليمان: فقيه محدّث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب)(319-388)هـ، انظر: الأعلام، ج 2 ،ص 273.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: خصال الفطرة، ج1، ص 223، رقم 261.

(6) انظر: معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ)، الناشر: المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى 1351 هـ- 1932 م، ص 31.

4. **خلاف البدعة:** يقول الجرجاني: البدعة: هي الفعلة المخالفة للسنة [(1)].

السنة اصطلاحاً:

لقد تباينت تعريفات العلماء لها حسب نوع العلم الشرعي الذي تستعمل فيه السنة، والذي يعنينا في هذا المقام السنة عند علماء العقيدة، والسنة عندهم لها مفهومان عام وخاص، وهما يتفقان مع المعنى اللغوي لها.

المفهوم العام للسنة:

هي الفطرة، قال الله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّـهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم:30]، فطرت الله وهي دين الله، والفطرة التي فطر الناس عليها، أي: خلق الناس عليها، قال ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة الدين وهو الإسلام، وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الإسلام[(2)]، لقول رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء)[(3)]، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿ **فِطْرَتَ اللَّـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّـهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾[الروم:30]، أي: أن ما كان عليه النبي ﷺ من العلم والعمل والهدي وكل ما جاء به مطلقاً هو السنة، لقول البربهاري [(4)] : " اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر" [(5)].

---

(1) انظر: التعريفات، ج1، ص 43، والموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، عدد الأجزاء: 7،ج4،ص290.

(2) انظر: تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى، 1420 هـ، عددالأجزاء:5،ج3،ص577

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، ج2، ص94، رقم1358، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: القدر، ب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، ج 4، ص 2047، رقم 2658.

(4) هو: الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد: شيخ الحنابلة في وقته. من أهل بغداد، كان شديد الإنكار على أهل البدع، بيده ولسانه. وكثر مخالفوه فأوغروا عليه قلب القاهر العباسي (سنة 321 هـ) فطلبه، فاستتر. وقبض على جماعة من كبار أصحابه ونفوا إلى البصرة، وعاد إلى مكانته في عهد الراضي، ونودي ببغداد: لا يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان! واستتر البربهاري فمات في مخبأه،(233– 329 هـ)،انظر: الأعلام، ج2 ،ص 201.

(5) شرح السنة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (المتوفى: 329هـ)، عدد الأجزاء: 1، ص35.

ويقول العكبري [1] : وقد يقع إطلاق اسم السنة على الواجب وما ليس بواجب، قال تعالى: ﴿سُنَّتَ اللَّـهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [غافر:85]،أي: إن السنة هي شريعة الله[2].

الخلاصة:

المفهوم العام للسنة: هو ما كان عليه النبي ﷺ من العلم والعمل والهدي في أصول الدين وفروعه؛ لأنه هو أول من هداه الله بالكتاب والإيمان، ثم من اتبعه فيه، والكتاب هو الهادي، والوحي المنزل عليه مرشد ومبين لذلك الهدي، والخلق مهتدون بالجميع، لقول الإمام أحمد بن حنبل: " قواعد الإسلام أربع: دال ودليل ومبين ومستدل، فالدال: الله تعالى، والدليل: القرآن، والمبين: الرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: 44]، والمستدل: أولو الألباب وأولو العلم الذين يجمع المسلمون على هدايتهم، ولا يقبل الاستدلال إلا ممن كانت هذه صفته"[3].

المفهوم الخاص للسنة:

فيقصد به العقيدة[4] الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة، وهي طريقة النبي ﷺ التي كان عليها، هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات، ثم صار في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم السنة عبارة عما سَلِمَ من الشبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العلم باسم السنة؛ لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا هلكة[5].

---

(1) هو: الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب العكبريّ، أبو علي: نسَّاخ، من العلماء العارفين بالفقه والأدب، من أهل عكبرا، مولدا ووفاة،(335- 428 هـ)،انظر: الأعلام ،ج 2 ،ص 193.

(2) انظر: رسالة في أصول الفقه، أبو علي الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب العكبريّ الحنبلي (المتوفى: 428هـ). المحقق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: المكتبة المكية- مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1413هـ-1992م، عددالأجزاء:1،ص42.

(3) العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى : 458هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه : د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض- جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الناشر : بدون ناشر، الطبعة : الثانية 1410هـ- 1990 م، عدد الأجزاء : 5 ،ج1،ص135.

(4) العقيدة لغة: من العقد؛ وهو الربط، والإبرام، والإحكام، والتوثق، والشد بقوه، والتماسك، والمراصة، والإثبات؛ ومنه اليقين والجزم، واصطلاحاً: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل، والجمع: عقائد، انظر معاجم اللغة: لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط: " مادة عقد ".

(5) انظر: كشف الكربة في وصف أهل الغربة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، التحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية، 1424 هـ- 2003 م، عدد الأجزاء: 1، ص319-320.

يقول ابن تيمية: الشريعة والشرع والشِّرعة، وهي التي بعث الله بها محمداً ﷺ الجامعة لمصالح الدنيا والآخرة، وما خالف الشريعة فهو باطل، وما وافقها منها فهو حق، والشريعة إنما هي كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه سلف الأمة في العقائد والأحوال والعبادات والأعمال والسياسات والأحكام والولايات والعطيات، ثم هي مستعملة في كلام الناس على ثلاثة أنحاء:

1. شرع منزل وهو: ما شرعه الله ورسوله.
2. وشرع متأول وهو: ما ساغ فيه الاجتهاد.
3. وشرع مبدل وهو: ما كان من الكذب والفجور الذي يفعله المبطلون بظاهر من الشرع، أو البدع، أو الضلال الذي يضيفه الضالون إلى الشرع [1].

(1) مجموع الفتاوى، ج19،ص308-309.

المطلب الثاني
أهل البدع والأهواء

أولاً : تعريف البدع لغة واصطلاحاً:

البدعة لغة: من مادة بدع، الباء والدال والعين أصلان: أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، أي: أبدعت الشيء قولاً أو فعلاً، والآخر: الانقطاع والكلال، قولهم: أبدعت الراحلة، إذا كلت وعطبت، ومن بعض ذلك اشتقت البدعة (1).

وللبدعة عدة معاني لغوية منها:

1. **الإنشاء والإحداث:** قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[البقرة: 117]، أي: منشئها، وتقول العرب: لست ببدع في كذا وكذا أي: لست بأول من أصابه هذا، وهو من قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾[الأحقاف:9]، وكل من أحدث شيئاً فقد ابتدعه، والاسم البدعة، والجمع البدع(2).
2. **البدء والخلق:** قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[البقرة: 117]، أي: خالقهما، ومبدؤها، وقد بُدِعَ الأمر: بَدْعاً وبَدَعُوهُ وابتَدَعُوه، البدع في الشر والخير(3).
3. **الاختراع:** أبدع الشيء، اخترعه لا على مثال، والبدعة: الحدث في الدين بعد الإكمال(4).

يتضح مما سبق أن البدعة بالمعنى اللغوي لا تذم على الإطلاق؛ لأنها تشمل كل ما يخترع في الأمور الدنيوية، مثل اختراع أي جهاز، وهذا من الابتداع في العادات؛ لأن الأصل في العادات الإباحة، بل وقد تكون واجبة في بعض الأحيان حسب كونها وسيلة تؤدي إلى مقصود، فإذا كان المقصود مباحاً فهي مباحة، وإن كان واجباً فالبدعة واجبة وهكذا، ومنها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (نعم البدعة هذه،...)(5)، قال ابن حجر: "والتحقيق أنها إن كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، وأن كانت مما تندرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة، وإلا فهي من قسم المباح وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة"(6).

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، ج1، ص210.
(2) انظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م، عدد الأجزاء: 3، ج1،ص298.
(3) انظر: تهذيب اللغة، ج2،ص142.
(4) انظر: الصحاح، ج3، ص1183-1184.
(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: صلاة التراويح، ب: فضل من قام رمضان،ج3، ص45، رقم2010.
(6) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج4، ص253.

البدعة اصطلاحاً:

قال الجرجاني: هي الفعلة المخالفة للسنة سميت بذلك؛ لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام، وهي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي[1]، ويؤيده ما رواه الحافظ أبو نعيم [2] بإسناده عن إبراهيم بن الجنيد، ثنا حرملة بن يحيى، قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي، يقول: " البدعة بدعتان بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم، واحتج بقول عمر بن الخطاب في قيام رمضان: (نعمت البدعة هي)[3]" [4].

قال ابن رجب [5] : ومراد الشافعي رحمه الله أن البدعة المذمومة ما ليس لها أصل من الشريعة يرجع إليه، وهي البدعة في إطلاق الشرع، وأما البدعة المحمودة فما وافق السنة، يعني: ما كان لها أصل من السنة يرجع إليه، وإنما هي بدعة لغة لا شرعاً؛ لموافقتها السنة[6].

أقسام الابتداع:

1. الابتداع المحمود الذي هو بالمعنى اللغوي:

وهو أن يكون واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه أو رسوله ﷺ، كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف ودليله قوله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من

---

(1) انظر: التعريفات، ج1، ص43.

(2) هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، ابو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد ومات في أصبهان، (336–430)هـ ،انظر: الأعلام ،ج1، ص 157.

(3) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، تحقيق عبد الباقي، ك: الصلاة في رمضان، ب: ما جاء في قيام رمضان، ج1، ص114، رقم3

(4) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني،(المتوفى: 430هـ). الناشر: السعادة- بجوار محافظة مصر، 1394هـ- 1974م، ثم صورتها عدة دور منها: دار الكتاب العربي – بيروت، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، و دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة 1409هـ بدون تحقيق)،عدد الأجزاء:10، ج9، ص 113.

(5) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السّلامي البغدادي ثم الدمشقيّ، أبو الفرج، زين الدين: حافظ للحديث، من العلماء، ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق،(736–795)هـ، انظر: الأعلام، ج3 ، ص 295 .

(6) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)،تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424 هـ- 2004 م، عدد الأجزاء: 3 (في ترقيم مسلسل واحد)، ج2، ص 787.

عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء...)[1]، ومنها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (نعم البدعة هذه،...)[2]، فهذه سنة حسنة وليست بدعة بالمعنى الشرعي، ولكن يقصد في تعبيره بهذا اللفظ أنه هو أول من أحدث هذه الصلاة من الصحابة رضوان الله عليهم، وليس بمعنى إحداث في الدين أو أنه عمل عملاً لم يعمله رسول الله ﷺ؛ بل له أصل وله دليل، حتى أن البخاري رحمه الله بوب له بقوله: تحريض الرسول ﷺ على، لقوله ﷺ لأصحابه: (قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان)[3]، هذا يدل على أن صلاة التراويح قد عمل بها الرسول ﷺ، ولكنه توقف عنها وعلل توقفه، إشارة إلى أنه حينما ينقطع الوحي بعد وفاته لا مانع من الرجوع إليها، وهذا يفهم من فحوي الخطاب[4].

قال الحَمِيدي[5]: "إن الابتداع إذا كان من الله ﷻ فهو إخراج الشيء من العدم إلى الوجود، وهو يكون الأشياء بعد أن لم تكن وليس ذلك إلا لله ﷻ، والابتداع من المخلوقين إن كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وإن كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه أو رسوله ﷺ فهو في حيز المدح، وإن لم يكن مناله موجوداً، كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف ودليله قوله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة كان لها أجرها وأجرمن عمل بها)[6]،... وقول عمر رضي الله عنه: (نعم البدعة هذه)[7]، في حيز المدح لأنه فعل من أفعال الخير وحرص على الجماعة المندوب إليها"[8].

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: العلم، ب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا، ج4، ص2059، رقم1017.

(2) تم تخريجه سابقاً، ص 52.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجمعة، ب: تحريض النبي ﷺ على،ج2، ص50، رقم1129، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الترغيب في قيام رمضان، ج 1، ص 524، رقم761.

(4) فحوى الخطاب: وهو ما كان المفهوم فيه أولى بالحكم من المنطوق، وهو نوع من مفهوم الموافقة، مباحث في علوم القرآن للقطان، ص 259.

(5) هو: محمد بن فتّوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر: مؤرخ محدث، أندلسي. من أهل جزيرة ميورقة. أصله من قرطبة. كان ظاهري المذهب، وهو صاحب (ابن حزم) وتلميذه. رحل إلى مصر ودمشق ومكة (سنة 448)هـ وأقام ببغداد فتوفي فيها.(420- 488 هـ) انظر: الأعلام،ج6، ص327 .

(6) تم تخريجه سابقاً، ص 54.

(7) تم تخريجه سابقاً، ص 52.

(8) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: 488هـ)،المحقق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة- القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1415 – 1995، عدد الأجزاء: 1، ص303.

2. الابتداع المذموم الذي هو بالمعنى الشرعي:

وهو ما كان في أمور الدين[1]، وهو على ضربين:

الأول: بدعة قولية اعتقادية، كمقالات الجهمية[2] والمعتزلة[3] والرافضة[4] وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

الثاني: بدعة في العبادات، كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أنواع.

حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها ذكرها سلطان العلماء[5]:

1. **البدع الواجبة:** منها الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله وكلام رسوله ﷺ.
2. **البدع المحرمة:** منها ما هو كفر صراح؛ كالطواف بالقبور تقربًا إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم، ومنها: مذهب القدرية[6]، ومنها مذهب

---

(1) انظر: حقيقه السنة والبدعة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني، الناشر: مطابع الرشيد، عام النشر: 1409 هـ، عدد الأجزاء: 1، ص94.

(2) الجهمية: المعطلة لأسماء الله وصفاته، إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلي الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية كانت لها آراء خاطئة في مفهوم الإيمان وفي صفات الله تعالي وأسمائه، ومؤسسها جهم بن صفوان، انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، 1422 هـ- 2001 م، عدد الأجزاء: 3، ج3، ص1131.

(3) المعتزلة: اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين سنة 105 وسنة 110هـ، بزعامة رجل يسمي واصل بن عطاء الغزال، نشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر، وقد أصبحت المعتزلة فرقة كبيرة تفرعت عن الجهمية في معظم الآراء، ثم انتشرت في أكثر بلدان المسلمين انتشارا واسعا، المصدر نفسه، ج3، ص1163.

(4) الرافضة: من فرق الشيعة، وهم الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ، وأن خلافة غيرهم باطلة، المصدر نفسه، ج 1، ص344.

(5)هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق .وزار بغداد سنة 599 هـ فأقام شهرا وعاد إلى دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي، وتوفي بالقاهرة (577-660)،انظر: الأعلام :ج4 ،ص21.

(6) القدرية: وهي القول بإنكار القدر، وأن الأمر أنف، وأول من قال بهذه البدعة معبد الجهني المقتول في بدعته سنة 80هـ، وذلك في آخر زمن الصحابة، وقد تبرأ الصحابة من مذهبه كابن عمر وأنس وغيرهما ﷺ، وقد تبعه على بدعته غيلان الدمشقي الذي قتله هشام بن عبد الملك، والمعتزلة تنفي القدر إلا قليل منهم، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر (قدرية): أيضا، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب. انظر: الفرق بين الفرق=

الجبرية[1]، ومنها مذهب المرجئة[2]، ومنها مذهب المجسمة[3]، ومنها ما هو من وسائل الشرك، كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها، والرد على هؤلاء من البدع الواجبة.

3. **البدع المندوبة:** منها إحداث الربط والمدارس وبناء القناطر، ومنها كل إحسان لم يعهد في العصر الأول، ومنها: صلاة التراويح.

4. **البدع المكروهة:** منها زخرفة المساجد.

5. **البدع المباحة:** منها المصافحة عقيب الصبح والعصر، ومنها التوسع في اللذيذ من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، ولبس الطيالسة[4].

=وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: 429هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1977، عدد الأجزاء:1، ص14-15، شرح النووي على مسلم، ج 1، ص 150، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ)، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1999م،عدد الأجزاء:3، ج1، ص68.

(1) الجبرية: الذين يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة لله، والعبد لا فعل له؛ بل أفعاله مجبور عليها كحركة المرتعش، وكالريشة في مهب الريح، وحركة الأشجار، انظر: شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، الناشر: دار التدمرية، الطبعة: الثانية، 1429 هـ-2008م، عدد الأجزاء: 1، ص329، والملل والنحل، ج1،ص 85.

(2) المرجئة: الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية. والمرجئة الخالصة، انظر الملل والنحل، ج1، ص139، وشرح العقيدة الطحاوية للبراك، ص221.

(3) المجسمة: يقصد به من وصف الله بأنه جسم وشبهوه بخلقه ويقال لهم: المشبهة، وقد ذكر الأشعري وغيره منهم: هشام بن الحكم الرافضي وداود الجواربي ومقاتل بن سليمان وهشام بن سالم الجواليقي والكرامية، انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، 1426هـ- 2005م، عدد الأجزاء: 2، ج1، ص165.

(4) والطيلسان بفتح اللام: واحد الطيالسة، والهاء في الجمع للعجمة، لأنه فارسي معرب، انظر: الصحاح، ج3، ص944، ولبسوا السيجان وهي الطيالسة المدورة الواسعة، انظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود ابن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ- 1998 م، عدد الأجزاء: 2، ج1، ص480.

والطريق في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة(1).

ثانياً: تعريف الأهواء لغة واصطلاحاً.

تعريف الأهواء لغة: مفردها هوى: الهاء والواو والياء: أصل صحيح يدل على خلو وسقوط، أصله الهواء بين الأرض والسماء، سمي لخلوه، قالوا: وكل خال هواء. قال الله تعالى: ﴿ **وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾ [إبراهيم:43]، أي خالية لا تعي شيئا، وهو من الهواء: الخالي، وهوت أمه: شتم، أي سقطت وهلكت، و﴿ **فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ** ﴾[القارعة:9]، كما يقال: ثاكلة، والهوى: هوى النفس، فمن المعنيين جميعاً، خال من كل خير، ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي، قال الله تعالى في وصف نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾ [النجم: 3]، يقال منه: هويت أهوى هوى(2)، ولها عدة معان منها:

1. **الميل والمحبة:** وتهوي إليهم: تهواهم، وهوي: أحب(3)، وأول مراتب الحب: الهوى وهو ميل النفس (4).
2. **الفراغ والخلو:** خال لا فؤاد لهم، فارغ لا شيء فيه، في قوله تعالى: ﴿ **وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾ [إبراهيم:43]، كأنهم لا يعقلون من هول يوم القيامة، والهواء والخواء واحد، وأهل الأهواء واحدها هوى (5).

---

(1) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، (وصورتها دور عدة مثل: دار الكتب العلمية- بيروت، ودار أم القرى- القاهرة)، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، 1414 هـ- 1991 م، عدد الأجزاء: 2، ج2، ص204-205، وانظر: الاعتصام، ج2، ص514-515.

(2) انظر: مقاييس اللغة، ج6، ص15-16.

(3) انظر : مختار الصحاح، ج1، ص329.

(4) الكليات، ص 398.

(5) انظر: تهذيب اللغة، ج 6، ص259-260، وجمهرة اللغة، ج 1، ص 104،و ج2، ص998.

تعريف الهوى اصطلاحاً:

"هو ميل النّفس إلى ما تستلذّه من الشّهوات من غير داعية الشّرع"[1] .

المتبع: هو الذي اتقى متابعة الهوى، والتقوى: هي ترك حظوظ النفس ومباينة النهي، وألا ترى في نفسك شيئاً سوى الله، وترك ما دون الله[2]، أي :أن التقوى في مقابل الهوى.

قال الجرجاني: "أهل الأهواء: أهل القبلة الذين لا يكون معتقدهم معتقد أهل السنة، وهم الجبرية، والقدرية، والروافض، والخوارج[3]، والمعطلة[4]، والمشبهة، وكل منهم اثنا عشرة فرقة، فصاروا اثنتين وسبعين" [5].

قال الشاطبي: " سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك" [6].

قال ابن تيمية: " كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواء؛ كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء وذلك إن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله ﷺ" [7].

الشريعة هي الحاكمة على الإطلاق، وهي الطريق الموصل والهادي الأعظم، وإن اتباع الهوي باب من أبواب الضلال وسبب من أسباب التفرق والاختلاف؛ لذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى قد ذم الهوى في أكثر من آية، فأخبر سبحانه وتعالى أن اتباع الهوى يضل عن السبيل قال تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ

---

(1) الكليات، ص962، والتوقيف على مهمات التعاريف، ص344، والمفردات،ص849، التعريفات، ص257،

(2) انظر: التعريفات، ص65.

(3) الخوارج الحرورية: الحرورية نسبة إلى حروراء؛ وهي قرية بالكوفة نزل بها الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد رجوعه من صفين بعد التحكيم، فنسبوا إليها، وهم طائفة ذات أفكار وآراء اعتقاديه أحدثت في التاريخ الإسلامي دوياً هائلاً، شرح الرسالة التدمرية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار أطلس الخضراء، الطبعة: 1425هـ/2004م، عدد الأجزاء:1،ص414، : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ج1، ص 228.

(4) المعطلة الذين ينفون علوه تعالى على خلقه وأنه بائن من خلقه، وهم الجهمية وتم تعريفهم سابقاً.

(5) التعريفات، ص40.

(6) الاعتصام،ج2، ص683.

(7) مجموع الفتاوي، ج28، ص133.

الْحِسَابِ﴾ [ص:26]، وأخبرنا تعالى أن اتباع الهوى يطبع على قلب العبد فقال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾** [محمد:16]، وجعل الله ﷻ الجنة مأوى لمن خاف مقامه ونهى النفس عن الهوى، قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾** [النازعات: 40-41][1].

قال ابن الجوزي: "ولقد دخل إبليس على طائفة من المتزهدين بآفات، أعظمها أنه صرفهم عن العلم، فكأنه شرع في إطفاء المصباح ليسرق في الظلمة، حتى إنه أخذ قومًا من كبار العلماء، فسلك بهم من ذلك ما ينهى عنه العلم"[2]، وكل من لم يتبع العلم فقط اتبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾** [الأنعام:199]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾** [القصص:50]؛ لهذا كان اتباع الهوى من أكبر عوامل وجود البدع.

يقول سفيان الثوري:" البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، والمعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها"[3]، إذاً صاحب البدعة في نظره أنه لا يحتاج إلى توبة، بينما صاحب المعصية يعلم أنه في أمس الحاجة إلى التوبة، وأنه على معصية، بخلاف صاحب البدعة، ومن هنا كانت البدعة أحب إبليس من المعصية، ويقول أهل اللغة: الإبداع لا يكون إلا بظلع[4]، ويقولون: أبدعت به

(1) انظر: اتحاف الورى بما تيسر من أحكام البدعة والهوى، لأبي العباس، نصر صالح الخولاني، راجعه وقدم له: عبد العزيز بن يحي البرعي، دار التيسير صنعاء، مكتبة الثقافة عدن، عام 1421هـ، ص35-36.

(2) صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم– دمشق، الطبعة: الأولى، 1425هـ- 2004م، ص355.

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: 418هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، 1423هـ / 2003م، عدد الأجزاء: 9 أجزاء (4 مجلدات)- الجزء 9 تجده منفردا باسم: كرامات الأولياء، ج1، ص149، رقم238

(4) ظلع البعير: كمنع، وكذا الإنسان ظلعاً: غمز في مشيه وعرج، وهو الشك: و بعير شكك أي: ظالع، وأمر مشكوك: وقع فيه الشك، تاج العروس،ج21، 469،وج27، ص233، والظلع: ظلعا عرج وغمز في مشيه، والأرض بأهلها ضاقت بهم لكثرتهم فهو ظالع وهي ظالعة وفي المثل (لا يدرك الظالع شأو الضليع) وفي المثل أيضاً: ظالع يقود كسيراً، يضرب للضعيف ينصر من هو أضعف منه، المعجم الوسيط، ج2، ص 576.

راحلته: أي ظلعت، وهذا المعنى ينطبق على الابتداع في دين الله، إذ البدعة ظلع واعوجاج في نفس صاحبها وفي عمله، وذلك باتباع الهوى، ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، وما تشتهيه أنفسهم، وما تمليه عقولهم، ولم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك، وهذا الظلع الذي يبدع بصاحبه هو الذي سماه الله زيغاً في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[آل عمران: 7].

فإبداع أهل البدع انقطاعهم عن السير في صراط الله المستقيم الذي ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153]، فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السنة، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائرين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع(1).

الخلاصة:

أختم بحديث لرسول الله ﷺ، عن حذيفة بن اليمان، يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن(2)، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة(3) على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا(4)، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال:

---

(1) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، عدد الأجزاء:2، ج1، ص249- 248.

(2) دخن: بالمهملة ثم المعجمة المفتوحتين بعدها نون وهو الحقد وقيل الدغل وقيل فساد في القلب ومعنى الثلاثة متقارب يشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيرا خالصا بل فيه كدر وقيل المراد بالدخن الدخان، انظر: فتح الباري، ج13، ص36.

(3) دعاة: بضم الدال المهملة جمع داع أي إلى غير الحق، المصدر السابق نفس الصفحة.

(4) من جلدتنا أي: من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا وفيه إشارة إلى أنهم من العرب، المصدر السابق نفس الصفحة.

فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة[1]، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[2]، فالحديث واضح الدلالة في لزوم التمسك بالجماعة، والتمسك بها يعني التمسك بالكتاب والسنة، ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلاً خلاف الكتاب والسنة، وجعلهما فرعاً لذلك الأصل الذي ابتدعوه، وفيه وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدي النبوي ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع[3]، لذلك وصانا الرسول ﷺ بالتمسك بالسنة، فقال: (تركتكم على البيضاء[4] ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ...)[5].

---

(1) وعض أصل الشجرة: كناية عن مكابدة المشقة كقولهم: فلان يعض الحجارة من شدة الألم أو المراد اللزوم، المصدر السابق.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الفتن، ب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ج4، ص51، رقم7084، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ج3، ص 1475، رقم1847.

(3) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج13، ص37.

(4) على البيضاء أي: الملة والحجة الواضحة التي لا تقبل الشبه أصلاً، حاشية سنن ابن ماجه،ج1، ص43.

(5) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الإيمان، ب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين، ج1، ص16، رقم43، سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: 2، حكم الألباني: صحيح.

المبحث الثالث
الأمور التي أوقعت المتوسلين في الشبهات

المطلب الأول: خلطهم والتباسهم في مفهوم الحقوق والعبادة

المطلب الثاني: التقليد الأعمى واتخاذه مذهباً وديناً

المطلب الأول
خلطهم والتباسهم في مفهوم الحقوق والعبادة

أولاً: خلطهم والتباسهم في مفهوم الحقوق

ماهية الحق:

أصل الحق: هو المطابقة والموافقة، ويقال: أَحققْتُ كذا، أي: أثبتّه حقاً، أو حكمت بكونه حقاً، لقوله تعالى:﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ [الأنفال:8] فإحقاق الحقّ على ضربين:

أحدهما: بإظهار الأدلّة والآيات، كما قال تعالى:﴿وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً﴾ [النساء:91]، أي: حجة قوية.

الثاني: إكمال الشريعة وبثّها في الكافّة، قال تعالى:﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:8]، ويقال: حَاقَقْتُهُ فَحَقَقْتُهُ، أي خاصمته في الحقّ فغلبته[1].

فمفهوم الحق مأخوذ من تعريفه في اللغة وله عدة معانٍ مختلفة منها :

1. اسم من أسماء الله تعالى أوصفة من صفاته، قال تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [المومنون:71]، عن ابن جُرَيج، قوله: (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ) قال: الحق: الله[2]، وقال تعالى :﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:62].
2. اسم من أسماء القرآن، والأمر المقضي، والعدل، والإسلام، والمال، والملك، والموجود الثابت، والصدق، والموت، والحزم، وواحد الحقوق[3].
3. خلاف الباطل[4]، قال تعالى:﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:42].

---

(1) انظر: المفردات في غريب القرآن، ج1، ص 246-247.

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19،ص57.

(3) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ- 2005 م، عدد الأجزاء: 1ج1، ص874.

(4) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4، ص 1460.

4. الثبوت والواجب: وحق الأمر يحق ويحق حقاً وحقوقاً: صار حقاً وثبت؛ قال الأزهري: معناه وجب يجب وجوباً، وحق عليه القول وأحققته أنا، وفي التنزيل: ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [القصص :63]، أي: ثبت، وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾[غافر:6]، أي: وجبت وثبتت[1].

الذي يهمني من كل هذه التعريفات هو أن الحق خلاف الباطل، حتى يظهر لنا الحق من الباطل في مسألة التوسل عن طريق إثباته بالأدلة .

قال الراغب: " هو أن الحق واحد، والباطل كثير بل الحق بالإضافة إلى الباطل كالنقطة بالإضافة إلى سائر أجزاء الدائرة، وكالمرمى من الهدف، فإصابة ذلك شديدة، وإلى هذا أشار ما روي أن النبي ﷺ قال: (شيبتني هود وأخواتها، فسئل: ما الذي شيبك منها؟ فقال: قوله تعالى: فاستقم كما أمرت)[2]" [3].

من خلال ما سبق يتضح أن الحق في الاصطلاح له مفهومان، أحدهما عام والآخر خاص.

المفهوم العام للحق يشتمل على معنيين:

أولاً: هو الحكم المطابق للواقع، ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب، باعتبار اشتمالها على ذلك فيقال: قول حق، وعقيدة حقة، ودين حق، ويقابله الباطل [4].

ثانياً: الواجب الثابت، وهو الذي تقدم بيانه في المعنى اللغوي.

---

(1) انظر: لسان العرب ،ج 10، ص49.

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر: أن رجلاً قال: يا رسول الله شبت، قال: شيبتني هود وأخواتها، ج17، ص286، رقم790، وأخرجه الترمذي في سننه، ك: أبواب تفسير القرآن، ب: ومن سورة الواقعة، ج5، ص402، رقم3297، عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: (يا رسول الله قد شبت، قال ﷺ : شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت)، قال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وروى علي بن صالح، هذا الحديث عن أبي إسحاق، عن أبي جحيفة، نحو هذا، وقد روي عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، شيء من هذا مرسلا، وحكم الألباني : صحيح.

(3) المفردات في غريب القرآن، ج1، ص241.

(4) التعريفات، ص89.

المفهوم الخاص للحق:

فهو لا يخرج عن المعنى اللغوي ؛ لأنه واضح وضوح الشمس وهو كما عرفه الجرجاني: "الثابت الذي لا يسوغ انكاره"[1]، فالحق الثابت هو أن يعود التوحيد صافياً نقياً لا لبس فيه، كما كان في عهد الرسالة حيث كان النبي محمد ﷺ يبلغ عن ربه ﷻ، قال رسول الله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد[2])[3].

قال النووي: "وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات"[4]، إن أهل الباطل وهم أصحاب الشبهات الذين لم يفرقوا بين الحق والباطل، ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَـٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾ [الفرقان: 30].

عن مغيرة، عن إبراهيم، قال معنى مهجوراً: قالوا فيه غير الحقّ، ألم تر إلى المريض إذا هذي قال غير الحق[5]، فهم كذلك مرضى ويحتاجون إلى الدواء وهو الرجوع إلى الحق، وهؤلاء يحتاجون للنصيحة، لقول النبي ﷺ: (الدين النصيحة[6] قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[7]، قال ابن الأثير: " ومعنى نصيحة الله: صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتاب الله: هو التصديق به والعمل بما فيه، ونصيحة رسوله: التصديق بنبوته ورسالته، والانقياد لما أمر به ونهى عنه، ونصيحة الأئمة: أن يطيعهم في

---

(1) التعريفات، ص 89.

(2) رد: قال أهل العربية الرد هنا بمعنى المردود ومعناه فهو : باطل غير معتد به، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج 12، ص 16.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الصلح، ب : إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ج3، ص184، رقم2697، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحدود، ب : نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، ج3، ص1343، رقم 1718.

(4) المنهاج شرح صحيح مسلم، ج 12، ص16.

(5) انظر: تفسير الطبري ج19، ص264.

(6) النصيحة: كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها وأصل النصح في اللغة: الخلوص. يقال: نصحته، ونصحت له، النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير المتوفى: 606هـ، المكتبة العلمية- بيروت، 1399هـ- 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، ج5، ص63.

(7) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: بيان أن الدين النصيحة، ج1، ص74، رقم 55.

الحق، ولا يرى الخروج عليهم إذا جاروا، ونصيحة عامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم"[1].

والمعروف أن التوحيد: هو إخلاص العبادة لله وحده، والمخلص الذي وحد الله تعالى خالصاً، ولذلك قيل لسورة: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:1]، والتخليص: التنجية من كل منشب، تقول: خلصته من كذا تخليصاً أي: نجيته تنجية فتخلص، وتخلصه تخلصاً كما يتخلص الغزل إذا التبس، والإخلاص في الطاعة: ترك الرياء، وقد أخلصت لله الدين[2]، وهو دليل على أحد شرطي قبول العمل؛ لأن كل عمل يُتقرَّب به إلى الله لا يكون مقبولاً عند الله إلا إذا توفَّر فيه شرطان، أحدهما: إخلاص العبادة لله ﷻ، والثاني: متابعة سنة نبينا محمد ﷺ، قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى :﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[هود:7]، قال: أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً؛ والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة، وذلك تحقيق قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:110]؛ ولهذا ذم الله المشركين في القرآن على اتباع ما شرع لهم شركاؤهم من الدين ما لم يأذن به الله من عبادة غيره، وفعلوا ما لم يشرعه من الدين، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى:21]، كما ذمهم على أنهم حرموا ما لم يحرمه الله، والدين الحق أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا دين إلا ما شرعه الله؛ لذلك قال الفقهاء: العبادات مبناها على التوقيف[3].

أنواع الحقوق:

إن سر التخبط لدى كثير من المسلمين، والخلط في عباداتهم، هو عدم معرفة أهل الشبهات لأنواع الحقوق، حيث إنهم لم يفرقوا بينهم، مما جعلهم يصرفون كثيراً من حقوق الله على العباد للعباد أنفسهم، حيث إنهم لم يفرقوا بين محبتهم في الله ومحبتهم مع الله، ومحبتهم في الله عمل صالح، وأما محبتهم مع الله فعمل غير صالح، يصل به إلى الشرك، والدارس لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والفاهم لمعنى كلمة التوحيد، يستطيع أن يستنتج الحقوق الثلاثة، التي تحدد

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت، 1399هـ-1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: 5، ج5، ص63.

(2) انظر: لسان العرب، ج 7، ص27.

(3) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص 293-294.

للعبد طريق السير إلى الله، والدعوة إليه على بصيرة، قبل أن يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ويخرج عن الصراط المستقيم، ويتخبط في بنيات الطريق[1].

قال ابن القيم: لله حق لا يكون لغيره ولعبده حق هما حقان

لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً من غير تمييز ولا فرقان[2].

وهذه الحقوق هي:

1. حق الله على عباده: وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً في عبادته، وهو معنى قولنا أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له[3].

عن معاذ رضي الله عنه قال: كنت ردف[4] النبي ﷺ على حمار يقال له عفير[5]، فقال: **(**يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم، فيتكلوا**)**[6].

---

(1) انظر: تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة، ص95.

(2) نونية ابن القيم، متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1417هـ، عدد الأجزاء: 1، ص249.

(3) إن نفي الشريك عن الله تعالى لا يتم إلا بنفي ثلاثة أنواع من الشرك:

الأول: الشرك في الربوبية وذلك بأن يعتقد أن مع الله خالقا آخر – سبحانه وتعالى – كما هو اعتقاد المجوس القائلين بأن للشر خالقا غير الله سبحانه. وهذا النوع في هذه الأمة قليل والحمد لله وإن كان قريبا منه قول المعتزلة: إن الشر إنما هو من خلق الإنسان.

الثاني: الشرك في الألوهية أو العبودية وهو أن يعبد مع الله غيره من الأنبياء والصالحين كالاستغاثة بهم وندائهم عند الشدائد ونحو ذلك، وهذا مع الأسف في هذه الأمة كثير ويحمل وزره الأكبر أولئك المشايخ الذين يؤيدون هذا النوع من الشرك باسم التوسل " يسمونها بغير اسمها ".

الثالث: الشرك في الصفات وذلك بأن يصف بعض خلقه تعالى ببعض الصفات الخاصة به عز وجل كعلم الغيب مثلا وهذا النوع منتشر في كثير من الصوفية، ومن تأثر بهم مثل قول بعضهم في مدحه النبيﷺ : فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم، ومن هنا جاء ضلال بعض الدجالين يزعمون أنهم يرون رسول الله ﷺ اليوم يقظة، ويسألونه عما خفي عليهم من بواطن نفوس من يخالطونهم ويريدون تأميرهم في بعض شؤونهم ورسول الله ﷺ ما كان ليعلم مثل ذلك في حال حياته، هذه الأنواع الثلاثة من الشرك من نفاها عن الله في توحيده إياه فوحده في ذاته وفي عبادته وفي صفاته فهو الموحد الذي تشمله كل الفضائل الخاصة بالموحدين ومن أخل بشيء منه فهو الذي يتوجه إليه مثل قوله تعالى: ﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[الزمر:65]، انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص31.

(4) ردف: راكبا خلفه، حاشية صحيح البخاري.

(5) عفير: من العفرة وهي حمرة يخالطها بياض، المصدر نفسه.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: اسم الفرس والحمار، ج4، ص29، رقم2856، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: من لقى الله بالإيمان وهو غير شاك، ج1، ص58، رقم30.

2. حق الرسول ﷺ على أتباعه المحبة الصادقة التي تثمر الطاعة، والإتباع وعبادة الله بما جاء به، هو المعنى الذي يشير إليه الحديث الشريف، قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[1]، وهو معنى قولنا أشهد أن محمداً رسول الله .

3. حقوق عباد الله الصالحين تلك الحقوق التي نستطيع أن نستنتجها من قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[2].

الخلاصة:

إن معرفة هذه الحقوق، وإعطاء كل ذي حق حقه أمراً له أهميته ولا سيما حق الله على عباده، تجب العناية به علماً وعملاً؛ لأنه الغاية التي من أجلها خلق الإنسان قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56]، فالموقف السليم لحق الرسول ﷺ، وعباد الله الصالحين، هو عدم الغلو فيهم مع عدم الجفاء، بل الواجب محبتهم في الله وموالاتهم ولنا أن نطلب منهم الدعاء في حياتهم، ويسمى الاستشفاع بهم، أو التوسل بهم، ولابد أن نفرق بين محبتهم لله ومحبتهم مع الله، قال ابن تيمية" يجب الفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله فمن أحب مخلوقاً كما يحب الخالق فقد جعله نداً لله، وهذه المحبة تضره ولا تنفعه، وأما من كان الله تعالى أحب إليه مما سواه، وأحب أنبياءه وعباده الصالحين له فحبه لله تعالى هو أنفع الأشياء، والفرق بين هذين من أعظم الأمور" [3]، قال ابن القيم:

فالحج للرحمن دون رسوله	وكذا الصلاة وذبح ذا القربان
وكذا السجود ونذرنا ويميننا	وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والإنابة والتقى	وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به	إياك نعبد ذان توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره	دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير والتـ	ـهليل حق إلهنا الديان

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الإيمان، ب: حب الرسول ﷺ من، ج1، ص12، رقم15، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: وجوب محبة رسول الله ﷺ، ج1، ص67، رقم44.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الإيمان، ب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج1، ص12، رقم13، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن ،ج1، ص67، رقم45.

(3) قاعدة التوسل والوسيلة، ص 118.

لكنما التعزيز والتوقير حـ ق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تجهلوها يا أولي العدوان
حق الإله عبادة بالأمر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئاً هما سببا النجاة فحبذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله المـ قبول إذ هو صاحب البرهان(1)

ثانياً: التباسهم وخلطهم لمفهوم العبادة التي هي حق الله على العباد:

العبادة لغة:

1. **النسك**: النُّسْكُ: العبادة (2).
2. **الطاعة مع الخضوع**، ويقال طريق معبد إذا كان مذللا بكثرة الوطء(3).
3. **الدعاء**: وقد يكون الدعاء عبادة؛ ومنه قول الله جل وعز: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[الأعراف:194]، أي: الذين تعبدون من دون الله(4).
4. **التذليل**: أصل العبادة في اللغة، من قولهم: طريق معبد: أي مذلل، بكثرة الوطء عليه(5).
5. **غضب وأنف**: وعبد من باب طرب أي: غضب وأنف(6).

---

(1) نونية ابن القيم، ص249.

(2) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: 8، ج5، ص314، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: مسعد عبد الحميد السعدني ،الناشر: دار الطلائع، عدد الأجزاء:1،ج1،ص61، الصحاح، ج4، ص 1612.

(3) تهذيب اللغة، ج2، ص 138.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص76، والمحكم والمحيط الأعظم،ج5، 265.

(5) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (المتوفى: 458هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م، عدد الأجزاء: 5 ج4، ص62، وتهذيب اللغة، ج2، ص141.

(6) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية– الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م، عدد الأجزاء:1، ص198.

العبادة اصطلاحاً:

- " ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود ويقال تعظيم الله تعالى بأمره"(1)
- "هو فعل المكلف على خلاف هوى نفسه؛ تعظيماً لربه"(2).
- "الطاعة مع الخضوع والتذلل، وهو جنس من الخضوع لا يستحقه إلا الله، وهو خضوع ليس فوقه خضوع، وسمي العبد عبدًا، لذلته وانقياده لمولاه"(3).
- "فعل خلص لله بالاختيار تعظيماً له بإذنه"(4).
- "فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه، وقيل: تعظيم الله وامتثال أوامره، وقيل: هي الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل بعض العباد لبعض، ولذلك اختص الرب فهي أخص من العبودية لأنها التذلل"(5).

والتعريف الجامع المانع هو تعريف ابن تيمية: " هي اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه،

---

(1) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ، عدد الأجزاء: 1، ص77.

(2) التعريفات، ص 146، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية- لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ- 2000م، عدد الأجزاء: 4، ج2، ص216.

(3) المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: 709هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى 1423هـ- 2003 م، عدد الأجزاء: 1، ص188.

(4) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب- القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، 1424هـ- 2004 م، عدد الأجزاء: 1، ص75.

(5) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)،الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م، عدد الأجزاء: 1، ص235.

وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه، والتوكل عليه والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله"[1].

أنواع العبادات:

1. **عبـادات قلبيــة:** كالحب والخوف والإخلاص، والتوكل والصبر والتعظيم، والرضا والتسليم وغيرها.
2. **عبـادات قوليـة:** كالدعاء والذكر والتسمية والاستعاذة والاستغاثة، والحلف والتوسل والشفاعة وغير ذلك.
3. **عبادات بدنيـة عمليـة:** مثل الصلاة من سجود وركوع، وتسليم، وكالصيام والحج، والطواف والسعي، والجهاد والرحلة في طلب العلم، وغير ذلك.
4. **عبادات مالية:** كالزكاة والصدقات والذبائح والنذور وغيرها.

شروط العبادة وأركانها:

لقد تبين لنا من خلال التعريفات أن حقيقة عبادة الله تعالى وأصلها كمال المحبة له مع كمال الذل والخضوع، وعبادة الله تعالى لا تكون مقبولة ولا مرضية له جل وعلا حتى تستكمل شروطها وأركانها.

شروط العبادة:

للعبادة ثلاثة شروط، فالأول شرط في صدور العبادة ووقوعها، والآخران شرطان في قبولها.

1. **صدق العزيمة:** وهو أن يبذل العبد جهده في امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه، والاستعداد للقاء الله وترك العجز وترك التكاسل عن طاعة الله[2].
2. **الإخلاص:** وهو أن يقصد العبد بعبادته وجه الله تعالى دون سواه، قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: 5]، وهي كلمة التوحيد لا إله إلا الله.
3. **موافقة شرع الله تعالى:** وذلك بأن تكون العبادة في وقتها وصفتها موافقة لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلا يزيد في عبادته عملاً أو قولاً لم يرد فيهما، ولا يفعلها في غير وقتها،

---

(1) العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)،المحقق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة 1426هـ- 2005م، ص44.

(2) انظر: مختص معارج القبول، أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة، الناشر : مكتبة الكوثر – الرياض، الطبعة : الخامسة، 1418 هـ، عدد الأجزاء : 1،ص109.

وكذلك لا يتعبد لله بعبادة لم ترد فيهما، وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله، فلا يعبد الله تعالى إلا بما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ.

أركان (أصول) العبادة:

1. **المحبة لله تعالى:** هذا الأصل هو أهم أصول العبادة، فالمحبة هي أصل العبادة، فيجب على العبد أن يحب الله تعالى، وأن يحب جميع ما يحبه تعالى من الطاعات، وأن يكره جميع ما يكرهه من المعاصي، وأن يحب جميع أوليائه المؤمنين، وكل هذا واجب على المسلم لا خيار له فيه، وهي عقيدة الولاء والبراء، قال ابن تيمية: " أصل الموالاة هي المحبة كما أن أصل المعاداة البغض"[(1)]

2. **الخوف من الله تعالى:** هو التقوى، قال الإمام الشافعي: " وأما إضافتها إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ [المدثر: 56]، فمعناه: أهل لأن يتّقى عقابه ويحذر عذابه، وسئل علي رضي الله تعالى عنه عنها قال: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرّحيل"[(2)]، فيجب على المسلم أن يعبد الله تعالى خوفاً من عقوبته، كما قال تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].

3. **الرجاء:** قال ابن القيم :"حقيقة الرجاء: الخوف والرجاء، فيفعل ما أمر به على نور الإيمان، راجياً الثواب، ويترك ما نهى عنه على نور الإيمان خائفاً من العقاب"[(3)]، كما قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [الأعراف: 56]، وقال في موضع آخر: "ومن منازل:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]، منزلة الرجاء،.... قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ

(1) قاعدة في المحبة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)،المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، عدد الأجزاء: 1، ص198.

(2) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد ابن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: 942هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ- 1993 م، عدد الأجزاء:12، ج1، ص 421.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1، ص 497.

﴿مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: 57]، فابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب منه بالعبودية والمحبة، فذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه: الحب، والخوف، والرجاء"[1].

الخلاصة:

تبين مما سبق أن الدعاء أصل، ترجع سائر أنواع العبادة إليه، وميزان حقائقها توزن عليه، لقول النبي ﷺ قال: (الدعاء هو العبادة،﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:60])[2]، فإن المتقرب لغير الله بأي وسيلة من وسائل العبادة، لو يعلم عجز المتقرب إليه وعدم دفعه الضر وجلبه النفع، وعدم قدرته، لما تضرع وتمسكن وأبدى الخضوع بين يديه، ولم يشرع الله ﷻ التقرب بشيء من حقه إلى ملائكته أو رسله أو الصديقين والصالحين من خلقه، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:21]، ولا يتقرب إلى الله إلا بما شرعه على لسان من لا ينطق عن الهوى، قال تعالى:﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون:7]، ولم يشرع لهذه الأمة إلا ما شرعه لجميع الأنبياء والمرسلين، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة وإخلاصها له وإقامة الدين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25].

إذاً يكون العمل عبادة إذا كَمُل فيه شيئان وهما كمال الحب مع كمال الذل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:165]، وقال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:57]، وقد جمع الله بينهما في قوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء:90].

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ج2، ص36.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الصلاة، ب: الدعاء، ج2، ص 76، رقم1479، وأخرجه الترمذي في سننه، ك: أبواب تفسير القرآن، ب: ومن سورة البقرة، ج5، ص211، رقم 2969، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وحكم الألباني : صحيح.

المطلب الثاني
التقليد الأعمى واتخاذه مذهباً ودينا

أولاً: التقليد لغة واصطلاحاً:

التقليد لغة:

قلد: القاف واللام والدال أصلان صحيحان، يدل أحدهما: على تعليق شيء على شيء وليه به، والآخر: على حظ ونصيب، فالأول التقليد: تقليد البدنة، وذلك أن يعلق في عنقها شيء ليعلم أنها هدي، والأصل الآخر: القلد: الحظ من الماء، وأصل القلد: الفتل، يقال: قلدت الحبل أقلده قلدا، إذا فتلته[1].

قلد: قلده قلاداً وتقلدها، القلادة التي في العنق، ومنه التقليد في الدين، وتقليد الولاة الأعمال، وتقليد البدنة، أن يعلق في عنقها شيء ليعلم أنها هدي، ويقال: تقلدت السيف[2].

التقليد: مصدر قلد، وهو وضع الشيء في العنق مع الإحاطة به، ويسمى ذلك قلادة[3].

التقليد اصطلاحاً:

في عرف الفقهاء: قبول قول غيره من غير حجة، أخذاً من المعنى اللغوي، ولا يسمى الآخذ بالكتاب والسنة والإجماع: مقلدًا[4].

- " قبول قول المجتهد"[5].
- "عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل، معتقداً للحقيقة فيه، من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه"[6].
- "عبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل"[7].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، ج5، ص 19.

(2) الصحاح، ج2، ص527، طلبة الطلبة، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (المتوفى: 537هـ)، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1311هـ، عدد الأجزاء:1، ص36، ومختار الصحاح،ص259، ولسان العرب، ج3، ص367.

(3) المطلع على ألفاظ المقنع، ص87.

(4) المصدر نفسه، ص87.

(5) تحرير ألفاظ التنبيه، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، المحقق: عبد الغني الدقر، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، 1408، عدد الأجزاء:1، ص60.

(6) التعريفات، ص64، وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ج1، ص231.

(7) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص67، والتعريفات، ص64.

يقول أبو البقاء الكفوي[1] : "قال عامة أهل السنة: يكون الإجماع حجة، إن كان من الله يوحى بالروح الأمين، وقد تواتر نقله فهو الكتاب، وإلا فإن كان من الرسول فهو السنة، وإن كان من غيره، فإن كان آراء جميع المجتهدين فهو الإجماع، أو رأي بعضهم فهو القياس وأما رأي غير المجتهد سواء كان الحاكم وهو الإلهام، أو رأي غيره وهو التقليد، فلا يثبت بهما الحكم الشرعي، لعدم كونهما حجة"[2]، وقال في موضع آخر: "وأصل كفر عبدة الأوثان وغيرهم: التقليد الرديء حتى قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23]؛ ولهذا قال المحققون: لا يكفي التقليد في عقائد الإيمان" [3].

الخلاصة:

يتضح أن المقلد جعل كلام الغير قلادة في عنقه بغير علم ولا هدى، وهذا هو التقليد المذموم وخصوصاً بأمور الشرع لابد أن تكون حجة، وهي اتباع النبي ﷺ،، واتباع الصحابي، واتباع أهل الإجماع، فلا يسمى اتباع شيء من ذلك تقليداً؛ لأنه اتباع للحجة، لكن قد يسمى تقليداً على وجه المجاز والتوسع، كما البدعة الحسنة، قال ابن عبد البر[4] – رحمه الله –: "قال عبد الله بن المعتز[5]: لا فرق بين بهيمة تقاد وإنسان يقلد، وهذا كله لغير العامة؛ فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها؛ لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تصل لعدم الفهم إلى علم ذلك؛ لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة"[6]، فالعلم معرفة الحق بدليله، قال ابن القيم: " وهذا كما قال ابن

---

(1) هو: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء :صاحب (الكليّات– ط) كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد(ت:1094هـ)،انظر: الأعلام ،ج 2 ، ص 38.

(2) الكليات، ص 43.

(3) المصدر نفسه، ص765.

(4) هو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة. يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة، وتوفي بشاطبة، (368–463)هـ، انظر: الاعلام ، ج 8، ص240 .

(5) هو: عبد الله بن محمد المعتز باللَّه بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم،(247–296)هـ، انظر: الأعلام ،ج4 ، ص118

(6) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ– 1994 م، عدد الأجزاء: 2، ج2، ص 988، رقم 1887.

عبد البر: فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد"(1)، فالفرق بين العلم والتقليد: أن العلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة، والتقليد قبول الأمر ممن لا يؤمن عليه الغلط بلا حجة، فهو وإن وقع معتقده على ما هو به فليس بعلم لأنه لا ثقة معه، واشتقاقه من قول العرب قلدته الأمانة أي: ألزمته إياها فلزمته لزوم القلادة للعنق، ثم قالوا طوقته الأمانة؛ لأن الطوق مثل القلادة، ويقولون: هذا الأمر لازم لك وتقليد عنقك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾[الإسراء: 13]، أي: ما طار له من الخير والشر، والمراد به عمله، يقال: طار لي منك كذا أي: صار حظي منك، ويقال: قلدت فلاناً ديني ومذهبي، أي: قلدته إثماً إن كان فيه، وألزمته إياه إلزام القلادة في عنقه، ولو كان التقليد حقاً لم يكن بين الحق والباطل فرق(2).

حكم التقليد:

التقليد جملة جائز للعامة الذين لا قدرة لهم على النظر في الأدلة واستنباط الأحكام منها.

قال ابن عبد البر: "ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله ﷻ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، وأجمعوا على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبلة إذا أشكلت عليه، فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه، وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا، وذلك والله أعلم لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم والقول في العلم "(3).

قال ابن تيمية: " والذي عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة، والتقليد جائز في الجملة، لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد، وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد"(4).

---

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ- 1991م، عدد الأجزاء:4، ج1، ص 6.

(2) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ قم، الطبعة: الأولى، 1412هـ،عدد الأجزاء:1، ص371.

(3) جامع بيان العلم وفضله، ج2، ص 988، رقم 1887.

(4) مجموع الفتاوى، ج20، ص 204.

إن موضع التقليد هو موضع الاجتهاد، فما جاز فيه الاجتهاد من المسائل جاز فيه التقليد، وما حرم فيه الاجتهاد حرم فيه التقليد، والمقلد تابع للمجتهد في اجتهاده، يلزمه تقليده، وليس له أن يرجح أو يصوب أو يخطئ؛ إذ لا قدرة له على ذلك، لذلك ساغ تسمية التقليد تقليدًا، فكأن المقلد وضع أمره وفوضه إلى المجتهد كالقلادة إذا جعلت في العنق.

أقسام التقليد:

ينقسم التقليد إلى قسمين:

1. تقليد محمود (مباح): وهو تقليد العاجز عن الاجتهاد؛ لأنه لم يقدر على التوصل إلى الحكم الشرعي بنفسه فلم يبقى أمامه إلا اتباع من يرشده من أهل النظر والاجتهاد إلى ما يجب عليه من التكاليف، قال ابن القيم: وهذا تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفي عليه بعضه فقلد فيه من هو أعلم منه فهذا محمود غير مذموم، ومأجور غير مأزور، قال تعالى: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنبياء: 7] (1).

2. تقليد مذموم (محرم) (2): وهو ثلاثة أنواع ذكرهم ابن القيم:

الأول: ما تضمن الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [المائدة: 104]، وهذا في القرآن كثير يذم فيه من أعرض عما أنزله وقنع بتقليد الآباء.

الثاني: تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأخذ قوله.

الثالث: التقليد بعد ظهور الحجة وقيام الدليل عند شخص على خلاف قول المقلد، والفرق بين هذا وبين النوع الأول أن الأول قلد قبل تمكنه من العلم والحجة، وهذا قلد بعد ظهور الحجة له؛ فهو أولى بالذم ومعصية الله ورسوله.

فساد التقليد الأعمى ونفيه والفرق بين التقليد والاتباع:

قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه فقال: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ [التوبة: 31]، عن عدي بن حاتم، قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي

(1) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج2، ص130.

(2) انظر: المصدر السابق، ج2، ص 129.

صليب من ذهب فقال: (يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه)[1]، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً[2] ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا)[3]، وقال تعالى معاتبا لأهل الكفر وذاماً لهم : ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 52-53]، ومثل هذا في القرآن والسنة كثير من ذم تقليد الآباء والرؤساء، وقد احتج العلماء بهذه الآيات والأحاديث في إبطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها؛ لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر، وإنما وقع التشبيه بين المقلدين بغير حجة للمقلد، كما لو قلد رجلاً فكفر وقلد آخر فأذنب وقلد آخر في مسألة فأخطأ، وجهها كان كل واحد ملوماً على التقليد بغير حجة؛ لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضا وإن اختلفت الآثام فيه، وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 115]، فإذا بطل التقليد بكل ما ذكر وجب التسليم للأصول التي يجب التسليم لها، وهي الكتاب والسنة وما كان في معناهما بدليل جامع[4]

مما سبق تبين أن الله ورسوله وأهل العلم قد فرق بين التقليد والاتباع، كما فرقت الحقائق بينهما، فإن الاتباع: سلوك طريق المتبع والإتيان بمثل ما أتى به، والتقليد: قبول قول الغير من غير حجة أو من غير معرفة دليله، فاتباع القول الذي شهد الدليل بصحته، يكون المتبع عاملاً بعلم وعلى بصيرة بصحة ما يعمل به، ويكون متبعاً للدليل الشرعي، قال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3].

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، ك: أبواب تفسير القرآن، ب: ومن سورة التوبة، ج5، ص278، رقم 3065، وقال: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث"، حكم الألباني: حسن.

(2) انتزاعاً: محوا من صدور العلماء، حاشية صحيح البخاري ص100.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: العلم، ب: كيف يقبض العلم، ج 1، ص31، رقم 100، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: العلم، ب: رفع العلم وقبه وظهور الجهل، ج4، ص2058، رقم 2673.

(4) انظر: جامع بيان العلم وفضله، ج2، ص 975-977، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج 2، ص131-132.

"وكل من عدل عن اتباع الكتاب والسنة وطاعة الله والرسول إلى عادته وعادة أبيه وقومه فهو من أهل الجاهلية المستحقين للوعيد، وكذلك من تبين له في مسألة من المسائل الحق الذي بعث الله به رسوله ثم عدل عنه إلى عادته فهو من أهل الذم والعقاب، وأما من كان عاجزاً عن معرفة حكم الله ورسوله، وقد اتبع فيها من هو من أهل العلم والدين ولم يتبين له أن قول غيره أرجح من قوله فهو محمود يثاب لا يذم على ذلك ولا يعاقب وإن كان قادراً على الاستدلال ومعرفة ما هو الراجح"[1]، قال رسول الله ﷺ في حديث طويل: (... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله...)[2].

قال الماوردي[3]: فإذا تقرر فساد التقليد وجب النظر في أصول الشرع ليصل إلى العلم بموجبها، وأبطل قوم وجوب النظر، وعولوا على الإلهام لقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]، فحملوه على إلهام القلوب دون اعتبارها، وهذا تأويل فاسد وقول مطرح لقول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:53]، فدل على أن رؤية الآيات تدل على الحق دون الإلهام، وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾[الشورى: 10]، يعني إما بالنص على حكمه، وإما بالنص على أصله، ولم يجعل لإلهام القلوب علماً بغير أصل، وهذا دليل على فساد التقليد، ووجوب الرجوع إلى أدلة الأصول[4].

---

(1) مجموع الفتاوى، ج 20، ص 225.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، في الحج، باب: حجة النبي ﷺ، ج2، ص886، رقم1218.

(3) هو: علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي، أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة .ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جُعل " أقضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خللا أو يزيل خلافا. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد،(364–450)هـ، انظر: الأعلام ،ج 4 ،ص327.

(4) انظر: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد ابن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض– الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ –1999 م، عدد الأجزاء: 19، ج16، ص53.

والصحابة ﷺ والتابعين وأئمة الإسلام قد ذموا التقليد وأهله ونهوا عنه، وكانوا يسمون المقلد الإمعة ومحقب[1] دينه، كما قال ابن مسعود ﷺ: **(الإمعة الذي يحقب دينه الرجال)**[2]، وكانوا يسمونه الأعمى الذي لا بصيرة له، ويسمون المقلدين أتباع كل ناعق، يميلون مع كل صائح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يركنوا إلى ركن وثيق، كما قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة، وكما سماه الشافعي حاطب ليل، ونهى عن تقليده وتقليد غيره؛ فجزاه الله عن الإسلام خيرا، لقد نصح لله ورسوله والمسلمين ودعا إلى كتاب الله وسنة رسوله، وأمر باتباعهما دون قوله، وأمرنا بأن نعرض أقواله عليهما فنقبل منها ما وافقهما ونرد ما خالفهما،... وقد صح عن أبي يوسف أنه قال: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا"[3].

والرد على دعوى أن الأئمة قالوا بجواز التقليد قال ابن القيم: " الأئمة لم يقلدوا تقليدكم، ولا سوغوه البتة، بل غاية ما نقل عنهم من التقليد في مسائل يسيرة لم يظفروا فيها بنص عن الله ورسوله، ولم يجدوا فيها سوى قول من هو أعلم منهم فقلدوه، وهذا فعل أهل العلم، وهو الواجب؛ فإن التقليد إنما يباح للمضطر، وأما من عدل عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وعن معرفة الحق بالدليل مع تمكنه منه إلى التقليد فهو كمن عدل إلى الميتة مع قدرته على المذكى؛ فإن الأصل أن لا يقبل قول الغير إلا بدليل إلا عند الضرورة، فجعلتم أنتم حال الضرورة رأس أموالكم"[4].

قال ابن تيمية:" قد ذم الله تعالى في القرآن من عدل عن اتباع الرسل إلى ما نشأ عليه من دين آبائه، وهذا هو التقليد الذي حرمه الله ورسوله، وهو أن يتبع غير الرسول فيما خالف فيه الرسول، وهذا حرام باتفاق المسلمين على كل أحد، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والرسول طاعته فرض على كل أحد من الخاصة والعامة في كل وقت وكل مكان؛ في سره وعلانيته وفي جميع أحواله، وهذا من الإيمان قال تعالى:﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْـمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْـمُفْلِحُونَ**﴾[النور:51]"[5].

(1) حقَّبَ يحقِّب، تحقيبًا، فهو مُحقِّب، حقب التاريخ البشري: قسمه إلى حقب زمنية مختلفة، انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، من مادة: ح ق ب، ج 1، ص 528.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الزهد، ب: من خبر ابن مسعود، ج1، ص140، رقم، 133، والزهد لأبي داود السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ- 1993 م، عدد الأجزاء: 1.

(3) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج2، ص183-184.

(4) المصدر السابق، ج2، ص183-184.

(5) مجموع الفتاوى، ج19، ص 260.

الفصل الثاني
أقسام الشبهات حسب الأدلة النقلية

المبحث الأول: أدلتهم من القرآن الكريم، وفهمهم الخاطئ لتفسير الآيات.

المبحث الثاني: أدلتهم من الأحاديث النبوية الصحيحة وفهمهم الخاطئ لها.

المبحث الثالث: الاستدلال بالأحاديث الضعيفة.

المبحث الأول
أدلتهم من القرآن الكريم، وفهمهم الخاطئ لتفسير الآيات

المطلب الأول: الشبهة الأولى: استدلالهم بقوله تعالي: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ دليل على التوسل بالأنبياء.

المطلب الثاني: الشبهة الثانية: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾.

المطلب الثالث: الشبهة الثالثة: استدلالهم بقوله تعالى : ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾.

توطئة:

لقد بعث الله تعالى الرسل عليهم السلام، وجعلهم مفتاح دعوته، وزبدة رسالاتهم معرفة الله سبحانه وتعالى، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها، فأعرف الناس بالله ﷻ أتبعهم للطريق الموصل إليه؛ لهذا سمى الله ما أنزله على رسوله ﷺ روحاً؛ لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونوراً لتوقف الهداية عليه، قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[الشورى:52]؛ فلا سبيل إلى الهدى إلا فيما جاء به النبي محمد ﷺ.

والتوسل الحق هو الذي علمنا إياه الرسول ﷺ، وذلك عن طريق أفعاله وأقواله، عن أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال: سألت عائشة أم المؤمنين، بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: (اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)[1]، لقد توجه النبي ﷺ إلى ربه بربوبية جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، لم يقل بدعائه أسألك بجبرائيل وبميكائيل وبإسرافيل، وكذلك لم يقل بمكانتهم عندك أو بحرمتهم، بل قال: (اللهم رب) أي: توسل إلى الله بربوبيتهم، فالواجب أن نجعل ما قاله الله ورسوله ﷺ هو الأصل، نسأل الله السداد والتوفيق قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[هود: 88].

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ج1، ص534، رقم770.

المطلب الأول

الشبهة الأولى: استدلالهم بقول الله تعالى: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ ﴾ دليل على التوسل بالأنبياء.

لقد استدل أهل البدع والأهواء على كثير من الآيات القرآنية؛ لإثبات ما فهموه من هذه الآيات، وفهمهم الخاطيء لها أدى بهم إلى الوقوع في الشبهات، ومن أهم هذه الآيات ما يلي:

الشبهة الأولى: استدلالهم بقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة:35].

وقبل الرد على هذه المسألة لابد من:

أولاً: تحرير محل النزاع:

اتفق جميع العلماء وجميع المذاهب على أن التوسل بالله تعالى وأسمائه وصفاته، والتوسل بالأعمال الصالحة، والتوسل بدعاء الرجل الصالح جائز، وهو من أساسيات العقيدة لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بذلك قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:60]، واختلفوا في التوسل بالنبي محمد ﷺ خاصة، وفي التوسل بالأنبياء والصالحين والأولياء.

ثانياً: أقوال العلماء المجيزين والمانعين:

ذكر ابن تيمية عدة أقوال هي:

1. " قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك، أو بحق خلقك.
2. قال أبو يوسف: بمعقد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا، وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام .
3. قال القدوري[1]: المسألة بخلقه لا تجوز لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقاً.

---

(1) شيخ الحنفية، أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان البغدادي، القدوري، انتهت إليه بالعراق رئاسة الحنفية، وعظم وارتفع جاهه، وكان حسن العبارة (2)، جريء اللسان، مديما للتلاوة، (توفى: 428)، انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة، 1405 هـ / 1985 م، عدد الأجزاء : 25، ج 17، ص 574-575.

4. ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروذي[1] التوسل بالنبي ﷺ في الدعاء، ونهى به آخرون.

5. أفتى أبو محمد ابن عبد السلام أنه لا يقسم على الله بأحد من الملائكة والأنبياء وغيرهم، لكن ذكر له أنه روي عن النبي ﷺ حديث في الإقسام به، فقال: إن صح الحديث كان خاصاً به[2]، والحديث المذكور[3] لا يدل على الإقسام به، وقد قال النبي ﷺ: (من كان حالفاً فليحلف بالله وإلا فليصمت)[4]، وقال: (من حلف بغير الله فقد أشرك)[5]، فإن كان مقصود المتوسلين التوسل بالإيمان بالنبي محمد ﷺ، وبمحبته وبموالاته وبطاعته، فلا نزاع بين الطائفتين، وإن كان مقصودهم التوسل بذاته فهو محل النزاع، وما تنازعوا فيه يرد إلى الله والرسول ﷺ"[6].

---

(1) لقد ذكر ابن تيمية في قاعدة جليلة المروذي بالذال، أما في الفتاوى الكبرى فقال: المروزي بالزاي، وقال – عبارة أحمد بن حنبل في منسك المروزي– : " إنه قال في السلام على النبي ﷺ : ولا تستقبل الحائط، وخذ مما يلي صحن المسجد فسلم على أبي بكر وعمر، وقال: فإذا أردت الخروج فأ ت المسجد وصل ركعتين وودع رسول الله ﷺ بمثل سلامك الأول، وسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وحول وجهك إلى القبلة وسل الله حاجتك متوسلاً إليه بنبيه ﷺ تقض من الله عز وجل"، ولقد أوضح المسألة في كتابه الرد على الإخنائي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: أحمد بن مونس العنزي، دار النشر: دار الخراز – جدة، الطبعة: الأولى 1420هـ / 2000م،
عدد الأجزاء: 1، ص409–410.

(2) انظر: الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، عدد الأجزاء: 2، ج2، ص347.

(3) عن عثمان بن حنيف، أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني قال: (إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في): أخرجه الترمذي في سننه، ك: الدعوات، باب: لم يذكر، ج5، ص569، رقم3578، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي، حكم الألباني: صحيح.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الشهادات، ب: كيف يستحلف، ج3، ص180، رقم2679، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك:الأيمان، ب: النهي عن الحلف بغير الله تعالى، ج3، ص1267، رقم1646، بهذا اللفظ: (من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله، وكانت قريش تحلف بآبائها، فقال: لا تحلفوا بآبائكم).

(5) أخرجه أبو داود في سننه، ك:الأيمان والنذور، ب: في كراهية الحلف بلآباء، ج3، ص223، رقم 3251، حكم الألباني صحيح.

(6) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص 199و307، الفتاوى الكبري،ج2، ص422.

6. قال ابن الحاج المالكي[1]: فإن كان الميت المزار ممن ترجى بركته فيتوسل إلى الله تعالى به، ويبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ، إذ هو العمدة في التوسل، والأصل في هذا كله، ثم يتوسل بأهل تلك المقابر أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه، ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم ويكثر التوسل بهم إلى الله تعالى؛ لأنه سبحانه وتعالى اجتباهم وشرفهم وكرمهم فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر، فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم، فإنهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه، فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل، والانكسار، والمسكنة، والفقر، والفاقة، والحاجة، والاضطرار، والخضوع ويحضر قلبه وخاطره إليهم، وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره؛ لأنهم لا يبلون ولا يتغيرون، ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله، ثم يصلي عليهم ويترضى عن أصحابهم، ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم ويجزم بالإجابة ببركتهم ويقوي حسن ظنه في ذلك فإنهم باب الله المفتوح، وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم وذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك، فإنهم السادة الكرام، والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل بهم، ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم هذا الكلام في زيارة الأنبياء، والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً[2].

7. قال السبكي [3] : "اعلم أنه يجوز، ويحسن التوسل، والاستغاثة، والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى"[4].

8. قال الإمام الشوكاني: التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين أنه يجوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا، وثبت بالسنة المتواترة، واتفاق جميع الأمة أن نبينا ﷺ هو الشافع المشفع، وأنه يشفع للخلائق يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به

(1) محمد بن أحمد بن خلف التجيبي، المعروف بابن الحاج: قاضي قرطبة، كانت الفتيا في وقته تدور عليه، واستمر في القضاء إلى أن قتل ظلما بجامع قرطبة، وهو ساجد. له كتاب في " نوازل الأحكام " تداوله الناس زمنا بعده، (458-5299)هـ، انظر: الأعلام للزركلي، ج 5، ص 317.

(2) انظر: المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: 737هـ)، الناشر: دار التراث، عدد الأجزاء: 4، ج1، ص254-258.

(3) هو: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقيّ الدين: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات، (683-756) هـ، انظر: الأعلام للزركلي، ج 4، ص 302. ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر) والنتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام. وولي قضاء الشام سنة 739 هـ واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها،

(4) شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص357.

ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربه، ولم يقع الخلاف إلا في كونها لمحو ذنوب المذنبين، أو لزيادة ثواب المطيعين، ولم يقل أحد من المسلمين بنفيها قط، وأن التوسل بهﷺ يكون في حياته وبعد موته، وفي حضرته ومغيبه، فقد ثبت التوسل به ﷺ في حياته، وثبت التوسل بغيره من الأحياء بعد موته بإجماع الصحابة سكوتياً لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه، وأنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ كما زعمه الشيخ عز بن عبد السلام لأمرين:

الأول: ما كان من إجماع الصحابة.

الثاني: إن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة، ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله، كما في حديث الغار، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضله غير جائز، أو كان شركاً كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام، ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة من الله لهم، ولا سكت النبي ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم [1].

9. قال الشيخ ناصر الدين الألباني بعد أن أشار إلى التوسل المشروع: "وأما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلاف، والذي نعتقده وندين الله تعالى به أنه غير جائز، ولا مشروع؛ لأنه لم يرد فيه دليل، تقوم به الحجة، وقد أنكره العلماء المحققون في العصور الإسلامية المتعاقبة، مع أنه قد قال ببعضه بعض الأئمة، فأجاز الإمام أحمد التوسل بالرسول ﷺ وحده فقط، وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين، ولكنا كشأننا في جميع الأمور الخلافية، ندور مع الدليل حيث دار ولا نتعصب للرجال، ولا ننحاز لأحد إلا للحق كما نراه ونعتقده، وقد رأينا الحق مع الذين حظروا التوسل بمخلوق، ولم نر لمجيزيه دليلاً صحيحاً يعتد به، ونحن نطالبهم بأن يأتونا بنص صحيح صريح من الكتاب أو السنة فيه التوسل بمخلوق، وهيهات أن يجدوا شيئاً يؤيد ما يذهبون إليه، أو يسند ما يدعونه، اللهم إلا شبهاً واحتمالات"[2].

نلاحظ مما سبق أن العلماء اختلفوا على قولين:

القول الأول: بعدم جواز التوسل بالنبي وغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعد مماتهم.

---

(1) انظر: الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، ج1، ص310-315.

(2) التوسل أنواعه وأحكامه، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، المحقق: محمد عيد العباسي، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الطبعة الأولى 1421 هـ- 2001 م، عدد الأجزاء: 1، ص42.

القول الثاني: جواز التوسل بالنبي وغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في جميع الأحوال، في حياتهم وبعد مماتهم.

ثالثاً: سبب الخلاف:

يرجع منشأ الخلاف في هذه المسألة بين العلماء إلى اختلافهم في فهم قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾المائدة:35؛ والالتباس في لفظ التوسل والوسيلة، وذلك لأن لفظ التوسل مجملاً كما أوضحنا سابقاً في التمهيد ص12، .

رابعاً: أدلة الأقوال:

القول الأول: لقد ذكرت أدلتهم في بداية التمهيد عند التعريف بالتوسل، وكان حاصلها: هو أن التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته، وأما التوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به، والسؤال به، كما يقسمون ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين، ومن يعتقدون فيه الصلاح، وحينئذ فلفظ التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنة، فلفظ التوسل بالنبي يراد به ثلاثة معان:

أحدهما: التوسل بطاعته، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

الثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

الثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى[1].

قال شارح العقيدة الطحاوية: "لفظ التوسل بالشخص والتوجه به فيه إجمال، غلط بسببه من لم يفهم معناه، فإن أريد به التسبب به لكونه داعياً وشافعاً، وهذا في حياته يكون، أو لكون الداعي محباً له، مطيعاً لأمره، مقتدياً به، وذلك أهل المحبة والطاعة والاقتداء، فيكون التوسل إما بدعاء الوسيلة والشفاعة، وإما بمحبة السائل واتباعه، أويراد به الإقسام به والتوسل بذاته، فهذا الذي كرهوه ونهوا عنه، وكذلك السؤال بالشيء، قد يراد به التسبب به؛ لكونه سبباً في حصول المطلوب، وقد يراد به الإقسام به"[2].

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص238، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص 87، والفتاوى الكبرى، ج2، ص422.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، ص238.

السؤال كسؤال الله تعالى بأسمائه وصفاته، وليس ذلك إقساماً عليه، فإن أفعاله هي مقتضى أسمائه وصفاته، فمغفرته ورحمته من مقتضى اسمه الغفور الرحيم، وعفوه من مقتضى اسمه العفو، فإذا سئل المسئول بشيء – والباء للسبب – سئل بسبب يقتضي وجود المسئول، فإذا قال: (أسألك بأن لك الحمد أنت الله المنان بديع السموات والأرض)[1]، كان كونه محموداً مناناً بديع السموات والأرض يقتضي أن يمن على عبده السائل، وكونه محموداً هو يوجب أن يفعل ما يحمد عليه، وحمد العبد له سبب إجابة دعائه؛ ولهذا أمر المصلي أن يقول: سمع الله لمن حمده، أي: استجاب الله دعاء من حمده، فالسماع هنا بمعنى الإجابة والقبول، لقول الله تعالى: ﴿**وَلَوْعَلِمَ اللَّـهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[الأنفال: 23]، فذمهم بأنهم لا يفهمون القرآن ولو فهموه لم يعملوا به، وأما قول القائل: أسألك بكذا، **نوعان:**

1. فإن الباء قد تكون للقسم، أي: قد تكون قسماً به على الله، فالقسم بالمخلوقات لا يجوز على المخلوق فكيف على الخالق؟.
2. وقد تكون للسبب، أي: قد تكون سؤالاً بسببه، وهو السؤال بالمعظم كالسؤال بحق الأنبياء فهذا فيه نزاع، وقد تقدم عن أبي حنيفة وأصحابه أنه لا يجوز، ومن الناس من يجوّز ذلك.

وقول السائل لله: أسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم، أو بجاه فلان أو بحرمة فلان، يقتضي أن هؤلاء لهم عند الله جاه، وهذا صحيح، فإن هؤلاء لهم عند الله منزلة وجاه وحرمة يقتضي أن يرفع الله درجاتهم ويعظم أقدارهم ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا، مع أنه سبحانه قال: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَ بِإِذْنِهِ**﴾[البقرة: 255].

ويقتضي أيضاً أن من اتبعهم واقتدى بهم فيما سن له الاقتداء بهم فيه كان سعيداً، ومن أطاع أمرهم الذي بلغوه عن الله كان سعيداً، ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم ما يقتضي إجابة دعائه إذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك، بل جاههم ينفعه إذا اتبعهم وأطاعهم فيما أمروا به عن الله، أو تأسى بهم فيما سنوه للمؤمنين، وينفعه أيضاً إذا دعوا له وشفعوا فيه، فأما إذا لم يكن منهم دعاء ولا شفاعة، ولا منه سبب يقتضي الإجابة، لم يكن مستشفعاً بجاههم ولم يكن سؤاله بجاههم نافعاً له عند الله، بل يكون قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سبباً لنفعه[2].

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الصلاة، ب: الدعاء،ج 2، ص79، رقم1495، حكم الألباني: صحيح.

(2) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص96–100.

لقد تبين لنا معنى التوسل والوسيلة عند أهل السنة والجماعة، الموافقة لما جاء به الرسول ﷺ من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك العقل السالم من الشبهات.

القول الثاني: إن التوسل بالنبي ﷺ جائز في كل حال، قبل خلقه، وبعد خلقه، في مدة حياته في الدنيا، وبعد موته في مدة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة، وهو على **ثلاثة أنواع:**

النوع الأول: أن يتوسل به، بمعنى: أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى به، أو بجاهه، أوببركته، فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة.

النوع الثاني: التوسل به، بمعنى طلب الدعاء منه، في حياته، وبعد موته.

النوع الثالث: أن يطلب منه ذلك الأمر المقصود، بمعنى: أنه ﷺ قادر على التسبب فيه، بسؤاله وشفعاته إليه، فيعود إلى النوع الثاني في المعنى، وإن كانت العبارة مختلفة(1).

الحجة عندهم:

يقولون: إن أحد أبواب عبادة الله تعالى نظير الصلاة والصوم والدعاء والذكر ونحوها من أنواع وأجناس وأصناف العبادات وهو التوسل إليه تعالى بأصفيائه وبالذين أخلصهم بقرباه، ثم لا يخفى أن التوسل والاستشفاع بالمقربين إلى الباري تعالى هو من آداب الدعاء والتوجه إلى الحضرة الإلهية، فكما نتوجه بجسمنا في الصلاة إلى المسجد الحرام والكعبة بقصد التوجه الحقيقي بقلوبنا إلى الله تعالى، فليست الكعبة إلا وسيلة للتوجه إليه تعالى، ومن شرائط عبادته تعالى، فهذا يفصح عن دورالوسيلة والوسائل في التوجه والدعاء، مع أن الشأن أينما تولوا فثم وجه الله، لكن لا ينفي خصيصة المسجد الحرام والكعبة المشرفة، ألا ترى أن البارى تعالى جعل آدم ﷺ قبلة لسجود الملائكة مع كون السجود هو لله تعالى، ولم يقبل من إبليس اللعين السجود لله تعالى من دون أن يتخذ آدم قبلة يتجه بها إليه تعالى، وهذا يدل على آداب عبادته ودعائه التوجه إليه بأوليائه المقربين، فأمر بابتغاء الوسيلة إليه تعالى، وقد عين تلك الوسيلة وهي التوجه بالرسول ﷺ، وأن تشفعه دخيل في توبة الله تعالى عليهم ورحمته لهم، لقول الله تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[التوبة:103]، فجعل دعاء النبي ﷺ لهم دخيل في حصول السكينة والإيمان والطهارة لهم وهو واسطة ووسيلة، وتوجه العبد وتشفعه بها، هو التوحيد الحقيقي والتام المرضي عند الله ﷻ؛ لأنها مجعولة ومنصوبة من قبل الله ﷻ(2).

---

(1) انظر: شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص 358–383.

(2) انظر: الإمامة الإلهية بحوث سماحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند، الجزء الرابع، الشيخ قيصر التميمي، الطبعة: الأولى 1433هـ– 2012م، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت–لبنان،، ص1–63.

خامساً: الرأي المختار:

بعد النظر في الأقوال وأدلتها، فإني أرجح القول الأول الذي يقول: إن التوسل بالنبي محمد ﷺ في حياته هو بدعائه وشفاعته، وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح في حياتهم بمعنى التوسل بدعائهم وشفاعتهم، وأما التوسل به ﷺ بعد مماته، وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح بعد مماتهم فلا يجوز.

اختيار هذا الرأي للأسباب الآتية:

1. قوة أدلة القول الأول وسلامته من الردود؛ لأنهم يعتمدون على اتباع القواعد عند تفسيراتهم للآيات الكريمة، وكذلك تحريهم الدقيق وانتقائهم للأحاديث النبوية.
2. إن الآية دلت على أن الوسيلة المطلوبة هي مايحبها الله ويرضاه، والله سبحانه وتعالى لايحب ولا يرضى أن يشرك معه أحد؛ حتى ولو كان من أحب الخلق إليه، قال رسول الله ﷺ: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه)[1].
3. إن في قولهم قطع ذرائع الشرك وهدم كل شيء يوصل إليه.
4. إن في قولهم إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وهو الشرط الأول لقبول العمل الصالح، قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[هود:46]، قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ﴾أي: في الشرك، ﴿غَيْرُ صَالِحٍ﴾أي: غير مرضي [2]، فلابد أن تكون أعمالنا خالصة لوجه الله تعالى ومرضية له، ولا تكون كذلك إلا بموافقتها لشرع الله ﷻ الذي جاء به الرسول ﷺ، وهو الشرط الثاني لقبول العمل، والشرطان هما الشهادتان، شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله، وهما الركن الأول من أركان الإسلام .

القول الثاني مرفوض؛ لأن فهمهم الخاطئ للآية أوقعهم بالشبهة:

وذلك بقولهم: إن المتدبر للآية يعلم أن الابتغاء المأمور به جعل متعلقاً لكل من الوسيلة وذي الوسيلة وهو الله ﷻ، فجعل الابتغاء والقصد والتوجه إلى كل من الوسيلة والذات الإلهية

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الزهد والرقائق، ب: من أشرك في عمله غير الله، ج4، ص2289، رقم2985.

(2) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، عدد الأجزاء: 1، ص186.

المقدسة، فكل منهما أُمرنا بقصده والتوجه إليه، إلا أن القصد والتوجه إلى الوسيلة ابتداءً هو الذي يؤدي وينتهي إلى قصد الله تعالى، فالغاية القصوى هو الله ﷻ، إلا أن الذي يقصد ابتداءً هو الوسيلة بداعي القصد إلى منتهى الغاية والأمل وهو الله تبارك وتعالى، ومن ذلك يظهر أن مقتضى الآية هو الإلتجاء وتوجيه الخطاب إنما إلى الوسيلة، كقول الداعي والمتوسل: يا محمد يا نبي الرحمة إني أتوجه بك إلى ربي وربك لقضاء حاجتي، فيتوجه الخطاب والنداء إلى النبي ﷺ ويكون ذلك من ابتغاءً للنبي ﷺ كوسيلة إلى الله ﷻ، وإلا فإن جعل الخطاب لله تعالى فقط من دون التوجه إلى النبي ﷺ في الخطاب كوسيلة، لا يكون ابتغاءً وطلباً وتوجهاً إلى الوسيلة، بل ابتغاء مباشر لله تعالى من دون ابتغاء الوسيلة، والآية المباركة ليست في مقام بيان التوسل فحسب، بل إلى بيان حتمية ولا بدّية التوسل، وأنه أمر تعييني عينيّ، وتدل على أن هناك بعداً بين العبد والباري تعالى وأن هناك مسافة لا بدّ أن تطوى بابتغاء الوسيلة والحضور عنده، ولو كان هناك قرباً تلقائياً من طرف العبد إلى ربه فلا حاجة إلى الوسيلة حينئذٍ للإقتراب من الله تعالى؛ لكونه تحصيلاً للحاصل ولا يكون معنى للوسيلة وابتغائها ولوبنحو التخيير أيضاً(1).

الجواب على شبهتهم:

والجواب عليها لقد اتضح ضمناً سابقاً في بيان ماهو الحق في المسألة في التمهيد، وأن استدلالهم بالآية الكريمة لا دلالة فيها على ما ذهبوا إليه، وأنهم يفسرونها بتفسيرات ما أنزل الله بها من سلطان، ويحرفون معنى الآيات عن مواضعها؛ تلبيساً وتدليساً، ويقدمون الرأي عن النصوص القرآنية كما فعل إبليس من قبلهم؛ فطُرد من رحمة الله تعالى، ونحن نعلم أن تفسير القرآن الكريم عند أهل السنة والجماعة له قواعد، كما أشار إليها صلاح الخالدي وهي:

الأولى: أن يفسر القرآن بالقرآن.

الثانية: وما لم يوجد في القرآن تفسيره فإنه يفسر بسنة رسول الله ﷺ لأن السنة شارحة للقرآن ومبينة له.

الثالثة: وما لم يوجد تفسيره في السنة فإنه يُرجع فيه إلى تفسير الصحابة لأنهم أدرى بذلك لمصاحبتهم رسول الله ﷺ وتعلمهم على يديه وتلقيهم القرآن وتفسيره منه.

الرابعة: وما لم يوجد له تفسير عن الصحابة فكثير من الأئمة يرجع فيه إلى قول التابعين لتلقيهم العلم عن صحابة رسول الله ﷺ وتعلمهم القرآن ومعانيه على أيديهم فما أجمعوا عليه فهو حجة وما اختلفوا فيه فإنه يرجع فيه إلى لغة العرب التي نزل بها القرآن.

(1) انظر: الإمامة الإلهية، 175-177.

الخامسة: تفسيره وفق قواعد اللغة.

السادسة: الاستنباط الذي يقوم به المفسر [1].

وينقض قولهم: "إن هناك بعداً بين العبد والباري تعالى ولا تنطوى هذه المسافة إلا بالتوجه والتوسل بالأنبياء والصالحين"، وذلك بقول الله تعالى: ﴿ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:186]، حيث إن الله تعالى بيَّن للنبي محمد ﷺ ماذا يقول للذين يسألونه عن الله سبحانه وتعالى، قال أبوجعفر: يعني تعالى ذكره بذلك وإذا سألك يا محمد عبادي عني: أين أنا؟ فإني قريب منهم أسمع دعاءهم، وأجيب دعوة الداعي منهم، وقد اختلف فيما أنزلت فيه هذه الآية، وذكر عدة أسباب لنزول هذه الآية منها: نزلت في سائل سأل النبي ﷺ فقال: يا محمد، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله الآية، وعن الحسن قال: سأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ: أين ربنا؟ فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية[2]، عند التأمل نجد أن الله سبحانه وتعالى لم يقل للنبي محمد ﷺ لفظة (قل) في هذا السؤال بالذات، بينما اشتمل القرآن على أربعة عشر سؤالاً، وكلها تبدأ بـ(يسألونك) ثم يأتي الجواب بـ(قل)، والمتدبر لهذه الآيات يجد أن الله سبحانه وتعالى أمرالرسول ﷺ أن يقول لهؤلاء السائلين قل، قال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:187]، فكأن هذه اللفظة (قل) كأنها تطيل القرب بين الداعي وربه، فجاء الجواب بدون واسطة: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ تنبيهاً على شدة قرب العبد من ربه في مقام الدعاء، فيتضح أنه ليس هناك حواجز ولا وسائط بين العبد وبين الله، حتى أنه تعالى يجيب دعوة الكافر المضطر إذا شاء، ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62]، ولقد أجاب دعاء إبليس بعد أن عصاه بعدم سجوده لآدم ﴿عليه السلام قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ [الأعراف: 14-15]، فكيف أجاب دعوته بدون أن يتوجه أولاً لآدم عليه السلام؛ الذي هو القربى والوسيلة إلى الله؟!!!!!!

(1) انظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، الناشر: دار القلم دمشق، الطبعة: الثالثة1429هـ- 2008م، الفصل الثالث ص147.

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج3، ص480-481.

المطلب الثاني

الشبهة الثانية: استدلالهم بقول الله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.[النساء: 64]

يستدلون بهذه الآية على أن زيارة قبر النبي ﷺ قربة يتقربون بها إلى الله، قال السبكي: "دلت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول ﷺ والاستغفار عنده، واستغفاره لهم، وذلك وإن كان ورد في حال الحياة فهي رتبة له ﷺ لا تنقطع بموته تعظيماً له، فإن قلت: المجيء إليه في حال الحياة ليستغفر لهم، وبعد الموت ليس كذلك، قلت: دلت الآية على تعليق وجدانهم أن الله ﴿تَوَّاباً رَحِيماً﴾ بثلاثة أمور: المجيء، واستغفارهم، واستغفار الرسول، فأما استغفار الرسول فإنه حاصل لجميع المؤمنين لأن رسول الله ﷺ استغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد:19]،... إلى آخر ما قاله"[1].

قال الهيتمي[2]: " وحينئذ ثبت على كل تقدير أن الأمور الثلاثة المذكورة في الآية حاصلة لمن يجيء إليه ﷺ، مستغفراً في حياته وبعد وفاته، والآية الكريمة وإن وردت في قوم معينين في حال الحياة تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الممات، ولذلك فهموا العلماء منها العموم للجائين واستحبوا لمن أتى قبره ﷺ أن يقرأها مستغفراً لله تعالى، ... ولا شك أن من خرج لزيارة رسول الله ﷺ يصدق عليه أنه خرج مهاجراً إلى الله ورسوله لما يأتي أن زيارته ﷺ بعد وفاته كزيارته في حياته..."[3]

ويعللون ذلك بقولهم: فإن القبلة ليست إلا وسيلة للتوجه بها إليه تعالى:﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْـمَشْرِقِ وَالْـمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْـمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْـمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْـمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْـمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ

---

(1) شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص233-234، والجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي الكريم، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي(المتوفى:937)، تحقيق: محمد زينهم، الناش: مكتبة مدبولي، ص 17- 20، ناقلاً كلام السبكي بدون توثيق.

(2) هو: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس: فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته، (909-974)هـ، انظر: الأعلام للزركلي، ج1، ص 234.

(3) المصدر نفسه، ص 18، كذلك ناقلاً كلام السبكي، انظر: شفاء السقام، ص235.

فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:177]، وقال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 189]، فالقبلة ليست هي المعبود وإنما هي وجهة يتوجه بها إليه تعالى، ومن ذلك صار آدم صفي الله قبلة للملائكة، وسجودهم لله تعالى في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34]، ومن ذلك صارت بيوت موسى كليم الله تعالى قبلة لبني إسرائيل في صلاتهم لله تعالى، قال تعالى:﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:218]، ومن ذلك يتبين أن التوجه بالنبي ﷺ والاستشفاع به وتقديمه بين يدي الحاجة إليه تعالى، وتوسيطه هي عناوين موازية للتوسل به ﷺ إلى الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[النساء:64]، فأمر بابتغاء الوسيلة إليه تعالى، وقد عين تلك الوسيلة وهي التوجه في الاستغفار والتوبة والأوبة بالرسول ﷺ وأن استغفار النبي ﷺ وتشفعه دخيل في توبة الله تعالى عليهم ورحمته لهم(1).

وقالوا أيضاً: إن هذه الآية المباركة نصت على ثلاثة شروط لقبول التوبة والاستغفار من هذه الأمة، وهي:

1. المجيء إلى النبي الأكرم ﷺ.
2. ابراز الاستغفار من الله ﷻ.
3. امضاء النبي ﷺ لذلك الاستغفار، واستغفاره للتائبين.

فالمجيء إلى النبي الأكرم ﷺ هو عين التوجه إليه والتوسل به في قبول التوبة، ثم إن ذكر التوبة والاستغفار في الآية لا لخصوصية فيها، وإنما ذكرت بما هي عبادة من العبادات، فهي شامله لكل العبادات، وليست خاصة بحياة النبي ﷺ فقط، بل المجيء الفيزيائي والبدني المكاني أحد المصاديق المقصودة فيها، والتعبير بالمجيء كنائي، يراد به مطلق الاستغاثة والتوسل والتوجه القلبي إلى الرسول ﷺ(2).

(1) انظر: الإمامة الإلهية، ص6-8، وشفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص233-235.
(2) المرجع نفسه ، ص182-185.

الجواب على هذه الشبه:

كما ذكر في الشبهة الأولى أن من أهم الخطوات لتفسير القرآن هو تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسيره بالسنة الصحيحة، وكل مفسر لم يبتدأ بهما يكون تفسيره مطعون فيه، ولكن أهل الأهواء يفسرون القرآن بآرائهم وتحليلاتهم التي توافق أهواءهم، وحتى تتضح المسألة سأذكر بعض أقوال أهل العلم ممن فسروا هذه الآية ليتضح أنه لم يأت في تفسير واحد منهم بالتفسير الذي فسروا فيه الآية، ولو أن هؤلاء المنافقين، الذين وصف صفتهم في هاتين الآيتين، الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدوداً، ﴿إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، باكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت، وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها ﴿جَاءُوكَ﴾، يا محمد، حين فعلوا ما فعلوا من مصيرهم إلى الطاغوت راضين بحكمه دون حكمك، جاؤوك تائبين منيبين، فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم، وسأل لهم الله رسوله ﷺ مثل ذلك. وذلك هو معنى قوله: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾[1].

قال الرازي: المراد لو أن المنافقين عند ما ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت والفرار من التحاكم إلى الرسول ﷺ جاءوا الرسول ﷺ وأظهروا الندم على ما فعلوه وتابوا عنه واستغفروا منه واستغفر لهم الرسول بأن يسأل الله أن يغفرها لهم عند توبتهم لوجدوا الله تواباً رحيماً[2].

قال ابن جزي الكلبي[3]: " ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية: وعد بالمغفرة لمن استغفر، وفيه استدعاء للاستغفار والتوبة، ومعنى: جاءوك أتوك تائبين معتذرين من ذنوبهم، يطلبون أن تستغفر لهم الله[4].

قال السعدي: "أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك"[5].

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج8، ص 517.

(2) انظر: مفاتيح الغيب، ج10، ص126.

(3) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة، (693-741) هـ، انظر: الأعلام للزركلي، ج 5، ص 325.

(4) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى- 1416 هـ، ص198.

(5) تفسير السعدي، ص184.

من خلال ما ذكر من تفسيرات لبعض العلماء تبين أنهم لم يفسروا الآيات كما فسرها أهل الأهواء، وممن أجاب على هذه الآية إجابة مستفيضة العلامة الحافظ محمد بن أحمد المقدسي [1] عندما رد على السبكي.

قال المقدسي:الكلام عليه من وجوه:

الأول: مطالبته بتصحيح دعواه وإلا كانت مجردة عما يثبتها.

الثاني: القربة هي ما جعله الله ورسوله قربة، إما بأمره أو بإخباره أنها قربة، وإما بالثناء على فاعلها، وإما بجعل الفعل سبباً لثواب يتعلق عليه أو تكفير سيئة، ونحو ذلك من الوجوه التي يستدل بها على كون الفعل محبوبا لله.

الثالث: أنه لا يكفي أن يكون الفعل محبوباً له في كونه قربة، وإنما يكون قربة إذا لم يستلزم أمراً مبغوضاً مكروهاً له أو تفويت أمر هو أحب إليه من ذلك الفعل، وأما إذا استلزم ذلك فلا يكون قربة.

رابعاً: أما استدلاله بقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾ [النساء:64]، الآية **فالكلام فيها في مقامين:**

1- عدم دلالته على مطلوبه.

2- بيان دلالتها على نقيضه وإنما يتبين الأمر بفهم الآية ما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة ومن سلك سبيلهم، ولم يفهم أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته يستغفر لهم، وقد ذم الله تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذ ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ ....**﴾ [المنافقون:5].

ثم قال رحمه الله: وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً ولو كان حقاً لسبقنا إليه السلف الصالح علماً وعملاً وإرشاداً ونصيحة، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو في سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا

(1) هو: محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي، شمس الدين، أبو عبد الله، ابن قدامة المقدسي الجماعيلي الأصل، ثم الدمشقيّ الصالحي: حافظ للحديث، عارف بالأدب، من كبار الحنابلة. يقال له " ابن عبد الهادي " نسبة إلى جده الأعلى، أخذ عن ابن تيمية والذهبي وغيرهما، وصنف ما يزيد على سبعين كتبا، (705-744)هـ، انظر: الأعلام للزركلي ج 5، ص 326.

يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض المتأخر، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه، وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده، وإنما ننبه عليه بعض التنبيه.

إلى أن قال رحمه الله: أما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو أنه سبحانه وتعالى صورها بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء:64]، وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم طاعة له، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة، ولم يقل مسلم إن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره ويسأله أن يستغفر له ولو كان هذا طاعة لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفّق لها هؤلاء الغلاة العصاة... إلى آخر كلامه رحمه الله[1].

لقد فسر الإمام الرازي هذه الآية تفسيراً يوضح المقصود منها فقال: " لقائل أن يقول: أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتهم مقبولة، فما الفائدة في ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم؟ قلنا: **الجواب عنه من وجوه هي:**

الأول: أن ذلك التحاكم إلى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله، وكان أيضاً إساءة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وإدخالاً للغم في قلبه، ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الذنب لغيره، فلهذا المعنى وجب عليهم أن يطلبوا من الرسول أن يستغفر لهم.

الثاني: أن القوم لما لم يرضوا بحكم الرسول ظهر منهم ذلك التمرد، فإذا تابوا وجب عليهم أن يفعلوا ما يزيل عنهم ذلك التمرد، وما ذاك إلا بأن يذهبوا إلى الرسول ﷺ ويطلبوا منه الاستغفار.

الثالث: لعلهم إذا أتوا بالتوبة أتوا بها على وجه الخلل، فإذا انضم إليها استغفار الرسول صارت مستحقة للقبول والله أعلم"[2].

---

(1) انظر: الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: 744هـ)، تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، الناشر: مؤسسة الريان، بيروت- لبنان. الطبعة: الأولى، 1424هـ / 2003م، عدد الأجزاء: 1، ص314-318.

(2) مفاتيح الغيب: ج10، ص126.

الخلاصة:

من خلال هذا العرض تبين التفسير الأصح لهذه الآية، وهو أن المقصود في المجيء للرسول ﷺ في حياته لأجل الاعتذار منه لما بَدَرَ منهم، ويطلبون منه أن يستغفر لهم من هذا الذنب الذي فعلوه، أما بعد موته ﷺ فالمطلوب منا أن نطيعه في كل ما أمر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾[محمد:33]، وأمرنا أن نصلي عليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:56]، فلم يأمرنا الله ﷻ أن نذهب للرسول ﷺ ونتوسل به، ونطلب منه أن يغيثنا، أو أن يستغفر لنا الله ﷻ حتى يقبل الله توبتنا، ولا يوجد في القرآن الكريم آية تدل على هذا المعنى من قريب أو بعيد، أو أن الرسول ﷺ هو الملجأ والمنجا من غضب الله أو عذابه، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ[1] الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[التوبة:118]، وهذه القصة مذكورة في كتب السيرة وقد ذكر جانب منها في تفسير ابن كثيرفقال: " ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب، من هجر المسلمين إياهم نحواً من خمسين ليلة بأيامها، وضاقت عليهم أنفسهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، أي: مع سعتها، فسددت عليهم المسالك والمذاهب، فلا يهتدون ما يصنعون، فصبروا لأمر الله، واستكانوا لأمر الله، وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله ﷺ في تخلفهم"[2]، إنني أتساءل وأتعجب لو أن ما يدعيه أهل البدع والأهواء صحيح بقولهم: إنَّ التوسل بالنبي ﷺ هو الأقرب للتوبة ولإجابة الدعاء، فلماذا لم يذهب الثلاثة الذين خُلفوا إلى الرسول ﷺ، وطلبوا منه أن يستغفر الله لهم وأن يُلحوا عليه بالدعاء، ويلوذوا ببابه، وأن لا يقوموا من عنده أبداً، بالرغم أن الرسول ﷺ كان حياً؟! بما أنهم لم يفعلوا ذلك ولم يرشدهم جميع الصحابة رضوان الله عليهم أن يفعلوا ذلك، فهذا الموقف يدل على فهمهم الصحيح للتوحيد، وعلموا أن لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه، حتى أن الرسول ﷺ أوصانا أن ندعو بها قبل النوم ولم يوصِ بأن نذهب إليه ونطلب منه أن يستغفر الله لنا وغير ذلك، عن البراء بن عازب، أن النبي ﷺ أوصى رجلاً، فقال: (إذا أردت مضجعك، فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة)[3].

---

(1) الثلاثة هم: الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم، كعب بن مالك، ومرارة بن ربيع، وهلال ابن أبي أمية وكلهم من الأنصار، انظر: تفسير ابن كثير، ج4، ص 230.

(2) المصدر نفسه والصفحة أيضاً.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك:الدعوات، ب: مايقول إذا نام، ج8، ص69، رقم6313، وأخرجه مسلم في صحيحه، في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ج4، ص2082، رقم 2710.

المطلب الثالث

الشبهة الثالثة: استدلالهم بقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾. [القصص:15].

قبل الرد على هذه المسألة لابد من:

أولاً: تحرير محل النزاع:

اتفق العلماء على مشروعية الاستغاثة بالله ﷻ، وعلى الاستغاثة بالمخلوق الحي في كل ما يقدر عليه، ولكنهم اختلفوا في الاستغاثة في المخلوق وهو ميت.

ثانياً: أقوال العلماء المانعين والمجيزين:

1. قال التستري[1]: "إن الله تعالى خلق الخير والشر، ووضع الأمر والنهي، فاستعبدنا بالخير وقرنه بالتوفيق، ونهانا عن الشر وقد قرن ارتكابه بترك العصمة والخذلان، فالجميع خلقه، فمن وفق للخير وجب عليه الشكر، ومن ترك مع الشر وجب عليه الاستغاثة بالله ﷻ"[2].

2. قال التنوخي[3]: " فإني لما رأيت أبناء الدنيا متقلبين فيها، بين خير وشر، ونفع وضر، ولم أر لهم في أيام الرخاء، أنفع من الشكر والثناء، ولا في أيام البلاء أنجع من الصبر والدعاء؛ لأن من جعل الله عمره أطول من عمر محنته، فإنه سيكشفها عنه بتطوّله ورأفته، فيصير ما هو فيه من الأذى، ... وجدت أقوى ما يفزع إليه، من أناخ الدهر بمكروهه عليه، قراءة الأخبار التي تنبيء عن تفضيل الله ﷻ على من حصل قبله في محصله، ونزل به مثل بلائه ومعضله، بما أتاحه الله تعالى له من صنيع أسهل به الأرزاق، ومعونة حل بها من الخناق، ... وفرج عجيب أنقذه وتلافاه، وإن خفيت من ذلك الأسباب، ولم يبلغ ما حدث منه الفكر والحساب، فإن في معرفة الممتحن بذلك تشيحذ بصيرته للصبر، وتقوية عزيمته على

---

(1) هو: سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال، (200–283) هـ، انظر: الأعلام للزركلي، ج 3، ص 143.

(2) تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى– 1423 هـ، ج 1، ص121.

(3) هو: المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي: قاض، من العلماء الأدباء الشعراء. ولد ونشأ في البصرة. وولي القضاء في جزيرة ابن عمر وعسكر مكرم،وتقلد أعمالا. وسكن بغداد، فتوفي فيها، (327–384) هـ، الأعلام للزركلي، ج 5، ص 288.

التسليم لله مالك كل أمر، وتصويب رأيه في الإخلاص، والتفويض إلى من بيده ملك النواصي، وكثيراً إذا علم الله تعالى من وليه وعبده، انقطاع آماله إلا من عنده، لم يكله إلى سعيه وجهده، ولم يرض له باحتماله وطوقه، ولم يحله من عنايته ورفقه"[1].

3. قال بن خالوية[2]: في تفسير الآية: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ[3] وَعَذَابٍ﴾ [ص:41]، "فإن قيل: ما وجه مدحه بالصبر وقد شكا بهذا القول؟ فقل: إن شكواه ها هنا على طريق الاستغاثة بالله والسؤال له، وإنما وجه الذم أن يشكوإلى مخلوق مثله لا يملك له ضراً ولا نفعاً، ودليل ذلك قول يعقوب ﷺ إنما أشكو بثي وحزني إلى الله لأن كل غني فقير إليه وكل قوي ضعيف لديه"[4].

4. قول معروف الكرخي[5]: واغوثاه بالله، وأحب الدعاء الاستغاثة بالله، يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لكم﴾ [الأنفال: 9][6].

---

(1) انظر: الفرج بعد الشدة، للقاضي أبي على المحسن بن أبي القاسم التنوخي، (المتوفى: 84 3هـ)، الأصل مأخوذ عن نسخة خطية محفوظة، بدار الكتب المصرية، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثانية- 1415 هـ- 1994م، عدد الأجزاء: 2، ج 1، ص 5-6.

(2) هو: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله: لغويّ، من كبار النحاة. أصله من همذان. زار اليمن وأقام بذمار، مدة، وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب. وعظمت بها شهرته، فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة. وكانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة. وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده. وتوفي في حلب،(370 هـ)، الأعلام للزركلي، ج 2، ص 231.

(3) بنصب: ما يصيب البدن من تعب الضر وألم الوجع، انظر: الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، 1401 هـ، عدد الأجزاء: 1، ص304.

(4) الحجة في القراءات السبع، ص305.

(5) هو: معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين، كان من موالي الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم، ولد في كرخ بغداد، ونشأ وتوفي ببغداد، اشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به، توفي:(200هـ)، انظر: الأعلام للزركلي، ج 7، ص269.

(6) انظر: الفوائد والأخبار والحكايات عن الشافعي وحاتم الأصم ومعروف الكرخي وغيرهم، الْحَسَن بن الْحُسَيْن بن حمكان أَبُو عَلِيّ الهمذاني (المتوفى: 405هـ)، المحقق: الدكتور عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى 1422 هـ- 2001 م، عدد الأجزاء: 1، ص 166، وطبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: 526هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: 2، ج 1، ص 385.

5. قال القشيري[1]: " وحقيقة الاعتصام صدق اللّجوء إليه، ودوام الفرار إليه، واستصحاب الاستغاثة إليه"[2]، وقال في موضع آخر: " الاستغاثة على حسب شهود الفاقة وعدم المنة والطاقة، والتحقق بانفراد الحق بالقدرة على إزالة الشكاة تيسير للمسئول وتحقيق للمأمول، فإذا صدقت الاستغاثة بتعجّل الإجابة حصلت الآمال وقضيت الحاجة، بذلك جرت سنّته الكريمة"[3].

6. قال ابن تيمية: " دعاء غير الله تعالى أو الاستغاثة بغير الله فلا يجوز"[4].

7. قال شهاب الدين أحمد بن مري[5]: لا يجوز الاستغاثة بمخلوق ولا بنبي[6].

8. قال أبو عبد الله المزالي[7]: " فقصدت أن أذكر ما وقع لي ممن استغاث بالنبي ﷺ ولاذ به في شدته؛ وتوسل إلى الله ﷻ؛ إذ هو خيرته من خليقته"[8].

---

(1) هو: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر: واعظ، من علماء نيسابور، من بني قشير. علت له شهرة كأبيه. زار بغداد في طريقه إلى الحج، ووعظ بها، فوقعت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فلازم الوعظ والتدريس إلى أن فلج، وتوفي بها، كان ذكياً حاضر الخاطر، فصيحاً، جريئاً، توفي:(514 هـ)، انظر: الأعلام للزركلي، ج 3، ص 346.

(2) تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة، ج1، ص266،

(3) المصدر نفسه، ص605.

(4) جواب في الحلف بغير الله والصلاة إلى القبور، ويليه: فصل في الاستغاثة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الناشر: (طبع في الكويت)، الطبعة: الأولى، 1431هـ، عدد الأجزاء: 1، ص 21.

(5) هو: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين: مؤرخ، حجة في معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان، إمام في الترسل والإنشاء، عارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم، غزير المعرفة بالتأريخ ولا سيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيزخان إلى عصره. مولده ومنشأه ووفاته في دمشق،(700–749هـ)، انظر: الأعلام للزركلي، ج 1، ص 268.

(6) انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: 74هـ)، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، 1423 هـ،عدد الأجزاء: 27، ج27، ص 533.

(7) هو: محمد بن موسى، أبو عبد الله شمس الدين ابن النعمان: صوفي باحث، من المالكية مراكشي الأصل تلمساني ثم من أهل فاس، وقيل في نسبه: المزالي الإشبيلي الهنتاتي، توفي:(683 هـ)، انظر: الأعلام للزكلي، ج 7، ص 118.

(8) مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام عليه السلام في اليقظة والمنام، محمد بن موسى بن النعمان المزالي المراكشي(المتوفى: 6683683هـ)، المحقق: حسين محمد علي شكري، الناشر: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ص 17.

9. قال البكري[1] وهو أول من قال بجواز الاستغاثة بالنبي ﷺ: " إن كل من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربة فقد استغاث به، سواء كان بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو غيرها"[2].

10. قال أبو العباس القسطلاني[3]: " واعلم أن الاستغاثة هى طلب الغوث، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ: الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التجوه أو التوجه، لأنهما من الجاه والوجاهة ومعناه: علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه[4].

11. قال أحمد بن حمزة الرملي[5]: " إن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم؛ لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم"[6].

12. قال السمهودي[7]: " اعلم أن الاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ وبجاهه وبركته إلى ربه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، واقع في كل حال، قبل خلقه ﷺ وبعد

---

(1) هو: أحمد بن عبد الله بن محمد، القصاص الكذاب، أبو الحسن البكري، طرقي مفتر، لا يستحيي من كثرة الكذب الذي شحن به مجاميعه وتواليفه، هو أكذب من مسيلمة، توفي: (250هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، ج 19، ص 36.

(2) الاستغاثة في الرد على البكري، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: عبد الله بن دجين السهلي، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، 1417 هـ- 1997م، عدد الأجزاء: 2، ج1، ص244.

(3) هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث، مولده ووفاته في القاهرة، (851-923)هـ، انظر: الأعلام للزركلي، ج 1، ص 232.

(4) انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر،عدد الأجزاء: 3، ج3، ص 604-605.

(5) هو: أحمد بن حمزة الرمليّ، شهاب الدين: فقيه شافعيّ، من رملة المنوفية بمصر، توفي بالقاهرة، (957هـ)، انظر: الأعلام للزركلي، ج1، ص 120.

(6) فتاوى الرملي، شهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشافعي (المتوفى: 957هـ)، جمعها: ابنه، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: 1004هـ)،الناشر: المكتبة الإسلامية، عدد الأجزاء: 4، ج4، ص 382.

(7) هو: علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعيّ، نور الدين أبو الحسن: مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها، ولد في سمهود (بصعيد مصر) ونشأ في القاهرة، واستوطن المدينة سنة 873 هـ وتوفي بها، (844-911) هـ، انظر: الأعلام للزركلي، ج 4، ص 307.

خلقه، في حياته الدنيوية ومدة البرزخ وعرصات القيامة"[1].

13. قال محمد الشقيري: إن الإستغاثة والتوسل بمنظومة أسماء أهل بدر بدعة لم تشرع، والتوسلات كلها والاستغاثات بالمخلوقات سوى ما صح عن سيد الكائنات، بدع ومنكرات وضلالات موبقات[2].

نلاحظ مما سبق أن العلماء اختلفوا على قولين:

القول الأول: بعدم جواز الاستغاثة بالنبي محمد ﷺ ومن غيره من باب أولى.

القول الثاني: بجواز الاستغاثة بالنبي محمد ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين في جميع الأحوال، في حياتهم وبعد مماتهم.

ثالثاً: سبب الخلاف:

يرجع سبب الخلاف في هذه المسألة بين العلماء اختلافهم في الآثار الواردة في ذلك، وفي مفهوم الاستغاثة، وأصل شبهتهم قال ابن تيمية: " أصل هذه الشبهة على هذا التقدير أنهم لم يفرقوا بين الباء في استغثت به التي يكون المضاف بها مستغاثاً مدعواً مسؤولاً مطلوباً منه، وبالاستغاثة المحضة من الإغاثة التي يكون المضاف بها مطلوباً به لا مطلوباً منه، فإذا قيل: توسلت به أوسألت به أو توجهت به في الاستغاثة، كما تقول: كتبت بالقلم، وهم يقولون: أستغيثه وأستغث به من الإغاثة، كما يقولون: استغثت الله واستغثت به من الغوث، فالله في كلا الموضوعين مسؤولاً مطلوباً منه، وإذا قالوا: لمخلوق استغثته واستغث به من الغوث، كان المخلوق مسؤولاً مطلوباً منه، وأما إذا قالوا: استغثت به من الإغاثة، فقد يكون مسؤولاً وقد لا يكون مسؤولاً،....فلفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب، إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به"[3].

رابعاً: أدلة القول الأول:

لقد اتضح سابقاً في التمهيد أقوالهم وأدلتهم في الاستغاثة، فكان حاصل كلامهم هو: أن الغوث والغياث، لا يستحقه إلا الله، فهو غياث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره، لا بملك مقرب، ولا نبي مرسل، أي: بعد موته أو في حياته مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ومن زعم

---

(1) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1419، عدد الأجزاء: 4، ج4، ص193.

(2) انظر: السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي (المتوفى: بعد 1352هـ)، المصحح: محمد خليل هراس، الناشر: دار الفكر،عدد الأجزاء: 1، ص267.

(3) الاستغاثة في الرد على البكري، ص 159.

أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ... إلى الغوث فهو كاذب ضالٌ مشرك، قد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:67]، فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعدة بوسائط من الحجاب، وهو القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:186]، وقد علم المسلمون كلهم أنه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون إلى الله حوائجهم لا ظاهراً ولا باطناً بهذه الوسائط والحجاب فتعالى الله عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك وسائر ما يقوله الظالمون علواً كبيراً(1).

الاستغاثة بغير الله تعالى معلوم يقيناً أنها بدعة؛ لأنه لم يعلم أن محمد ﷺ استغاث برسول من أولي العزم ولا غيرهم عند الشدائد التي لاقاها، و كان أعظم ما لاقاه منها يوم الطائف فكان دعاؤه الدعاء المعروف واللجوء إلى الله تعالى، وكذلك أصحابه من بعده لا يعلم عن أحد منهم أنه استغاث به ﷺ بعد موته، ولا يمكن أحد يأتي بحرف واحد عن أصحابه أنه قال: يا رسول الله ويا محمد مستغيثاً به عند شدة نزلت به، بل كل يرجعوا عند الشدائد إلى الله تعالى، فهذه البدعة وهي الاستغاثة بالأموات وإنزال الحاجات بهم والتوسل إنما هو بقية من عبادة الأصنام، فإن الجاهلية كانوا يستغيثون بهم ويطلبون الحاجات منهم، وكل بدعة ضلالة، كما ثبت في الأحاديث، وأي ضلالة أعظم من عبد ينزل حاجاته بالأموات ويعرض عن باري البريات(2).

نعلم بالضرورة أنَّ النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحداً من الأموات، لا الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة، ولا بغيرها، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الأكبر الذي حرّمه الله ورسوله، قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: 14]، معلوم أن المشركين يسألون الصالحين بمعنى أنهم وسائط بينهم وبين الله، ومع هذا فقد نهى الله عن دعائهم، وبين أنهم لا يملكون كشف الضرّ عن الداعي ولا تحويله، لا يرفعونه بالكلية، ولا يحولونه من موضع إلى موضع، كتغيير صفته أو قدره،

(1) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـ)، علق عليه : السيد محمد رشيد رضا، الناشر : لجنة التراث العربي، عدد الأجزاء : 5 أجزاء في مجلدين، ج1، ص48.

(2) انظر: الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ)، المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1421هـ، عدد الأجزاء: 1، ص90-92.

فكل من دعا ميتاً من الأنبياء، أو الصالحين، أو دعا الملائكة، أو دعا الجن فقد دعا من لا يغيثه، ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويلاً، واليوم من الناس من إذا نزلت به شدّة لا يدعو إلا شيخه، ولا يذكر إلى إسمه، قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمّه، فيكون المخلوق في صدره أعظم من الخالق، ودعاء الموتى يتضمن الاستهزاء بالدين، وهذه محادة لرب العالمين، فمَن كان يدعو الموتى، ويستغيث بهم، أو يأمر بذلك، أو من كان لا يدعو إلاّ الله وحده لا شريك له كما أمرت به رسله، ويوجب طاعة الرسول، ومتابعته في كل ما جاء به، أي الفريقين أحق؟ وأهل السنة والجماعة بحمد الله أعظم إيجاباً لرعاية جانب الرسول ﷺ، تصديقاً له فيما أخبر، وطاعة له فيما أمر، واعتناء بمعرفة ما بعث به، واتباع ذلك دون من خالفه عملاً، قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3][1].

خامساً: أدلة القول الثاني:

الأدلة التي اعتمدوا عليها هي التي سوف أذكرها في باقي الشبه؛ لذلك سوف أكتفي بذكر أقوالهم.

قال السبكي: وأما الاستغاثة: فهي طلب الغوث، وتارة يطلب الغوث من خالقه وهو الله تعالى وحده، كقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾[الأنفال:9]، وتارة يطلب ممن يصح إسناده إليه على سبيل الكسب، ومن هذا النوع التوسل بالنبي ﷺ، وفي هذين القسمين تعدِّي الفعل تارة بنفسه كقوله تعالى:﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ [القصص:15]، وتارة بحرف الجر كما في كلام النحاة في المستغاث به....، فيصح أن يقال: استغثت النبي ﷺ، أواستغثت بالنبي ﷺ، وهما بمعنى واحد، وهو طلب الغوث منه بالدعاء ونحوه، على النوعين السابقين في التوسل من غير فرق، ذلك في حياته أو بعد مماته، ومعنى استغيث الله، واستغيث بالله، طلب خلق الغوث منه، فالله تعالى مستغاث، والغوث منه خلقاً وايجاداً، والنبي ﷺ مستغاث والغوث منه تسبباً وكسباً، ولا فرق في هذا المعنى بين أن يستعمل الفعل متعدياً بنفسه أولازماً، أو تُعدي بالباء، وقد تكون الاستغاثة بالنبي ﷺ على وجه آخر وهو أن يقال: استغثت الله بالنبي ﷺ، كما يقول: سألت الله بالنبي ﷺ، فيرجع إلى النوع الأول من أنواع التوسل، ويصح قبل وجوده وبعد وجوده، وقد يحذف المفعول به وتقول: استغثت بالنبي ﷺ، بهذا المعنى فصار لفظ الاستغاثة به بالنبي ﷺ له معنيان:

---

(1) انظر: الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي التميمي الحنبلي (المتوفى: 1225هـ)، المحقق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، تقريظ: الشيخ العلامة الجليل صالح بن إبراهيم البليهي، الناشر: دار العاصمة، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: 1، ص39-40.

الأول: أن يكون مستغاثاً. الثاني: أن يكون مستغاثاً به، والباء للاستعانة.

فقد ظهر جواز الاستغاثة والتوسل جميعاً، وهذا أمر لا يشك فيه، فإن الاستغاثة في اللغة: طلب الغوث، وهذا جائز لغة وشرعاً من يقدر عليه بأي لفظ عبرعنه، كما قال أم إسماعيل: (أغث إن كان عندك غواث)[1].

قال السمهودي: "وفي العادة أن من توسل بمن له قدر عند شخص أجاب إكراماً له وقد يتوجه بمن له جاه إلى من هو أعلى منه، وإذا جاز التوسل بالأعمال كما صح في حديث الغار وهي مخلوقة، فالسؤال به ﷺ أولى، ولا فرق في ذلك بين التعبير بالتوسل أو الاستعانة أو التشفع أو التوجه، أي: التوجه به ﷺ في الحاجة، وقد يكون ذلك بمعنى طلب أن يدعو كما في حال الحياة، إذ هو غير ممتنع مع علمه بسؤال من يسأل[2].

قال النبهاني[3]: " لا فرق بين التوسل والاستغاثة والتشفع والتوجه به ﷺ، أو بغيره من الأنبياء وكذا الأولياء؛ وذلك لأنه ورد جواز التوسل بالأعمال كما في حديث الغار، مع أنها أعراضاً فالذوات الفاضلة أولى،....لا يقال لفظ التوجه والاستغاثة يوهم أن المتوجه والمستغاث به أعلى من المتوجه والمستغاث إليه؛ لأ ن التوجه وهو علو المنزلة، ...والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى، والنبي ﷺ واسطة بينه وبين المستغيث، فهو سبحانه مستغاث به والغوث منه خلقاً وإيجاداً، والنبي ﷺ مستغاث والغوث منه سبباً وكسباً ومستغاث به مجازاً[4].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن نصر، ج4، ص144، رقم 3365، ولكن لفظه هكذا(أغث إن كان عند خير) وليس كما ذكر غواث، انظر: كتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص 384-385.

(2) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: د/ محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني، طبع على نفقة السيد: حبيب محمود أحمد، عدد الأجزاء: 2، ج1، ص 417.

(3) هو: يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، شاعر، أديب، من رجال القضاء. نسبته إلى " بني نبهان " من عرب البادية بفلسطين، استوطنوا قرية " إجْزِم "- بصيغة الأمر- التابعة لحيفا في شمالي فلسطين، وبها ولد ونشأ، وتعلم بالأزهر بمصر (سنة 1283- 1289 م) وذهب إلى الآستانة، فعمل في تحرير جريدة " الجوائب"، ونشبت الحرب العامة الأولى، فعاد إلى قريته وتوفي بها، له كتب كثيرة، (1265-1350)هـ، ج 8، ص 218.

(4) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ، ويليه: الأساليب البدعية في فضل الصحابة وإقناع الشيعة، كلاهما: ليوسف بن إسماعيل النبهاني(المتوفى: 1350هـ)، المحقق: عبد الوارث محمد علي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الثالثة، 1428هـ- 2007م، ص102-103.

سادساً: الرأي المختار:

بعد النظر في الأقوال وحججهم، فالرأي المؤيد هو الذي يقول بعدم جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ، أو بغيره من الأنبياء أو الصالحين؛ **وذلك للأسباب التالية:**

1. قوة حجة القول الأول وسلامته من الردود؛ لأنهم يعتمدون على اتباع القواعد عند تفسيراتهم للآيات الكريمة، وكذلك تحريهم الدقيق وانتقائهم للأحاديث النبوية.
2. السنة القولية والسنة الفعلية بينت عدم جواز ذلك؛ لفعل النبي ﷺ: (لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ [الأنفال: 9]، فأمده الله بالملائكة) [1]، قال أبي زهرة: والاستغاثة طلب الغوث، و" إذ " ظرف يكون للماضي، وهو هنا للماضي المتصل بالحاضر، وجاء المضارع بعدها لتصوير الاستغاثة وأنها كانت التجاءً متجددًا مستمراً لله تعالى، هذه هي استغاثة رسول الله ﷺ، واستغاثة من معه، فهو إمام الصلاة استغاثته استغاثة لهم، كما أن الإمام قراءته قراءة للمأمومين، وإن النبي ﷺ عندما اتجه إلى الاستغاثة اتجه إلى القبلة، وكأنها صلاة، وقد استجاب الله تعالى لاستغاثة نبيه[2].
3. القول هذا موافق لمقصد الشريعة وروح التشريع، وهو إخلاص العبودية لله تعالى.
4. إن لفظي: الاستغاثة والتوسل من ألفاظ الدعاء، والدعاء مخ العبادة، كما ذكر سابقاً في التمهيد.
5. لقد عنى القرآن الكريم بالنهي عن دعاء غير الله، وبالأمر بدعائه وحده، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا**

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الجهاد والسير،ب:الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ج2، ص1383، رقم1763.

(2) انظر: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: 10، ج6، ص3075-3076.

لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:73-74]، وهذه الآية من أقوى الأدلة لإثبات عدم شريك لله ﷻ، قال الرازي: " فقد تقرر في العقل أن تعظيم غير الله تعالى ينبغي أن يكون أقل من تعظيم الله تعالى، والقوم كانوا يعظمونها غاية التعظيم، وحينئذ كان يلزم التسوية بينها وبين الخالق سبحانه في التعظيم، فمن هاهنا صاروا مستوجبين للذم والملام، ......وما عظموه حق تعظيمه، حيث جعلوا هذه الأصنام على نهاية خساستها شريكة له في المعبودية، وهو قوي لا يتعذر عليه فعل شيء وعزيز لا يقدر أحد على مغالبته، فأي حاجة إلى القول بالشريك[1]، فأقول لأصحاب القول الثاني: ما حاجتكم أن تجعلوا بينكم وبين الله واسطة، وتتخذوا وسائل ما أنزل الله بها من سلطان؟!

القول الثاني:

هو جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء، قول مرفوض؛ **لعدة أسباب:**

1. إن استدلالهم بالآية في غير محله؛ لأنها وردت في الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه، لا في الاستغاثة المطلقة وفي جميع الأحوال، فلا يدل على مرادهم ومطلوبهم.
2. الاستغاثة بالمخلوق فيما لايقدر عليه إلا الله، ليست من الأسباب أو الوسائل المشروعة.
3. الأدلة التي احتجوا بها محتملة، فيضعف معها الاستدلال.
4. لم يثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم استغاثوا بالنبي ﷺ بعد وفاته.
5. التعليل بذلك؛ لما لهم من علو الدرجة والمنزلة والجاه عند الله تعالى، ونحن نؤيدهم بهذا القول، ولكن ليس لدرجة الغلو فيهم، لقول الرسول ﷺ: (لا تطروني[2]، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله)[3]، وكذلك تعليلهم لحبهم النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ

(1) انظر: مفاتيح الغيب، ج 23، ص252.

(2) لا تطروني: من الإطراء وهو الإفراط في المديح ومجاوزة الحد فيه، وقيل: هو المديح بالباطل والكذب فيه، حاشية صحيح البخاري، ج4، ص167.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قول الله ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، ج4، ص167، رقم 3445.

لِلَّـهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: 165]، قال ابن تيمية: "ومحبة الرسول هي من محبة الله فهي حب لله تعالى وفي الله، ليس محبة محبوب مع الله" (1)، وقال: " فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب وهو موافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغض والله يحب الإيمان والتقوى ويبغض الكفر والفسوق والعصيان"(2).

الرد على شبهتهم في الآية:

سئل ابن تيمية – رحمه الله–: عمن قال: يجوز الاستغاثة بالنبي ﷺ في كل ما يستغاث الله تعالى فيه، على معنى أنه وسيلة من وسائل الله تعالى في طلب الغوث، وكذلك يستغاث بسائر الأنبياء والصالحين في كل ما يستغاث الله تعالى فيه، وأما من توسل إلى الله تعالى بنبيه في تفريج كربة فقد استغاث به سواء كان ذلك بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو غيرهما مما هو في معناهما.

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، لم يقل أحد من علماء المسلمين: إنه يستغاث بشيء من المخلوقات؛ في كل ما يستغاث فيه بالله تعالى لا بنبي ولا بملك ولا بصالح ولا غير ذلك، بل هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام؛ أنه لا يجوز إطلاقه، ولم يقل أحد: إن التوسل بنبي؛ هو استغاثة به بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بأمور كقول أحدهم: أتوسل إليك بحق الشيخ فلان أو بحرمته أو أتوسل إليك باللوح والقلم أو بالكعبة أو غير ذلك، مما يقولونه في أدعيتهم يعلمون أنهم لا يستغيثون بهذه الأمور؛ فإن المستغيث بالنبي ﷺ طالب منه وسائل له، والمتوسل به لا يدعى ولا يطلب منه ولا يسأل وإنما يطلب به، وكل أحد يفرق بين المدعو والمدعو به، وأما ما لا يقدر عليه إلا الله؛ فلا يطلب إلا من الله؛ ولهذا كان المسلمون لا يستغيثون بالنبي ﷺ ويستسقون به ويتوسلون به، وقول القائل: إن من توسل إلى الله بنبي، فقال: أتوسل إليك برسولك فقد استغاث برسوله حقيقة، في لغة العرب وجميع الأمم قد كذب عليهم فما يعرف هذا في لغة أحد من بني آدم بل الجميع يعلمون أن المستغاث مسئول به مدعو، ويفرقون بين المسئول والمسئول به سواء استغاث بالخالق أو بالمخلوق فإنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على النصر فيه، والنبي ﷺ أفضل مخلوق يستغاث به في مثل ذلك، ولو قال قائل لمن يستغيث به: أسألك بفلان أو

---

(1) الرد على الإخنائي، ص208.

(2) العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة 1426هـ– 2005م، ص65.

بحق فلان، لم يقل أحد: إنه استغاث بما توسل به، بل إنما استغاث بمن دعاه وسأله؛ ولهذا قال المصنفون في شرح أسماء الله الحسنى: إن المغيث بمعنى المجيب لكن الإغاثة أخص بالأفعال والإجابة أخص بالأقوال(1).

وقال: نحن لا ننازع في إثبات ما أثبته الله من الأسباب والحكم، لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سبباً في الأمور التي لايقدر عليها إلا الله، ومن الذي قال إنك إذا استغثت بميت أو غائب من البشر كان أو غير نبي كان ذلك سبباً في حصول الرزق أو النصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله؟ ومن الذي شرع ذلك وأمر به؟ ومن الذي فعل ذلك من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين؟

فقال في ذلك: إن هذا المقام يحتاج إلى مقدمتين:

أحدهما: إن هذه أسباب لحصول المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله.

الثانية: إن هذه الأسباب مشروعة لا يحرم فعلها، فإنه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه، فإن قتل المسافر قد يكون سبباً لأخذ ماله؛ وكلاهما محرم، ....وذكر عدة أمثلة ثم قال: إن الله تعالى حرم من الأسباب ما كانت مفسدته راجحة على مصلحته، وإن كان يحصل به بعض الأغراض أحياناً، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمراً، فإنهم مطالبون بالأدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه أن يسألوا ميتاً أو غائباً، أو يستغيثوا به، سواء كان ذلك عند قبره أو لم يكن عند قبره، وهم لا يقدرون على ذلك(2).

قال القاضي عياض – رحمه الله–: فرق بعض المشايخ بين الدعاء والسؤال، فقال: الداعي: المضطر، والسائل: المختار، قال الله تعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْـمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾[النمل: 62]، فللسائل المثوبة، وللداعي الإجابة، وأصل الدعاء الاستغاثة قال الله تعالى: ﴿**وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾[البقرة:23]، قيل: استغيثوا بهم (3).

قال ابن القيم – رحمه الله–: وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أنصاب القبور، وهي أصل فتنة عبادة الأصنام، ومن أعظم كيد الشيطان: أنه ينصب لأهل الشرك قبر معظم يعظمه الناس، ثم يجعله وثناً يعبد من دون الله، ثم يوحى إلى أوليائه: أن من نهى عن عبادته، واتخاذه عيداً، وجعله وثناً فقد تنقصه وهضم حقه... وإيقاد السرج عليه، وبناء المساجد والقباب عليه وتجصيصه، وإشادته وتقبيله، واستلامه، ودعائه، والدعاء به أو السفر إليه أو الاستغاثة به من دون الله، مما قد

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ص103–105.

(2) انظر: الاستغاثة في الرد على البكري، ص 329–331

(3) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج1، ص 260.

علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله من تجريد التوحيد لله وأن لا يعبد إلا الله[1].

قال أبو العباس الحموي[2] – رحمه الله–: " وفي حديث: (مَنْ تَعَزَّى[3] بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ بِهِنَّ أَبِيهِ وَلَا تُكَنُّوا)[4]، هو أمر تأديب وفيه زجر عن دعوى الجاهلية؛ لأنهم كانوا يقولون في الاستغاثة: يا لفلان، وينادي: أنا فلان بن فلان ينتمي إلى أبيه وجده؛ لشرفه وعزه ونحو ذلك، فمعنى الحديث: قبحوا عليه فعله، وقولوا: اعضض بهن أبيك فإنه في القبح مثل هذه الدعوى"[5].

أما قولهم: المعجزات لا تنقطع بالموت، بمعنى: أن الله يحدثها للنبي ﷺ بعد موته .

"إن المعجزة من شرطها مقارنة التحدي عند دعوى النبوة، والميت لا يدعي النبوة، ولا يتحدى باتفاق العقلاء وكتب الله ورسله، قال عيسى عليه السلام ﴿**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [المائدة: 117]،... فأي دعوى للنبوة بعد الموت، وأي تحدي، وأي معجزة، ثم هذه الاستغاثة معلوم يقينا أنها بدعة، فلم يعلم أنه ﷺ استغاث برسول من أولي العزم ولا غيرهم عند الشدائد التي لاقاها"[6].

---

(1) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج1، ص213.

(2) هو: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: لغويّ، اشتهر بكتابه المصباح المنير، ولد ونشأ بالفيوم بمصر، ورحل إلى حماة بسورية فقطنها، ولما بنى الملك المؤيد إسماعيل جامع الدهشة قرره في خطابته، توفي: (770هـ)، انظر: الأعلام للزركلي، ج1، ص 224.

(3) تعزى: من مادة ع ز و، عزوته إلى أبيه أعزوه نسبته إليه وعزيته أعزيه لغة، واعتزى هو: انتسب وانتمى وتعزى كذلك، انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج2، ص408.

(4) أخرجه النسائي في سننه، ك: السير، ب: إعتضاض من تعزى بعزاء الجاهلية، ج1، ص136، رقم 8813، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند: الأنصار، ب: حديث عتبى بن ضمرة السعدي عن أبي بن كعب، ج35، ص158، رقم 21234، حكم شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(5) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج2، ص408.

(6) الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ)، المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1421هـ، عدد الأجزاء: 1، ص90.

الخلاصة:

إن الإيمان الحقيقي هو الاستغاثة بالله ﷻ فقط؛ لأنه هو من بيده ملكوت السموات والأرض، والقادر على كل شئ، والمتدبر لآيات القرآن العظيم ينور الله قلبه على فهم آياته الفهم الصحيح، فيستفيد منه وخاصة عندما يذكر الله ﷻ قصص الأنبياء؛ لأخذ العظة والعبرة منهم، فنرى في سورة يوسف عليه السلام وهو في السجن عندما طلب من عبد مثله أن يذكره عند الملك حتى يخرجه من السجن، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**﴾[يوسف:42]، حيث قال يوسف للذي علم أنه ناج وهو الساقي، اذكرني عند الملك صاحبك وقل له: إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً، فأنسى الشيطان يوسف الاستغاثة بربه، وأوقع في قلبه الاستغاثة بالملك؛ فعوقب بأن لبث في السجن بضع سنين(1).

وقولهم: إنهم يستغيثون بالنبي ﷺ هو بقدر حبهم له ﷺ، نقول: إن حب النبي ﷺ وتعظيمه باتباع شريعته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وحبه وتعظيمه بما ذكروه؛ هو من قبيل تعظيم النصارى لعيسى، وغلوهم في الأنبياء والرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ**﴾ [النساء: 171]، والغلو في المخلوق هو أعظم أسباب عبادة الأصنام والصالحين.

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية– دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 1، ص547.

المبحث الثاني
أدلتهم من الأحاديث النبوية الصحيحة وفهمهم الخاطئ لها

المطلب الأول: الشبهة الرابعة: حديث الشفاعة الذي في الصحيحين.

المطلب الثاني: الشبهة الخامسة: حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما.

المطلب الثالث: الشبهة السادسة: حديث الضرير.

المطلب الرابع: الشبهة السابعة: الاستدلال بحديث ربيعة ابن كعب رضي الله عنه.

المطلب الخامس: الشبهة الثامنة: حديث أن الأنبياء أحياء فى قبورهم.

لقد استدل أهل البدع بأحاديث صحيحة كثيرة، ولكن استدلالهم ليس في محله؛ لسوء فهمهم للأحاديث، وسأذكر بعضاً من هذه الأحاديث وأرد عليها، وسوف أتبع الطريقة السابقة فقط في الحديث الأول وهو الشبهة الرابعة، أما في باقي الشبه سوف أوردها وأرد عليها مباشرة؛ لأنه اتضح محل النزاع و الأقوال في الشبهات السابقة.

المطلب الأول

الشبهة الرابعة: حديث الشفاعة الذي في الصحيحين

أولاً: ذكر الحديث:

وهو حديث الشفاعة، قال محمد ﷺ: (إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله، وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ، فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لاتحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة – أو خردلة – من إيمان فأخرجه، فأنطلق، فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل " فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن وهو متوار في منزل أبي خليفة فحدثناه بما حدثنا أنس بن مالك، فأتيناه فسلمنا عليه، فأذن لنا فقلنا له: يا أبا سعيد، جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه فحدثناه بالحديث، فانتهى إلى هذا الموضع، فقال: هيه، فقلنا لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلوا، قلنا: يا أبا سعيد فحدثنا فضحك، وقال: خلق الإنسان عجولا ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم حدثني كما حدثكم به، قال: ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً،

فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)[1].

ثانياً: تحرير محل النزاع:

اتفق جميع العلماء على أن الشفاعة ثابتة للنبي محمد ﷺ يوم القيامة لقول الله تعالى:﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾[الإسراء: 79]، وَعَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبَةٌ[2]،

"والمقام المحمود هو الشفاعة العامة الخاصة لنبينا محمد ﷺ "[3]، وعلى شفاعة الناس بعضهم البعض في الدنيا، قال تعالى: ﴿ **مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا**﴾ [النساء: 85]،

واختلفوا في أنواع الشفاعة في الآخرة [4]، فمنها متفق عليه بين الأمة ومنها ما خالف فيه كالمعتزلة ونحوهم من أهل البدع، ومن الشفاعة التي وقع الخلاف فيها، هي الشفاعة في الدنيا والتي تكون واسطة إلى الله تعالى من وليّ مقرب عنده؛ ليغفر لمذنب ويسامحه.

ثالثاً: أقوال العلماء المانعين والمجيزين:

1. قال الزجاج: " فأنبأ الله ﷻ أن الشفاعة ليست إلا ما أعلم به من شفاعة بعض المؤمنين لبعض في الدعاء، وشفاعة النبي ﷺ، في قول الله تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا**

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التوحيد، ب: كلام الرب عزوجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ج 9، ص 146، رقم 7510، أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ج1، ص180، رقم 193، بلفظ آخر.

(2) تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: 20هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ- 2004 م، عدد الأجزاء: 2، ج 1، ص156.

(3) مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الثانية 1412هـ-1991م، عدد الأجزاء:1، ص16.

(4) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص 229-236.

يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:18]"[1].

2. قال ابن حزم: " وقد سألت بريرة النبي ﷺ إذ قال لها: (لو راجعتيه، يعني النبي ﷺ زوجها مغيثاً، فقالت: أتأمرني يا رسول الله فقال: لا إنما أشفع)[2]، ففرق ﷺ كما ترى بين أمره وشفاعته، فثبت أن الشفاعة لا توجب على أحد فعل ما شفع فيه عليه السلام، وأن أمره بخلاف ذلك وليس فيه إلا الإيجاب فقط، وقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:67]"[3].

3. قال ابن تيمية: " الرب تعالى ليس له من خلقه مالك ولا شريك ولا ظهير، لم يبق إلا الشفاعة، وهو دعاء الشافع وسؤاله لله في المشفوع له، فقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: 109]"[4].

4. قال ابن القيم: " الشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده، والتي نفاها الله هي الشفاعة الشركية، التي في قلوب المشركين، المتخذين من دون الله شفعاء، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفعائهم، ويفوز بها الموحدون"[5].

5. قال السمهودي: " وسؤال الشفاعة منه والتوسل به إلى الله تعالى والمجاورة عنده من أفضل القربات، وعنده تجاب الدعوات، فكيف لا يكون أفضل وهو السبب في هذه الخيرات"[6].

---

(1) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، الناشر: عالم الكتب– بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ– 1988 م، عدد الأجزاء:5، ج1، ص 337.

(2) الحديث مخرج في صحيح البخاري، ك: الطلاق، ب: شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة، ج7، ص 48، رقم 5283، وهذا نص الحديث: عن ابن عباس، أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ للعباس: (يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا، فقال النبي ﷺ : لو راجعته قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: إنما أنا أشفع، قالت: لا حاجة لي فيه).

(3) الإحكام في أصول الأحكام، ج3، ص20–21.

(4) الرد على الأخنائي، ص99.

(5) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1، ص 349.

(6) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، ج 1، ص67.

6. قال السبكي: " جواز أن يسأل العبد الله تعالى بمن يقطع أن له عند الله قدراً ومرتبة، ولا شك أن النبي ﷺ له عند الله قدر عليٌّ، ومرتبة رفيعة، وجاه عظيم، وفي العادة أن من كان له عند شخص قدر بحيث إذا شفع عنده؛ قَبِل شفاعته، فإذا انتسب إليه شخص في غيبته وتوسل بذلك وتشفع به؛ فإن ذلك الشخص يجيب السائل إكراماً لمن انتيب إليه وتشفع به؛ وإن لم يكن حاضراً ولا شافعاً"[1]، ثم أكمل الحديث بعد أن استشهد بالأدلة الصحيحة في جواز التوسل بأسماء الله الحسنى، وبالأعمال الصالحة، وبدعاء الرجل الصالح، ثم قال: " فالمسؤول في هذه الدعوات كلها؛ هو الله وحده لا شريك له، والمسئول به مختلف، ولم يوجب ذلك إشراكاً، ولا سؤال غير الله"[2].
7. قال القسطلاني: " فعليك أيها الطالب إدراك السعادة الموصل لحسن الحال فى حضرة الغيب والشهادة، بالتعلق بأذيال عطفه وكرمه، والتطفل على موائد نعمه، والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف، فهو الوسيلة إلى نيل المعالى واقتناص المرام، والمفزع يوم الجزع والهلع لكافة الرسل الكرام، واجعله أمامك فيما نزل بك من النوازل، وإمامك فيما تحاول من القرب والمنازل، فإنك تظفر من المراد بأقصاه، وتدرك رضى من أحاط بكل شئ علماً وأحصاه، واجتهد ما دمت بطيبة الطيبة حسب طاقتك فى تحصيل أنواع القربات، ولازم قرع أبواب السعادات بأظافير الطلبات، وارق فى مدارج العبادات، ولج فى سرادق المرادات"[3].
8. قال محمد بن عبد الوهاب: " فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد، تبين لك أن الشفاعة كلها لله فأطلبها منه فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيّ"[4].

من خلال العرض السابق للأقوال نجد أن العلماء قد اختلفوا على قولين:

القول الأول: عدم جواز أن نجعل شفاعة النبي محمد ﷺ في الدنيا واسطة إلى الله تعالى منه أو من غيره من الأنبياء والصالحين؛ ليغفر لنا ذنوبنا فهذه الشفاعة غير مشروعة.

القول الثاني: جواز أن نجعل شفاعة النبي محمد ﷺ في الدنيا و إلى الله تعالى منه أو من غيره؛ ليغفر لنا ذنوبنا.

---

(1) شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص365.
(2) المصدر نفسه.
(3) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج3، ص 607.
(4) كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد– المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ، عدد الأجزاء: 1، ص25.

ثالثاً: سبب الخلاف:

يرجع سبب الخلاف في هذه المسألة إلى الأسباب الآتية:

1. الاختلاف في حجية الاستدلال بالحديث.
2. اختلافهم في مفهوم لفظ الشفاعة.
3. اختلافهم في كيفية تقدير وتعظيم الأنبياء والصالحين؛ لأن لهم الجاه والقدر والمنزلة عند الله تعالى.

رابعاً: أدلة القول الأول:

لقد ذكرت في التمهيد عند بيان ماهية الشفاعة، فكان حاصل كلامهم في مسألة الشفاعة **ما بينه الألباني:**

وهو أن الشفاعة لغة: الدعاء، وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة، وهذا يبين أن الشفاعة أخص من الدعاء، إذ لا تكون إلا إذا كان هناك اثنان يطلبان أمراً، فيكون أحدهما شفيعاً للآخر، بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره، وحينما ننفي التوسل بجاه النبي ﷺ، وجاه غيره من الأنبياء والصالحين فليس ذلك لأننا ننكر أن يكون لهم جاه، أو قدر أو مكانة عند الله، كما أنه ليس ذلك لأننا نبغضهم، وننكر قدرهم ومنزلتهم عند الله، ولا تشعر أفئدتنا بمحبتهم، كلا ثم كلا، فنحن ولله الحمد من أشد الناس تقديراً لرسول الله ﷺ، وأكثرهم حباً له، واعترافاً بفضله ﷺ، ومن أعرفهم بقدره وحقه وفضله ﷺ، وبأنه أفضل النبيين، وسيد المرسلين، وخاتمهم وخيرهم، وصاحب اللواء المحمود، والحوض المورود، والشفاعة العظمى، والوسيلة والفضيلة، والمعجزات الباهرات، وبأن الله تعالى نسخ بدينه كل دين، وأنزل عليه سبعاً من المثاني والقرآن العظيم، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس... إلى آخر ما هنالك من فضائله ﷺ ومناقبه التي تبين قدره العظيم، وجاهه المنيف ﷺ تسليماً كثيراً، ولعل منزلته ﷺ عندنا محفوظة أكثر بكثير مما هي محفوظة لدى الآخرين، الذين يدعون محبته، ويتظاهرون بمعرفة قدره؛ لأن العبرة في ذلك كله إنما هي في الاتباع له ﷺ، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ونحن بفضل الله من أحرص الناس على طاعة الله ﷻ، واتباع نبيه ﷺ وهما أصدق الأدلة على المودة والمحبة الخالصة بخلاف الغلو في التعظيم، والإفراط في الوصف اللذين نهى الله تعالى عنهما[1].

(1) انظر: التوسل أنواعه وأحكامه، ص 72-80.

قال ابن تيمية: "في الحديث الصحيح أن أبا هريرة قال للنبي محمد ﷺ: أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: (من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)[1]، فبين ﷺ أن أحق الناس بشفاعته يوم القيامة من كان أعظم توحيداً وإخلاصاً؛ لأن التوحيد جماع الدين والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فهو سبحانه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فإذا شفع محمد ﷺ حدَّ له ربه حداً فيدخلهم الجنة، وذلك بحسب مايقوم بقلوبهم من التوحيد والإيمان، وذكر ﷺ أنه من سأل الله له الوسيلة حلت عليه شفاعته يوم القيامة، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)[2]، فبين أن شفاعته تنال باتباعه بما جاء به من التوحيد والإيمان، وبالدعاء الذي سن لنا أن ندعو له به"[3].

خامساً: أدلة القول الثاني:

وهو حديث الشفاعة، واعتمدوا على أدلة سوف أذكرها في محلها عند ذكر باقي الشبهات، قال السبكي: " وفي التجاء الناس إلى الأنبياء عليهم السلام في ذلك اليوم، أدل دليل على التوسل بهم في الدنيا والآخرة، وأن كل مذنب يتوسل إلى الله ﷻ، بمن هو أقرب إليه منه، وهذا لم ينكره أحد، ... ولا فرق بين أن يسمى ذلك: تشفعاً، أو توسلاً، أو استغاثة، وليس ذلك من باب تقرب المشركين إلى الله تعالى بعبادة غيره، فإن ذلك كفر، والمسلمون إذا توسلوا بالنبي ﷺ، أو غيره من الأنبياء والصالحين، لم يعبدوهم، ولا أخرجهم ذلك من التوحيد لله تعالى، وأنه هو المتفرد بالنفع والضرر، وإذا جاز ذلك، جاز قول القائل: أسأل الله تعالى برسوله؛ لأنه سائل لله تعالى لا لغيره"[4].

وقالوا في مفهومهم للشفاعة: قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى:5]، المفسَّر بمقام الوسيلة والشفاعة، كما في الدعاء المأثور: (اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)[5].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: العلم، ب: الحرص على الحديث، ج1، ص31، رقم99.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الإذان، ب: الدعاء عند النداء، ج1، ص126، رقم614.
(3) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص107.
(4) شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص 473.
(5) تم تخريجه سابقاً.

ومن ذلك ينجلي أن الإيمان بمقام الشفاعة له ﷺ وآله، يلازم الإيمان بالتوسل؛ لأن التوسل به ﷺ وآله ينطوي على تشفعه بقضاء الحاجة لديه تعالى، فالاعتقاد بالشفاعة دليل رجحان التوسل قال تعالى:﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:28]، وقال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم:87]، فبإذنه تعالى في الشفاعة متطابق مع أمره تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:35]، أي: بالتوسل إليه بالوسائل الشافعة لديه، فالتوسل والاستشفاع به ﷺ وآله إلى الله هو دعائه تعالى، والوسائل التي أذن تعالى أن يدعى بها هي أبواب لدعوته جل وعلا؛ لا دعوة من دونه، وأن التوجه إلى أشرف مخلوقاته هو تولية لشطر الوجه نحو وجهه الكريم، فالتوسل والدعاء وطلب الشفاعة والاستغاثة بالنبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين من المبادئ الأصلية والأساسية في الدين التى دل على مشروعيتها وضروريتها صريح العقل والقرآن الكريم وروايات المعصومين، ويقولون: إن نفي الوسائل والوسائط الإلهية والإعراض عنها في حال توجه العبد إلى الله هو الشرك بعينه، وأما توسل العبد بهذه الوسائط وتوجهه وتشفعه بها، هو التوحيد الحقيقي والتام المرضي عند الله ﷻ؛ لأنها مجعولة ومنصوبة من قبل الله ﷻ، فالإعراض عنها والاستكبار عليها والتوجه إلى الله تعالى بالمباشرة شركاً واستكباراً على الله ﷻ ومبارزة له في سلطانه، إذن المدار في تحقيق العبادة وعدمه ليس على ارتباط الطقوس العبادية بغير الله وعدم الارتباط بغيره، بل المدار في العبادة الخالصة وقوام التوحد في العبادة على وجود الأمر الإلهي والإرادة الإلهية، وقوام الشرك في العبادة ليس على تعلق الفعل بغير الله، بل الشرك في العبادة يتقوم بعدم وجود الأمر والإرادة الإلهية، وإنما باقتراح من العبد نفسه، فإن وجد الأمر تحقق التوحيد في العبادة ولو مع الواسطة، وإن فقد الأمر كان الاتيان بالفعل شركاً ولو مع نفي الواسطة، حيث إن الانكار على الوثنية والمشركين ليس في فكرة الوسائط، بل باقتراحهم من الوسائط مالم ينزل بها سلطاناً[(1)].

سادساً: الرأي المختار:

بعد النظر في أقوال العلماء وأدلتهم، فالقول المختار هو القول الأول، القائل بعدم جواز الاستشفاع بالنبي محمد ﷺ أو بغيره من الأنبياء والصالحين؛ وذلك للأسباب التالية التي ستكون رداً على شبهتهم:

1. لأن لفظ الاستشفاع ليس لغة النبي ﷺ وأصحابه وعلماء الأمة، بل ولا هو لغة العرب، فإن الاستشفاع طلب الشفاعة، والشافع هو الذي يشفع للسائل فيطلب له ما يطلب من المسئول

(1) انظر: الإمامة الإلهية بحوث محمد السند، ص1-62.

المدعو المشفوع إليه، وأما الاستشفاع بمن لم يشفع للسائل ولا طلب له حاجة بل وقد لا يعلم بسؤاله، فليس هذا استشفاعاً لا في اللغة ولا في كلام من يدري ما يقول[1].

2. معلوم أنه لو كان طلب دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعاً، لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أعلم بذلك وأسبق إليه من غيرهم.

3. إن الدليل الذي استدلوا به، ليس فيه ما يخدم مقصدهم؛ لأن هذا الدليل ليس في حال الوفاة بل هو فيما يكون بعد البعث، والناس أحياء حياة لا موت بعدها.

(1) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص163.

المطلب الثاني

الشبهة الخامسة: حديث استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس رضي الله عنهما.

أولاً: ذكر الحديث:

عن أنس بن مالك، أن عمر بن الخطاب ﷺ، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون)(1)، يستدلون به على جواز التوسل بالجاه لما لمنزلة ومكانة العباس رضي الله عنه عند رسولنا محمد ﷺ؛ ففهمهم الخاطيء لهذا الحديث أوقعهم بالشبهة.

ثانياً: الجواب:

1. إن عمر بن الخطّاب ﷺ كان يستدعي العبّاس ﷺ ثمّ يقول: (اللهمّ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا)، ثمّ يقوم العبّاس ﷺ يدعو والنّاس يؤمّنون، ويؤيد هذا القول قول ابن قدامة – رحمه الله-: " ويستحب أن يستسقى بمن ظهر صلاحه؛ لأنه أقرب إلى إجابة الدعاء"ثم ذكر الحديث"(2)، وهناك رواية أخرى توضّح بماذا دعا العباس لما استسقى به عمر قال: (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس) (3)، وهذه الرّواية تثبت أنّ العبّاس كان حاضراً، وكان يدعو والنّاس يتوسّلون بدعائه، ونلاحظ في دعائه الاعتراف بالذنوب، ومن ثم طلب التوبة من الله ﷻ، وهنا يتبين أصل الدعاء الذي أمرنا الله به، قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح:11].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجمعة، ب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ج2، ص27، رقم 1010.

(2) المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، عدد الأجزاء: 10، ج2، ص 326.

(3) انظر: عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر: 1418 هـ، عدد الأجزاء: 4، ج2، ص303، المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : 333هـ)، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر : جمعية التربية الإسلامية (البحرين- أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت- لبنان)، تاريخ النشر : 1419هـ، عدد الأجزاء : 10، ج3، ص102، و انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 497.

2. دليل آخر على أنّ الصّحابة كانوا يتوسّلون بدعاء العبّاس: عن أنس قال: (كانوا إذا قحطوا على عهد النبي ﷺ، استسقوا بالنبي ﷺ، فيستسقي لهم فيسقون، فلما كان بعد وفاة النبي ﷺ، في إمارة عمر، قحطوا فخرج عمر بالعباس يستسقي به، فقال: اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبيك ﷺ، واستسقينا به، فسقيتنا وأنا نتوسل إليك اليوم بعم نبيك ﷺ، فاسقنا قال: فسقوا)[1]، هذه الرّواية توضّح أنّ الصّحابة كانوا يستسقون بالعبّاس كما كانوا يستسقون بالنبيّ ﷺ في حياته، وكيف كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم بالسّقيا فيدعو لهم فيُسقون، وقد جاء في هذه الرّواية(فيستسقي لهم)، أي: النبيّ ﷺ (فيُسقون)، واضح أنّ استسقاءهم إنّما كان بدعاء النبيّ ﷺ في حياته، فلمّا قبض صلوات ربّي وسلامه عليه صاروا يستسقون بدعاء العبّاس ﷺ.

3. في هذا الحديث دليل قاطع على عدم جواز التوسّل بالميّت، فلو كان ذلك جائزاً لما عدل عمر ابن الخطّاب ﷺ عن التوسّل بخير خلق الله وأحبّهم إليه نبيّ الهدى ﷺ إلى التوسّل بالعبّاس ﷺ، وحيث أنّ أحداً من الصّحابة لم يستدرك عليه في هذا الأمر أصبح إجماعا يستدلّ به، ولله الحمد.

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ك: الصلاة، ب: ذكر ما يستحب للإمام إذا أراد الاستسقاء أن يستسقي الله بالصالحين، ج7، ص 110، رقم 2861، حكم الألباني: صحيح، وحكم شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

المطلب الثالث

الشبهة السادسة: حديث الضرير

أولاً: ذكر الحديث:

عن عثمان بن حنيف، أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في)[1]، قال الغماري [2] : "الحديث يدل على جواز التوسل بالنبي ﷺ في جميع الأحوال، في حال حضوره وغيبته، وفي حال حياته وبعد وفاته، وذلك من وجوه:

الأول: أن هذا الحديث وإن كان قد ورد بسبب سؤال الضرير، فغيره مثله في ذلك للقطع الجازم باستواء الناس في الأحكام الشرعية.

الثاني: أن الخطاب في الحديث وإن كان متوجهاً على الضرير محمول على العموم من حيث الشرع؛ للإجماع المتيقن من جميع العلماء على خطابات الشارع محمولة على العموم

الثالث: أن الضرير سأل النبي ﷺ أن يدعو له، فعلمه الدعاء المذكور فعدوله ﷺ عن الدعاء المطلوب منه إلى ما ذكر دليل على أنه أراد أن يشرع لأمته حكماً عاماً لا يختص بواحد دون آخر.

الرابع: أن الحديث لو كان خاصاً بالضرير، أو بحالتي الحياة أو الحضور ولم يبين النبي ﷺ ذلك لكان فيه تأخير البيان عن وقت الحاجة وهو ممنوع إذ هو تكليف بما لا يعلم ..."[3].

ثانياً: الجواب:

هذا الحديث ليس فيه دليل للتوسّل بذات أو جاه النبي ﷺ، وإنما هو بدعاء النبي صلى ﷺ، وبيان ذلك عدة أمور [4] ذكرها ابن تيمية:

(1) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، ب: باب، ج 5، ص 569، رقم 3578، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي، حكم الألباني: صحيح.

(2) هو: أحمد بن محمد بن الصديق بن أحمد، أبو الفيض الغماري الحسني الأزهري، متفقه شافعيّ مغربي. من نزلاء طنجة. تعلم في الأزهر، واستقر وتوفي بالقاهرة. عرف بابن الصديق كأبيه، (1380 هـ)، انظر: الأعلام للزركلي، ج1، ص 253.

(3) مصباح الزجاجه في فوائد صلاة الحاجة، عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني، (المتوفى: 1413هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: الثانية، 1429 هـ- 2008م، ص 21-22.

(4) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص 122، 201، 215، 229، 282.

1. أن الأعمى ذهب إلى النبي ﷺ ليطلب منه الدعاء، ولو كان التوسل بالذات مشروعاً لم يكن ثمة حاجة للذهاب إليه؛ إذ كان يكفيه أن يتوسل به من غير أن يذهب إليه، فيقول: اللهم أسألك بنبيك، لكنه ذهب وطلب منه أن يدعو الله له، وهو توسل إلى الله تعالى بدعائه ﷺ؛ لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره وهذا في حياته.
2. أن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قوله ﷺ: (إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرت فهو خير لك)، وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ﷺ في الحديث الذي رواه عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه، قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: (ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع[1]، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها)[2]، بهذا الدليل يسقط حجة الخصم وذلك للوجوه التالية:

أولاً: إن حالة المرأة متشابه تماماً بحالة الضرير وهو المرض، فسقط بذلك الوجوه الثلاثة الأولى التي احتج بها الغماري المذكورة سابقاً.

ثانياً: المتأمل في الحديثين يجد أن النبي ﷺ عندما طلب منه الضرير أن يدعو له أن يرد الله بصره، وكذلك عندما طلبت المرأة من النبي ﷺ أن يدعو الله أن يشفيها، ماذا قال لهما؟ إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، أي : خيرهما بعد توضيح الأفضل، ولكن لماذا عندما طلبت منه المرأة أن يدعو أن لا تتكشف لماذا لم يخيرها؟! بل أجاب طلبها ودعا لها؛ لحرص النبي ﷺ على الستر والحجاب.

ثالثاً: لو أن هذا الدعاء ما أراده النبي ﷺ وأحبه لأمته وهو الأفضل لإجابة الدعوة، فلماذا لم يعلمه للمرأة حتى تحصل على المطلوب؟!!، مع أنه موقف بيان كما ذكر الغماري، أو هل النبي ﷺ فضل الضرير على المرأة؛ لذلك علمه الدعاء ولم يعلمها إياه؟!! وهذا يدل على أن حديث الضرير حالة خاصة؛ وذلك بسبب إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله: فادع، فهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له؛ لأنه ﷺ خير من وفى بما وعد، وقد وجهه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع، وهو التوسل بالعمل الصالح؛ ليجمع له الخير من أطرافه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه وهذه الأعمال طاعة

(1) أصرع: يصيبني الصرع وهو علة في الجهاز العصبي تصحبها غيبوبة في العضلات وقد يكون هذا بسبب احتباس الريح في منافذ الدماغ وقد يكون بسبب إيذاء الكفرة من الجن، حاشية صحيح البخاري، ص116.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المرضى، ب: فضل من يصرع من الريح، ج 7، ص 116، رقم 5652، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، ج4، ص1994، رقم 2576.

لله سبحانه وتعالى، وهي تدخل في قوله تعالى:﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: 35]، وهكذا فلم يكتف الرسول ﷺ بدعائه للأعمى الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله سبحانه وتعالى وقربة إليه؛ ليكون الأمر مكتملاً من جميع نواحيه، وأقرب إلى القبول والرضا من الله سبحانه، وأما فهم الغماري لقول الرسول ﷺ: (وإن شئتَ دعوتُ)، أي: وإن شئت علمتك دعاء تدعو به، ولقنتك إياه، وهذا التأويل واجب ليتفق أول الحديث مع آخره).... هذا التأويل باطل لوجوه كثيرة منها: أن الأعمى إنما طلب منه ﷺ أن يدعو له، لا أن يعلمه دعاء، فإذا كان قوله ﷺ له: (وإن شئت دعوت) جواباً على طلبه تعين أنه الدعاء له، وهذا المعنى هو الذي يتفق مع آخر الحديث؛ لذلك لم يتعرض الغماري لتفسير قوله في آخره: (اللهم فشفعه في، وشفعني فيه)؛ لأنه صريح في أن التوسل كان بدعائه ﷺ.

3. إن في الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: (اللهم فشفعه في)، وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ، أو جاهه، أو حقه، إذ أن المعنى: اللهم اقبل شفاعته ﷺ فيَّ، أي: اقبل دعائه في أن ترد عليَّ بصري.

4. إن مما علم النبي ﷺ الأعمى أن يقوله: (وشفعني فيه)، اقبل شفاعتي، أي: دعائي في أن تقبل شفاعته ﷺ، وهذا الذي لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه؛ لهذا نرى المخالفين يتجاهلونها ولا يتعرضون لها من قريب أو من بعيد؛ لأنها تنسف بنيانهم من القواعد، وتجتثه من الجذور؛ ذلك لأن شفاعة الرسول ﷺ في الأعمى مفهومة، ولكن شفاعة الأعمى في الرسول ﷺ كيف تكون؟ لا جواب لذلك عندهم البتة، ومما يدل على شعورهم بأن هذه الجملة تبطل تأويلاتهم أنك لا ترى واحداً منهم يستعملها، فيقول في دعائه مثلاً: اللهم شفع فيَّ نبيك، وشفعني فيه إن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهره الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فهذا يدل على أن السر في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي ﷺ[1].

5. كما أنه لو كان السر في شفاء الأعمى أنه توسل بجاه النبي ﷺ وقدره وحقه، كما يفهم عامة المتأخرين، لكان من المفروض أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين يتوسلون بجاهه ﷺ، بل ويضمون إليه أحياناً جاه جميع الأنبياء المرسلين، وكل الأولياء والشهداء والصالحين، وجاه كل من له جاه عند الله من الملائكة، والإنس والجن أجمعين! ولم نعلم ولا نظن أحداً قد علم حصول مثل هذا خلال القرون الطويلة بعد وفاته ﷺ إلى اليوم.

(1) التوسل أنواعه وأحكامه، ص 73.

المطلب الرابع

الشبهة السابعة:الاستدلال بحديث ربيعة بن كعب رضي الله عنه

أولاً: ذكر الحديث:

عن ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: (سل فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: أو غير ذلك، قلت: هو ذاك، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود)[1]، يستدلون به على النوع الثالث للتوسل عندهم، قال السبكي: " أن يطلب منه ذلك الأمر المقصود، بمعنى أنه ﷺ قادر على التسبب فيه؛ بسؤاله ربه وشفاعته إليه، فيعود إلى النوع الثاني في المعنى، وإن كانت العبارة مختلفة"[2].

ثانياً: الجواب:

فالدليل صحيح لا إشكال فيه، ولا غُبار عليه، وإنما الاستدلال هنا لا يسلم لمن استدل به كما في الأدلة السابقة؛ فسؤال النبي ﷺ في حياته أمراً ممكناً لا ينكر، فهل أعطاه النبي ﷺ ضمانة إلى الجنة ؟ وهل قال له النبي ﷺ : أدخلتُك الجنة ؟ إنما أحاله عليه الصلاة والسلام على عمل يدخله الجنة، وهو كثرة السجود؛ لذلك بوّب عليه الإمام النووي في شرح مسلم: باب فضل السجود والحث عليه، ومع ذلك فالنبي ﷺ مؤيد بالوحي، فإذا أخبر أن شخصاً بعينه في الجنة، فإنما يكون ذلك بما أوحاه الله إليه، ثم إن النبي ﷺ قد قال لأقرب الناس إليه لما أنزلت هذه الآية : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فاجتمعوا فعم وخص، فقال: (يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها[3])[4]، فهذا إعلان منه ﷺ لأقرب الناس إليه – فضلاً عن غيرهم – أنه لا يملك لهم شيئاً، إلا ما يكون من صلة الرحم.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الصلاة، ب: فضل السجود والحث عليه، ج 1، ص 353، رقم 489.

(2) شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص 383.

(3) سأبلها ببلالها: بفتح الباء الثانية وكسرها، وهما وجهان مشهوران ذكرهما جماعات من العلماء، والبلال: الماء، ومعنى الحديث سأصلها، شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة، انظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، التحقيق: أبواسحق الحويني الأثري، الناشر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع– المملكة العربية السعودية – الخبر، الطبعة: الأولى 1416 هـ– 1996 م، عدد الأجزاء: 6، ج 1، ص 270.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: في قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، ج1، ص 192، رقم 204.

أما قول السبكي: " ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك إلا كون النبي ﷺ سبباً وشافعاً"[1]، قال ابن تيمية: "إن الالتفات إلى الأسباب هو اعتماد القلب عليه، ورجاؤه والاسناد إليه، وليس في المخلوقات ما يستحق هذا؛ لأنه ليس مستقلاً ولا بد له من شركاء وأضداد ومع هذا كله، فإن لم يسخره مسبب الأسباب لم يسخر"[2]؛ لذلك فالإلتجاء إلى الله ﷻ مباشرة هو النجاة.

(1) شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص383.

(2) مجموع الفتاوى، ج 8، ص 169.

المطلب الخامس

الشبهة الثامنة: حديث أن الأنبياء أحياء في قبورهم.

أولاً: ذكر الحديث:

عن أنس ، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)[1]، يحتجون به بقولهم: يقولون: ما دام يجوز الذّهاب إلى النبيّ ﷺ في حياته لطلب الاستغفار، فما المانع من الذّهاب إلى قبره لهذا الغرض، ما دام الأنبياء أحياء في قبورهم؟.

ثانياً: استنباط الجواب من نونية ابن القيم:

أولا: النبيّ ﷺ الذي هو أفضل الأنبياء- ميت في قبره بنص القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزّمر:30]، أمّا عن النّصوص التي تتحدّث عن حياة الأنبياء وحياة الشّهداء في قبورهم، فإنها تتحدث عن حياة خاصة لا يعلم كنهها إلا الله ﷻ، حياة تقتضي انقطاعهم عن هذه الدنيا إلا فيما خصه الدليل.

ثانياً: حياة الأنبياء والشّهداء في قبورهم من الغيب الذي لا يجوز الخوض فيه إلا بدليل، ونحن لا نخوض فيها إلا بما جاء به الدليل، والغيب لا يصلح فيه القياس فنقول مثلا: ما دام النبيّ ﷺ حي في قبره فهو يسمع توسل من يطلب منه أن يدعو الله له، علمنا أنه حي، ولكن هل علمنا أنه يسمع كلام من يكلمه مباشرة؟ أو هل علمنا أن هناك من يبلّغه كلامنا؟!.

ثالثا: قد ثبت أن المسلمين كانوا يأتون النبي ﷺ في حياته فيقضي بينهم فيما اختلفوا فيه، ويسألونه فيما يشكل عليهم من أمور دينهم، ولم يثبت عنهم أنهم كانوا يفعلون ذلك بعد وفاته عند قبره، فعلم من هذا أن حياة النبي ﷺ في قبره تختلف عن حياته في الدنيا.

---

(1) أخرجه البيهقي في كتابه، حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: الدكتور أحمد بن عطية الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1414هـ- 1993م، عدد الأجزاء: 1، ص 69، والحديث: صحيح بطرقه، أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، ج6، ص 147، رقم 3425، والبزار في مسنده البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9)، وعادل ابن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: 18، ج13، ص62، رقم 6391، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ-1990م، عدد الأجزاء: 2، ج 2، ص 44، حكم الألباني: صحيح.

رابعاً: علمنا عن طريق الدليل أن لله ملائكة يبلّغون سلامنا إلى النبي ﷺ، ولكن لا علم لنا إن كان النبي ﷺ ، يسمع بنفسه كلام من يكلمه مباشرة، بل النصوص الشرعية تدل في عمومها على غير هذا قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾ [المائدة:109]، ويقول أيضاً: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [المائدة:116-117]، فهذه الآية تبيّن أنّ عيسى عليه السلام الذي كان من أولي العزم من الرسل ومن كبار الأنبياء لم يكن له علم بأحوال أمته، فكيف يعلم الإمام أو ابن الإمام بذلك؟!.

خامساً: لو ثبت عندنا يقينا أن الأنبياء والشهداء يسمعون كلام من يكلمهم وهم في قبورهم، فإننا نحتاج إلى دليل آخر يثبت مشروعية أن نطلب منهم أن يدعو ويستغفروا الله لنا، ونحتاج إلى دليل آخر يثبت أن الله قد أذن لهم في الدعاء لمن يطلب منهم الدعاء، نحتاج إلى هذه الأدلة لأن الدعاء والتوسل عبادة، والأصل في العبادات المنع حتى يرد الدليل وهذه الأدلة لا سبيل إليها.

سادساً: قياس جواز التوسل بالميت على جواز التوسل بالحي قياس لا يصح، لأن الميت ليس كالحي، قال تعالى:﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ** ﴾ [فاطر:22]، الحي يسمع ويدعو لمن يطلب منه ذلك، أما الميت فلا يسمع وإن سمع فلا يستجيب، وحتى الأنبياء عليهم السلام لا يوجد دليل على أنهم يسمعون غير ما ثبت في الدليل أنه يبلغهم عن طريق الملائكة، وليس معنا دليل أنهم إن سمعوا فإنهم يدعون لمن يطلب منهم الدعاء.

سابعاً: أئمة أهل البيت رضوان الله تعالى عليهم كانوا أكثر الناس حباً لجدهم المصطفى ﷺ ، ومع ذلك لم يكونوا يذهبون إلى قبره لدعائه، بل ولا حتى للتوسل به، بل كانوا يزورون قبره للسلام عليه، ولم يثبت عن الحسن والحسين رضي الله عنهما أنهما كانا يذهبان إلى قبر أبيهما علي رضي الله عنه لدعائه ولا حتى للتوسل به، مع أنه رضي الله عنه شهيد سعيد، ولم يثبت عن الإمام زين العابدين أنه كان يذهب إلى قبر أبيه الشهيد الحسين رضي الله عنه لدعائه أو حتى

للتوسل به، وهكذا كان شأن أعلام أهل البيت رضوان الله تعالى عليهم، بل كانوا مع هذا يوصون الناس بدعاء الله وحده واللجاءة إليه وحده، والتوسل إليه بأسمائه وصفاته، وبالأعمال الصالحة.

ثامناً: وإثبات حياة النبي ﷺ في قبره لا يسوغ دعاءه، ولا يجيز التوسل به ﷺ، إذ لو كان ذلك جائزاً لدل أمته عليه[1].

(1) انظر: نونية ابن القيم، ص 178-180.

المبحث الثالث
الاستدلال بالأحاديث الضعيفة

المطلب الأول: الشبهة التاسعة: حديث : (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم ...).

المطلب الثاني: الشبهة العاشرة: حديث : (أن آدمَ ﷺ لما أكلَ من الشجرةِ قالَ: يا رب أسألُكَ بحقِّ محمدٍ إلا ما غفرتَ لي).

المطلب الثالث: الشبهة الحادية عشرة: حديث كوة القبر.

المطلب الرابع: الشبهة الثانية عشرة: حديث "إذا سألتم الله فسألوه بجاهي".

المطلب الخامس: الشبهة الثالثة عشر: الاستسقاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول

الشبهة التاسعة: حديث عرض الأعمال على النبي ﷺ

أولاً: ذكر الحديث:

قال: قال رسول الله ﷺ: (حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم، تعرض علي أعمالكم، فإذا رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شراً استغفرت الله لكم)[1].

ثانياً: الجواب:

هذا الحديث هو في الأصل زيادة على حديث(إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام) [2]، زيادة تفرد بها الراوي عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد المرجئ، قال البزار: حدثنا يوسف بن موسى، قال: نا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن سفيان، عن عبد الله ابن السائب، عن زاذان، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: (إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام)، قال: وقال رسول الله ﷺ: (حياتي خير لكم تحدثون ونحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم).

الحديث عن الاسناد:

فمدار الزيادة حول عبد المجيد بن عبد العزيز المرجئ، وقد نقل الزبيدي حكم الحافظ العراقي على الحديث بأنه ضعيف؛ لأن فيه عبد المجيد بن عبد العزيز، وقد ضعفه كثيرون، قال فيه ابن حبان: " منكر الحديث جداً يقلب الأخبار، ويروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك "[3].

(1) أخرجه البغدادي في مسنده، ك: علامات النبوة، ب: في حياته ووفاته، ج 2، ص 884، رقم 953، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: 282هـ)، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: 807 هـ)، المحقق: حسين أحمد صالح الباكري، الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية– المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1413 – 1992، عدد الأجزاء:2، وانظر: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: 840هـ)، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، 1420 هـ– 1999 م، عدد الأجزاء: 9، ج7، ص74، رقم 6412.

(2) أخرجه البزار في مسنده، ج 5، ص 308، رقم 1925، وقال: وهذا الحديث آخره لا نعلمه يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، حكم الألباني : ضعيف.

(3) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي – حلب، الطبعة: الأولى، 1396هـ، عدد الأجزاء: 3، ج2، ص 161، رقم783.

وقال الحافظ: " صدوق يخطئ وكان مرجئاً "[1].

الحديث عن المتن:

هذا الحديث منكر أيضاً من جهة المعنى؛ لأنه يحث على التواكل والإرجاء، وراويه عبد المجيد بن عبد العزيز متهم بالدعاية للإرجاء حتى أدخل أباه فيه، وهو الذي روى الرواية الموضوعة عن ابن عباس :"وما نعلم الحق إلا في المرجئة "[2]، وقال الذهبي عنه: "صدوق مرجئ كأبيه"[3].

وقد شهد البخاري بأنه من المرجئة، قال: " كان يرى الإرجاء، عن أبيه، وكان الحميدي يتكلم فيه"[4].

ومن المقرر عند العديد من علماء الحديث أن المبتدع إذا تفرد برواية تؤيد بدعته فإن روايته مردودة، وهذا جرح مفسر مقدم على التوثيق .

وهذا الحديث يؤيد مذهبه في الإرجاء، فإنه ما دامت الأعمال تعرض على النبي ﷺ فيستغفر للأمة، فلا تضر المعاصي حينئذ كبيرة كانت أو صغيرة، النبي ﷺ يقول لابنته فاطمة: (أنقذي نفسك من النار لا أملك لك من الله شيئاً)[5]، فكيف يطمئن الزناة ومرتكبي الكبائر من أمته ويعدهم بأنه سيستغفر لهم ؟.

وأما قول: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، كما قال الحافظ الهيثمي في مجمعه[6]، فهذا تدليس على القراء، وإيهام تصحيح الحديث؛ لأن قول الحافظ الهيثمي لا يعتبر تصحيحاً للحديث،

---

(1) تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، 1406 – 1986، عدد الأجزاء: 1، ص 361، رقم 4150.

(2) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج 2، ص 161، رقم 784،

(3) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1382 هـ- 1963 م، عدد الأجزاء: 4، ج 2، ص 648.

(4) الضعفاء، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، المحقق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، الناشر: مكتبة ابن عباس، الطبعة: الأولى 1426هـ/2005مـ، عدد الأجزاء: 1، ص94.

(5) تم تخريجه، ص131.

(6) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م، عدد الأجزاء: 10، ج8، ص 211، رقم 13812.

فإن قوله : رجاله رجال الصحيح، لا يقتضي صحة إسناد الحديث، بل ولا يقتضى اتّصال إسناده، بل الوصف لرجال الإسناد دون الإسناد نفسه، وهذا يعلمه من له أدنى معرفة بمصطلح الحديث وطرق الأئمة في كتبهم، فقول الحافظ الهيثمي مثلاً : رجاله ثقات، أو رجاله رجال الصحيح، ونحوها، لا يقتضي صحة الحديث، بل الوصف متعلق برجال الإسناد، دون تصحيح الإسناد، ودون تصحيح متن الحديث، والحدث ضعيف كما علمنا، لا تقوم به حجة، كما بينه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة[1] .

(1) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ / 1992 م، عدد الأجزاء: 14، ج 2، ص 404، رقم 975.

المطلب الثاني

الشبهة العاشرة: حديث آدم عندما توسل بالنبي ﷺ.

أولاً: ذكر الحديث:

حدثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل بن مسلمة، أنبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك)[1]، يستدلون على هذا الحديث على جواز التوسل بالنبي محمد ﷺ قبل خلقه.

ثانياً: الجواب:

هذا الحديث من الموضوعات التي لا ينقلها إلا من يعتقد ثم يبحث عن دليل لمعتقده، ويتعلق بكل قشة يعثر عليها:

من ناحية السند:

قال البيهقي: " تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، من هذا الوجه عنه، وهو ضعيف"[2].

قال الذهبي وابن حجر: "عبد الله بن مسلم، أبو الحارث الفهري، روى عن إسماعيل ابن مسلمة ابن قعنب، عن عبد الرحمن بن يزيد بن سلم خبراً باطلاً فيه: يا آدم لولا محمد ما خلقتك "[3].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990، عدد الأجزاء: 4، ج 2، ص 672، رقم 4228، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في هذا الكتاب.

(2) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى– 1405 هـ، عدد الأجزاء: 7، ج5، ص 489.

(3) ميزان الاعتدال، ج 2، ص 504، رقم 4604، ولسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1390هـ /1971م، عدد الأجزاء: 7، ج 3، ص 359، رقم 1451.

وزاد ابن حجر على الذهبي بقوله: " في هذا الفهري: لا أستبعد أن يكون هو الذي قبله فإنه من طبقته"[1].

قال الألباني : "متابعاً لكلام ابن حجر، والذي قبله هو عبد الله بن مسلم بن رشيد، ذكره ابن حبان فقال: متهم بوضع الحديث، يضع على ليث ومالك وابن لهيعة لا يحل كتب حديثه، وهو الذي روى عن ابن هدبة نسخة كأنها معمولة" [2].

من ناحية المتن:

هذا الحديث يخالف صريح القرآن الذي ذكر وبين الكلمات التي تاب بها آدم إلى ربه: ﴿ **قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[الأعراف: 23]، وهذا الحديث الموضوع المكذوب يضاهي اعتقاد النصارى أن المسيح عليه السلام هو الابن الوحيد وهو الذي به غفرت زلة آدم عليه السلام.

وهذا الحديث باطل لا أصل له، وهذا كلام فاسد، فالله خلق الدنيا ليعرف ويُعلم سبحانه وتعالى وليُعبد جلا في علاه، وهو معارض قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:56]، وخلق الخلق ليُعرف بأسمائه وصفاته، وبقدرته وعلمه، وليعبد وحده لا شريك له ويطاع سبحانه وتعالى، لا من أجل محمد ﷺ، ولا من أجل نوح عليه السلام، ولا موسى عليه السلام، ولا عيسى عليه السلام، ولا غيرهم من الأنبياء صلوات الله وسلامهم عليهم أجمعين، بل خلق الله الخلق ليعبد وحده لا شريك له، حتى رسول الله ﷺ خلق للعبادة، حتى أن الله سبحانه وتعالى كان يخاطبه بالعبودية في العديد من الآيات هو وجميع الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الإسراء: 1]، وقال تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا**﴾[الجن: 19]، وزعمهم هذا من الغلو المذموم أن يتصور أحد أن الله ما خلق الخلق إلا لأجل رسول الله ﷺ، وهذا ما ذم الله سبحانه وتعالى الذين جادلوا النبي محمد ﷺ في عيسى عليه السلام، ثم بين لهم أن الأنبياء عليهم السلام هم عبيد لله تعالى، قال تعالى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الزخرف: 59]، قال الرازي: " إنه تعالى بين أنا لم نقل إن الاشتغال

---

(1) المصدر نفسه ورقم الصفحة.

(2) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ج 1، ص 89.

بعبادة المسيح طريق حسن بل هو كلام باطل، فإن عيسى ليس إلا عبداً أنعمنا عليه، فإذا كان الأمر كذلك فقد زالت شبهتهم في قولهم: إن محمداً يريد أن يأمرنا بعبادة نفسه"[1].

لقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أنه خلق السموات والأرض للنظر والتدبر في خلق الرحمن قال تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ *تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ**﴾ [ق:6-8]، فإن النظر في هذه الأشياء تبصرة وذكرى يتذكر بها كل من هو مقبل علي الله تعالى بالحب والخوف والرجاء، وإجابة داعيه، لم يقل الله سبحانه تعالى أنه خلق السموات والأرض لأجل النبي محمد ﷺ.

(1) مفاتيح الغيب، ج 27، ص 639.

المطلب الثالث

الشبهة الحادية عشرة: حديث كوة القبر.

أولاً ذكر الحديث:

حدثنا أبو النعمان، حدثنا سعيد بن زيد، حدثنا عمرو بن مالك النكري، حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله، قال: (قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطرنا مطراً حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق)[1].

ثانياً: الجواب:

من ناحية السند:

أولاً: هذه القصة لا تصح من حيث السند:

1. في سندها: محمد بن الفضل السدوسي أبو النعمان البصري: قال ابن حجرلقبه: "عارم ثقة ثبت تغير في آخر عمره"[2].
2. قال ابن أبي الحاكم: " اختلط عارم في آخر عمره وزال عقله، فمن سمع عنه قبل الاختلاط فسماعه صحيح، وكتبت عنه قبل الاختلاط سنة أربع عشرة، ولم أسمع منه بعدما اختلط، فمن كتب عنه قبل سنة عشرين ومائتين فسماعه جيد، وأبو زرعة لقيه سنة اثنتين وعشرين"[3].
3. في السند: سعيد بن زيد: قال الذهبي: ليس بالقوي، وقال أحمد: ليس به بأس[4].
4. في السّند: عمر بن مالك، قال ابن أبي حاتم: " شيخ لا بأس به ليس بالمعروف"[5]
5. في السند أبو الجوزاء أوس بن عبد الله: قالابن حجر: "أوس بن عبد الله الربعي البصري يرسل كثيراً ثقة"[6].

---

(1) أخرجه الدارمي في سننه، ك: دلائل النبوة، ب: ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته، ج1، ص 227، رقم 93.

(2) تقريب التهذيب، ج1، ص502، رقم 6219.

(3) الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1271 هـ 1952 م، ج 8، ص 59، رقم 267.

(4) انظر: ميزان الاعتدال، ج 2، ص138.

(5) الجرح والتعديل، ج 6، 136، رقم 745.

(6) تقريب التهذيب، ج1، ص 116، رقم 577.

ناحية المتن:

أولاً: ما من مسلم إلا ويعلم أن رسول الله ﷺ لما توفي دفن في بيت عائشة، وعائشة بقيت ساكنة فيه، فكيف تقول لهم ما قالت؟ أليس معنى هذا أنها تكلفهم أن يهدموا سقف البيت الذي تسكنه؟!.

ثانياً: رسول الله ﷺ لما كان حياً كان دائماً معرضاً جسده إلى السماء ككل الناس في غدواته وروحاته وقد قحطوا على عهده ﷺ فلم ينزل الغيث بمجرد كون جسده معروضاً للسماء، بل بقي القحط حتى استسقى لهم رسول الله ﷺ.

وحينما دخل رجل أعرابي المسجد والرسول ﷺقائم على المنبر يخطب الجمعة وشكا الأعرابي القحط[1]، دعا النبي ﷺ وهو على المنبر محجوب الجسد عن السماء بسقف المسجد، أفكان يجهل أن جسده مجلبة للغيث؟!.

ثالثاً: على فرض أنه صحيح فإنه موقوف على عائشة رضي الله عنها فلا يحتج به عند المحققين؛ لأنه يصبح من الآراء الاجتهادية التي يخطئ أصحابها ويصيبون، والعقيدة توقيفيه لا مجال للاجتهاد فيها، إضافة إلى ذلك كله فإنه يعارضه ما روي عن عمر أنه أمر بتعمية قبر دانيال خشية الافتتان به، قال ابن اسحاق: "حدثنا أحمد قال: نا يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار قال: نا أبو العالية قال: لما فتحنا تستر، وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعباً، فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ فقال: سيرتكم وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال:حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفناه، وسوينا القبور كلها، لنعميه على الناس، لا ينبشونه، قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عليهم، برزوا بسريره فيمطرون، قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال، فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة، قلت: ما كان تغير بشيء؟ قال: لا، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء

---

(1) عن أنس بن مالك، قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ جاءه رجل، فقال: يا رسول الله قحط المطر، فادع الله أن يسقينا، فدعا فمطرنا، فما كدنا أن نصل إلى منازلنا فما زلنا نمطر إلى الجمعة المقبلة، قال: فقام ذلك الرجل أو غيره، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يصرفه عنا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حوالينا ولا علينا» قال: فلقد رأيت السحاب يتقطع يمينا وشمالا، يمطرون ولا يمطر أهل المدينة، أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجمعة، ب: الاستسقاء على المنبر، ج2، ص 29، رقم 1015.

لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع"[1]، قال ابن القيم: " إن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﷺ، أمر بقطع الشجرة التى كانت تحتها البيعة وأمر بإخفاء قبر دانيال، سداً لذريعة الشرك والفتنة، ونهى عن تعمد الصلاة فى الأمكنة التى كان رسول الله ﷺ ينزل بها فى سفره وقال: أتريدون أن تتخدوا آثار أنبيائكم مساجد؟ من أدركته الصلاة فيه فليصل، وإلا فلا"[2].

رابعاً: قال ابن تيمية: " ومما يبين كذب هذا أنه في مدة عائشة لم يكن للبيت كوة بل كان باقياً كما كان على عهد النبي ﷺ، فحجرة عائشة رضي الله عنها كان منها ما هو مكشوف لا سقف له، وكانت الشمس تنزل فيه، كما روي عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: (أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها، لم يظهر الفيء في حجرتها)[3]، فكيف يحتاج أن يفتح في سقفها كوة إلى السماء[4]؟!

(1) السير والمغازي، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: 151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى 1398هـ /1978م، عدد الأجزاء: 1، ص 66-67.

(2) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ح1، ص 368.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: أوقات الصلوات الخمس، ج 1، ص 426، رقم 611.

(4) تلخيص كتاب الاستغاثة، المعروف بالرد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية، التحقيق: أبو عبد الرحمن محمد بن على عجال، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، ج 1، ص 93.

المطلب الرابع

الشبهة الثانية عشر: حديث "إذا سألتم اللّه فاسألوه بجاهي"

اولاً: ذكر الحديث:

قال ابن تيمية: " وما يرويه بعض العامة من أنه قال: (إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)، فهو حديث كذب موضوع، لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة في الدين"[1].

ثانياً: الجواب:

أولاً: ينسبون إلى النبي ﷺ أنه قال: (إذا سألتم الله فسلوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)، وهذا ما أوضحه ابن تيمية.

ثانياً: قولنا عن هذا الحديث أنه مكذوب لا يعني أننا لا نؤمن بجاه رسول الله ﷺ؛ فنحن نؤمن ونعتقد ونجزم عن يقين بأن له ﷺ جاهاً يفوق جاه كل ذي جاه من المخلوقات في السماء أو في الأرض، فإذا لم يكن لرسول الله ﷺ جاه عند ربه إذاً فأي مخلوق له جاه من دون رسول الله ﷺ؟.

ثالثاً: وقال الألوسي : " وما يذكره بعض العامة من قوله ﷺ : إذا كانت لكم إلى الله تعالى حاجة فاسألوا الله تعالى بجاهي فإن جاهي عند الله تعالى عظيم، لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث"[2].

رابعاً: وقال الألباني : "هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة، إلى أن قال : فلا يلزم إذا من كون جاهه ﷺ عند ربه عظيماً أن نتوسل به إلى الله تعالى لعدم ثبوت الأمر به عنه ﷺ"[3].

خامساً: لم يأمرنا صلوات ربي وسلامه عليه أن نتوسل به إلى الله تعالى؛ لأن جاهه الذي هو له ﷺ هو نتيجة لعمله العظيم من دعوته إلى الله تعالى وصبر و جهاد في سبيلها، وأعمال صالحة، وعبادات تفوق العد والحصر من صلاة وصوم وحج وزكاة وفعل للخيرات، إلى ما هنالك من الأعمال العظيمة التي يعجز عنها أي إنسان، كل ذلك جعل له جاهاً عظيماً عند الله، أي: جعل منزلته تفوق منزلة أي مخلوق، فإذا فهم أن الجاه نتيجة العمل والسعي علم

---

(1) الفتاوى الكبرى، ج2، ص433.
(2) روح المعاني، ج3، ص 296.
(3) التوسل أنواعه وأحكامه، ص115-116.

أن سعيك هو لك أنت، وسعي أخيك هو له، وليس لك أو له أي نصيب من سعي الغير ومصداق هذا قوله تعالى:﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى** ﴾ [النجم:39]، وبمجرد أن أخاك له سعي حسن هل يحق لك أن تتقرب إلى الله بسعي أخيك من غير متابعة لعمله الصالح؟ طبعاً لا؛ لأن من يفعل ذلك كمن يدعو ويقول: اللهم أدخلني الجنة لأن أخي أو فلاناً من الصّالحين، فما علاقة دخولك الجنة بصلاح أخيك؟ اعمل كما عمل أخوك ثم توسل بما عملت من الصالحات أن يدخلك الله بها الجنة، وهكذا فجاه رسول الله ﷺ مسطر له في صفحاته عندالله، وليس لك نصيب منه، وليس لك أن تدعو متوسلاً به إلى الله لقضاء حوائجك، بل أطع النبي ﷺ واتبعه، وتوسل إلى الله بطاعته واتباعه؛ لأن ذلك من الأعمال الصالحة.

المطلب الخامس

الشبهة الثالثة عشر: الاستسقاء عند قبر النبي ﷺ.

أولاً: ذكر الحديث:

حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن مالك الدار، قال: وكان خازن عمر على الطعام، قال: (أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مستقيمون وقل له: عليك الكيس، عليك الكيس، فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه)[1].

ثانياً: الجواب:

1. قال ابن حجر: " وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة وظهر بهذا كله مناسبة الترجمة لأصل هذه القصة أيضا"[2].
2. إن هذه الرواية باطلة لا يحل الاستشهاد بها؛ وذلك لأن سيف بن عمر المتفرد بهذه الزيادة ضعيف باتفاق، بل قيل: إنه كان يضع الحديث، وقد اتهم بالزندقة [3].
3. ثم لو سلمنا جدلاً صحة هذه الزيادة فلا حجة فيها؛ لأنها فعل صحابي خالف الأدلة، وعارضه فعل الصحابة؛ أما مخالفته للأدلة من الكتاب والسنة فظاهر، وأما مخالفته لفعل الصحابة فقد ثبت عن عمر أنه قال: (اللهمّ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، اللهمّ إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون)[4].
4. قال الألباني: " عدم التسليم بصحة هذه القصة؛ لأن مالك الدار غير معروف العدالة والضبط، وهذان شرطان أساسيان في كل سند صحيح كما تقرر في علم المصطلح، وقد أورده ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل[5]، ولم يذكر راوياً عنه غير أبي صالح هذا، ففيه إشعار بأنه مجهول، ويؤيده أن ابن أبي حاتم نفسه – مع سعة حفظه واطلاعه – لم يحك فيه توثيقاً فبقي على الجهالة، ولا ينافي هذا قول الحافظ: " ... بإسناد صحيح من رواية أبي

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، ك: الفضائل، ب: ما ذكر في فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج 6، ص 356، رقم 32002.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 2، ص 496.

(3) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج 2، ص255، رقم 3637.

(4) تم تخريجه، ص 126.

(5) انظر: الجرح والتعديل، ج4، ص 278، رقم 1198.

صالح السمان ... " لأننا نقول: إنه ليس نصاً في تصحيح جميع السند بل إلى أبي صالح فقط، ولولا ذلك لما ابتدأ هو الإسنادَ من عند أبي صالح، ولقال رأساً: "عن مالك الدار ... وإسناده صحيح"، ولكنه تعمد ذلك، ليلفت النظر إلى أن ها هنا شيئاً ينبغي النظر فيه"[1].

5. هذه القصة منكرة المتن، لمخالفتها ما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء في مثل هذه الأحوال، ولمخالفتها ما اشتهر وتواتر عن الصحابة والتابعين، إذ ما جاء عنهم أنهم كانوا يرجعون إلى قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأموات عند نزول النوازل، واشتداد القحط يستدفعونها بهم وبدعائهم وشفاعتهم، بل كانوا يرجعون إلى الله واستغفاره وعبادته، وإلى التوبة النصوح، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً ﴾ [الجن:16]، وكذلك مخالف أخبرت عن أبي اليمان عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر الخبائري أن السماء قحطت مخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ قال: فناداه الناس فأقبل يتخطى فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه، فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود الجرشي، يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يزيد يديه ورفع الناس أيديهم فما كان أوشك أن ثارت سحابة في المغرب وهبت لها ريح فسقينا حتى كاد الناس لا يصلون إلى منازلهم)[2]، فهذا معاوية الصحابي رضى الله عنه فهم من الاستسقاء بالنبي ﷺ حال حياته أن النبي ﷺ يدعو لهم، وفهم من فعل عمر بالعباس، أن يدعو العباس لهم، وسار على هذا الفهم، فاستسقى واستشفع بيزيد يدعو لهم، وأي قرابة ليزيد من رسول الله ﷺ؟! ولا شك أن قرابته مع صلاحه سبب لقبول دعائه، أما مجرد القرابة من غير صلاح فلم تفد عمه أبا طالب ونحوه.

---

(1) التوسل أنواعه وأحكامه، ص 118.

(2) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ج7، ص 309، رقم 3824، والمعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (المتوفى: 277هـ)، المحقق: أكرم ضياء العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، 1401 هـ- 1981 م، عدد الأجزاء: 3، ج2، ص 381، حكم الألباني: صحيح.

الفصل الثالث
الشبهات العقلية

المبحث الأول: استدلالهم بالقياس.

المبحث الثاني: استدلالهم بالمعقول.

المبحث الأول
استدلالهم بالقياس

المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الشبهة الرابعة عشر: قياس الخالق على المخلوق:

المطلب الثالث: الشبهة الخامسة عشر: قياس التوسل بالذات على التوسل بالعمل الصالح.

المطلب الرابع: الشبهة السادسة عشر: قياس التوسل بذات النبي ﷺ على التبرك بآثاره.

المطلب الخامس: الشبهة السابعة عشر: قياس الحياة البرزخية أو الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية.

المطلب الأول
تعريف القياس لغة واصطلاحاً.

أولاً: تعريف القياس لغة:

مأخوذ من "قاسه بغيره وعليه، يقيسه قيساً وقياساً، واقتاسه: قَدَّره على مثاله فانقاس"[1]،

" التقدير والمساواة، يقال: قاس النعل بالنعل، أي: حاذاه وساواه، وتقول: قست الثوب بالذراع، أي: قدرته به، وقست الجراحة بالمسبار، وهو شيء يشبه الميل، يعرف به عمق الجرح"[2].

"عبارة عن رد الشيء إلى نظيره، وعند أهل الأصول إبانة مثل حكم المذكور بمثل علته في الآخر، أي: إظهار مثل حكم المذكور في النص بمثل علته في آخر لم ينص عليه، لا إثباته؛ لأن القياس غير مثبت للحكم بل مظهر له"[3].

تعريف القياس اصطلاحاً:

قيل فيه عدة تعاريف منها: حمل فرع على أصل فى حكم؛ بجامع بينهما[4].

ثانياً: أركان القياس:

1. **أصل:** ما ثبت حكمه بنفسه.
2. **فرع:** ما ثبت حكمه بغيره.
3. **علة:** فهي المعنى الجالب للحكم.
4. **حكم:** فما جلبته العلة، أو ما اقتضته العلة، من تحريم وتحليل وصحة وفساد، ووجوب وانتفاء وجوب، وما أشبه ذلك[5].

---

(1) القاموس المحيط، ج 1، ص 569، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 3، ص 967.

(2) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: 885هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد- السعودية/ الرياض،الطبعة: الأولى، 1421هـ- 2000م، عدد الأجزاء: 8، ج 7، ص 3115.

(3) أنوار البروق في أنواء الفروق، أبوالعباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، الناشر:عالم الكتب، الطبعة:بدون طبعة وبدون تاريخ،عدد الأجزاء: 4،ج 2، ص 129.

(4) المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: 803هـ)، المحقق: د. محمد مظهربقا، الناشر: جامعة الملك عبد العزيز- مكة المكرمة، عدد الأجزاء: 1، ص 124.

(5) انظر: العدة في أصول الفقه، ج1، ص 176، والتحبير شرح التحرير في أصول الفقه، ج 7، ص 3132.

والقياس أحد الأدلة التي تثبت بها الأحكام الشرعية؛ لأنه ميزان العقل، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ**﴾ [الشورى:17]، والميزان ما توزن به الأمور ويقايس به بينها.

لقد دل على اعتباره دليلاً شرعياً في القرآن والسنة وإجماع الصحابة:

1. **القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾ [الأنبياء: 104]، فشبه الله تعالى إعادة الخلق بابتدائه، وهذا هو القياس.
2. **السنة النبوية:** عن ابن عباس أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: (إن أمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟ قال: نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟، قالت: نعم، فقال: اقضوا الله الذي له، فإن الله أحق بالوفاء)[1]، ولقد بوب له البخاري – رحمه الله– من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين، قد بين الله حكمهما؛ ليفهم السائل.
3. **الإجماع:** إجماع الصحابة رضي الله عنهم على الحكم بالقياس في وقائع كثيرة تصل بمجموعها إلى حد التواتر[2].

شروط القياس:

1. أن لا يكون الأصل مخصوصاً بحكمة آخر.
2. أن لا يكون معدولاً به عن القياس.
3. أن يتعدى الحكم الشرعي بالنص بعينه إلى فرع هو نظيره ولا نص فيه.
4. أن يبقى الحكم في الأصل المعلول بعد التعليل على ما كان قبل التعليل[3].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين، قد بين الله حكمهما، ليفهم السائل، ج 9، ص 102، رقم 7315.

(2) انظر: الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة: الثانية، 1421هـ، عدد الأجزاء: 2، ج 1، ص501.

(3) انظر: أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، الناشر: دار المعرفة– بيروت، عدد الأجزاء: 2، ج 2، ص 149، وقواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)ن المحقق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1999م، عدد الأجزاء: 2، ج 2، ص 112.

قال الواقدي: " العلوم كلها إنما تستخرج بالعقل والقياس، وإنما يكون بكثرة الرياضة والعلم مطية التدبير، والتدبير موضع العلم، والعلم موضع العقل، هذا هو المتمم لأشكال العلوم"[1].

الخلاصة:

من خلال ما سبق تبين لنا أهمية القياس الذي أرشدنا إليه الله تعالى في كتابه العزيز؛ لذلك جعله علماؤنا الأفاضل المصدر الرابع من مصادر التشريع، وجعلوا له أركان وشروط حتى لايكون تابعاً للهوى؛ وهو القياس الفاسد الذي أول من قاس به إبليس اللعين، كان الحسن– رحمه الله – يقول: " قاس عدو الله وكان أول من قاس"[2]، يعني بذلك: القياس الخطأ[3]، قال محمد بن سيرين– رحمه الله –: " أول من قاس إبليس وإنما عبدت الشمس والقمر بالمقاييس"[4]، وأهل البدع وافقوا إبليس في مجال القياس وتركوا النص من التنزيل وتأولوا تأويلاً فاسداً فعدلوا عن نص الخبر إلى القياس الفاسد.

(1) فتوح الشام، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: 207هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417هـ– 1997م، عدد الأجزاء: 2، ص 295.

(2) الأوائل، أبو عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود السُّلَمي الجَزَري الحرَّاني (المتوفى: 318هـ)، المحقق: مشعل بن باني الجبرين المطيري، الناشر: دار ابن حزم– لبنان – بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ– 2003م، عدد الأجزاء: 1، ص 44.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، ج 12، ص 327.

(4) الأوائل، ص 44.

المطلب الثاني

الشبهة الرابعة عشر: قياس الخالق على المخلوق:

يقولون: إننا نتوسل بذوات الأنبياء والصالحين عند الله كما نتوسل بأصحاب الجاه والمنزلة عند الملك أو نحوه، أي نجعل الأنبياء أو الصالحين واسطة بيننا وبين الله كما نجعل صاحب الجاه والمنزلة عند الملك واسطة بيننا وبينه في قضاء حوائجنا؛ لأننا لا نقدر أن نصل إلى الله بغير ذلك[1].

الجواب:

أولاً: هذا قياس إبليس الفاسد في ذاته وفي أساسه؛ وذلك لأنه قاس ليدفع بقياسه ما أمر به نصاً، لأن الله ﷻ أمره بالسجود لآدم قال تعالى: ﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ﴾ [الأعراف: 12]، يريد أن قوة النار على الطين دليل على أن الأضعف حكمه أن يخضع الأقوى، وأن آدم أولى بالسجود فوضع إبليس القياس في غير موضعه؛ لأن ذلك القياس من إبليس إنما يستعمل مثله إذا لم يقع أمر ولا نص، فلما استعمل إبليس هذا مع وجود النص والأمر اللازم كان مخطئاً في قياسه فصار قياسه الفاسد كافراً ملعوناً وكان قبل من خيار الملائكة فنعوذ بالله من مكره وسوء ما سبق من الكتاب الأول[2].

ثانياً: إن قولكم هذا تشبيهاً للخالق بالمخلوق وهذا باطل قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: 11]، ولقد أنكرتم الاستدلال بالقياس لأجل هذا السبب بقولكم: " على بطلان القياس، وحرمة العمل به، من كلمات الله ﷻ، وكلمات رسوله ﷺ، وكلمات أهل البيت رضي الله عنهم"[3]، فكيف تقولون به، وتستدلون به على جواز التوسل وبدون الأخذ بشروط القياس التى وضعها علماؤنا الأفاضل؟!.

ثالثاً: قياسكم قياس مذموم؛ لأنه قياس على غير أصل، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة:111]، والمخلوق قد تعتريه علل تستلزم وجود الواسطة بينه وبين صاحب

---

(1) انظر: شفاء السقام، ص 366، التوسل وأنواعه وأحكامه، ص 130، الفتاوى الكبرى، ج 3، ص 47.

(2) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (المتوفى: 377هـ)، المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر، عدد الأجزاء: 1، ص 82.

(3) القياس في الشريعة الإسلامية، صادق الحسيني الشيرازي، ص 8.

الحاجة، من ظلم أو كبر جهل أو منفعة يتطلع إليها أو غيرها من العلل التي تكون حائلة دون قضاء مصالح الناس، أما الخالق فيتنزه عن هذه العلل وغيرها فهو الغني القريب المجيب السميع العليم الرؤوف الرحيم[1].

رابعاً: عندما قستم الله بخلقه وصفتموه بأصحاب الصفات الدنيئة الذين لا يعطون الناس حقوقهم إلا بواسطة، إنكم لو شبهتموه سبحانه وتعالى بأصحاب الصفات الفاضلة لكفرتم فكيف وقد شبهتموه بأصحاب الصفات الدنيئة، قال الألباني: " ترى لو كان يمكن لأحد الناس أن يخاطب الحاكم وجهاً لوجه، ويكلمه دون واسطة أو حجاب أيكون ذلك أكمل وأمدح له، أم حين لا يتمكن من مخاطبته إلا من خلال وسائط قد تطول وقد تقصر؟!"[2]، ونحن نمدح الحاكم إذا كان متواضعاً ويسمح لرعيته بالدّخول عليه من دون وسائط، ثمّ نسيء الظنّ بربّنا الكريم، وننظر إليه على أنّه إذا أساء الواحد منّا في حقّه فلا بدّ له من شفيع يشفع له إليه، هذا لا يليق بالله ﷻ.

خامساً: بزعمهم ذلك يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه، فلا بد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل، قال تعالى: **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾** [سبأ: 22].

سادساً: أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج، فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه، أو من يدل عليه، بحيث يكون يرجوه ويخافه؛ تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته، إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير، وإما لما يحصل له من الرغبة والرهبة من كلام المدل عليه، والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه ما لم يكن يعلم، أو من يرجوه الرب ويخافه، ولهذا قال النبي ﷺ: (إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له)[3].

---

(1) انظر: التوسل وأنواعه وأحكامه، ص 131.

(2) انظر: المصدر نفسه، ص 131-133.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الدعوات، ب: ليعزم المسألة، فإنه لامكره له، ج 8، ص 74، رقم 6338، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الذكر والدعاء والتوبة، ب: العزم بالدعاء ولايقل إن شئت، ج 4، ص 2063، رقم 2679، ولكن بلفظ آخر.

ثامناً: لو أنّ الملك الذي ضرب به المثل، قال لرعيته: إذا أساء إليّ أحدكم، فليأتني مباشرة ويعتذر إليّ، وأنا سأقبل عذره مهما كان خطؤه، وسأسامحه، وسيكون عندي أفضل ممّا كان عليه قبل أن يخطئ في حقّي، فإذا قال هذا، فهل يجرؤ أحد من رعيته أن يذهب إلى غيره ليتوسّط له إليه؟.

قال ابن القيم: " وهذا من القياس الفاسد، المتضمن قياس الخالق على المخلوق، وبمثله عبدت الشمس والقمر والأوثان، إذ قال المشركون: جناب العظيم لا يهجم عليه بغير وسائل ووسائط، وسرت هاتان الرقيقتان فيمن فسد من أهل التعبد وأهل النظر والبحث، والمعصوم من عصمه الله"[1].

و يؤيده ابن تيمية بقوله:" وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه . كالحُجَّاب الذين بين الملك ورعيته . بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدى عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس، لقربهم منهم، والناس يسألونهم، أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه، فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أندادا"[2].

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ- 1996م، عدد الأجزاء: 2، ج 2، ص 241.

(2) الواسطة بين الحق والخلق، ص 25.

المطلب الثالث

الشبهة الخامسة عشر: قياس التوسل بالذات على التوسل بالعمل الصالح.

يقولون: إن من التوسل المشروع اتفاقاً التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح، فإذا كان التوسل بهذا جائزاً فالتوسل بالرجل الصالح الذي صدر منه هذا العمل أولى بالجواز، وأحرى بالمشروعية، فلا ينبغي إنكاره(1).

الجواب:

أولاً: كما قال الألباني من وجهين:

"الوجه الأول: إن هذا قياس، والقياس في العبادات باطل كما تقدم صفحة 144، وما مثل من يقول هذا القول إلا كمثل من يقول: إذا جاز توسل المتوسل بعمله الصالح – وهو بلا شك دون عمل الولي والنبي – جاز أن يتوسل بعمل النبي والولي، وهذا وما لزم منه باطل فهو باطل.

الوجه الثاني: إن هذه مغالطة مكشوفة، لأننا لم نقل – كما لم يقل أحد من السلف قبلنا – إنه يجوز للمسلم أن يتوسل بعمل غيره الصالح، وإنما التوسل المشار إليه إنما هو التوسل بعمل المتوسل الصالح نفسه، فإذا تبين هذا قلبنا عليهم كلامهم السابق فقلنا: إذا كان لا يجوز التوسل بالعمل الصالح الذي صدر من غير الداعي فأولى ثم أولى ألا يجوز التوسل بذاته، وهذا بين لا يخفى والحمد لله"(2).

ثانياً: إن هذا التوسل توسل بعمل الغير، ذلك أن المنزلة والجاه إنما اكتسبها الإنسان بعمله، وعمل الغير مختص به، فلو توسل به غيره كان قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سبباً لنفعه، قال تعالى:﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْـجَزَاءَ الْأَوْفَى**﴾ [النجم: 39-40-41].

ثالثاً: إن التوسل بعمل الغير اعتداء في الدعاء، والاعتداء في الدعاء محرم(3)، قال تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَـرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْـمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف:55]، قال ابن تيمية: والدعاء لله

---

(1) انظر: الفضائل المحمديه، يوسف بن إسماعيل النبهاني، (المتوفى: 1932م)، التحقيق: محمود فاخوري، الناشر: دار القلم العربي – حلب، الطبعة: الأولى، 1414هـ- 1994م، ص 229.

(2) التوسل وأنواعه وأحكامه، 136-137

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ج15، ص 22.

وحده سواء كان دعاء العبادة، أو دعاء المسألة والاستعانة، كما قال تعالى:﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جداً، بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره، كما قال النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)[1]، وهو قلب الدين والإيمان، وسائر الأعمال كالجوارح له، وقول النبي ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[2]، فبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل، وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول ﷺ فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله[3]، إذاً فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته؛ لأجل ذلك كان من أهم أنواع العبادة ولبها هو الدعاء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:117]، وفي حديث أنس عن النبي ﷺ: (الدعاء مخ العبادة)[4]، ومعلوم أن السؤال هو حقيقة العبادة؛ لأن فيه إظهار الذل والمسكنة والحاجة والافتقار، والاعتراف بقدرة المسئول على دفع هذا الضرر ونيل المطلوب، وجلب المنافع ودفع المضار، وكل هذا لا يصلح إلا لله وحده[5]، ولولا اعتقاد المشرك فيمن يدعوه من دون الله، من قدرته على دفع الضرر وإيصال المطلوب إليه لما دعاه، واتخذه إلهاً من دون الله؛ لهذا كان كفار قريش وغيرهم إذا تعاظم عليهم الخطب، وتفاقم الكرب استحقروا الآلهة ورغبوا عنها، فيطلبون رفع ذلك من الله ولا يطلبونه منها، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم فقال:

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، في الإيمان، باب: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، ج1، ص14، رقم25، أخرجه مسلم في صحيحه، في الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ج1، ص 51، رقم20.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، في الطلاق، باب: فيما عنى به الطلاق والنبات، ج2،ص 262، رقم2201، حكم الألباني صحيح، وأخرجه البخاري في صحيحه، فباب بدئ الوحي، ج 1، ص6، رقم 1، ولكن بلفظ آخر.

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ج1، ص69–70.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الدعوات، باب منه، ج5، ص456، رقم 3371، وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة"، حكم الألباني: ضعيف.

(5) انظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ابن الحسن،السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط– إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ– 2001م، عدد الأجزاء: 2 (في مجلد واحد)، ج1، ص 481.

﴿قل أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 40-41]،

ومع هذا الإخلاص لله تعالى منهم في الشدة، أرسل الله إليهم محمداً نبيه وعبده مبيناً لهم أن هذا الاعتقاد هو الكفر بالله والشرك والإلحاد، الذي لا يرضاه الله لأحد ولا من أحد من العباد، ودعاهم إلى توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة، فأمر نبيه بالقتال، وأباح له الدماء والأموال، ولم يعصمهم الإقرار بالربوبية لله ولا الإخلاص له في اشتداد الحال، فكيف بمن يتقربون لغير الله في الشدة والرخاء؟![1].

(1) انظر: العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، حسين بن غنّام (أو ابن أبي بكر بن غنام) النجدي الأحسائي المالكي (المتوفى: 1225هـ)، الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة: الأولى 1423هـ/2003م،المحقق: محمد بن عبد الله الهبدان، عدد الأجزاء: 1، ص101-102.

المطلب الرابع

الشبهة السادسة عشر: قياس التوسل بذات النبي ﷺ على التبرك بآثاره.

الجواب عليها:

لقد تحدثنا عن التبرك بالتفصيل في التمهيد، وتبين لنا أن التبرك بآثار النبي ﷺ في حياته جائز عند الصحابة رضي الله عنهم، وأتباعهم بإحسان لما في ذلك من الخير والبركة، وهذا أقرهم النبي ﷺ عليه، أما التبرك به ﷺ أو بغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، أوالصالحين بعد مماتهم فهوغير جائز؛ وذلك للأسباب التالية التي ذكرها ابن باز – رحمه الله –:

1. لقد صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لما قبل الحجر الأسود: (أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله، فقال: إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك)[1]، وبذلك يعلم أن استلام بقية أركان الكعبة، وبقية الجدران والأعمدة غير مشروع؛ لأن النبي ﷺ لم يفعله ولم يرشد إليه، ولأن ذلك من وسائل الشرك، وهكذا الجدران والأعمدة والشبابيك وجدران الحجرة النبوية من باب أولى؛ لأن النبي ﷺ لم يشرع ذلك ولم يرشد إليه ولم يفعله أصحابه رضي الله عنهم.
2. أما ما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما من تتبع آثار النبي ﷺ، واستلامه المنبر فهذا اجتهاد منه رضي الله عنه، لم يوافقه عليه أبوه ولا غيره من أصحاب النبي ﷺ، وهم أعلم منه بهذا الأمر، وعلمهم موافق لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وقد قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ في الحديبية لما بلغه أن بعض الناس يذهبون إليها ويصلون عندها خوفاً من الفتنة بها وسداً للذريعة[2].

قال ابن تيمية: " فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلى فيها اتفاقاً، فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة، بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجاً وعماراً ومسافرين، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي ﷺ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحباً لكانوا إليه أسبق، فإنهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم"[3].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الحج، ب: ما ذكر في الحجر الأسود، ج2، ص 149، رقم 1597، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك:الحج، ب:استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف،ج2،ص925، رقم 1270.

(2) مجموع فتاوى العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبدالله بن باز (المتوفى: 1420هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، عدد الأجزاء: 30، ج9، ص 108–109، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، أبو محمد عبدالعزيز بن محمد بن عبدالرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: 1422هـ)، الطبعة: الثانية عشر، 1418 هـ– 1997 م، عدد الأجزاء: 1، ص 144.

(3) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ج 2، ص 278.

المطلب الخامس

الشبهة السابعة عشر: قياس الحياة البرزخية أو الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية.

دعواهم بأنه لا فرق بين الحي والميت؛ لأن الميت له حياة في قبره، وله إدراك وشعور، فإذا كان لا فرق بينهما، فيجوز التوسل، والاستغاثة بالأموات، والأحياء دون تفريق.

الجواب:

1. إن هذا تخليط فإن الله لم يجعل للعباد قدرة على ما يختص به من الإغاثة المطلقة، وأما الإغاثة بالأسباب العادية وما هو في طوق البشروقدرتهم فهذا ليس الكلام فيه، والأموات لا قدرة لهم على الأسباب العادية، وما هو في طوق البشر وقدرتهم، والمسلمون متفقون على قول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، خلق الله تعالى في الحي اختياراً ومشيئة بها يثاب وبها يعاقب وبها يكلف، والميت ليس له قدرة الحي ولا يكلف بل ينقطع عمله بموته وتُطوى صحيفته ولا يسأل ولا يستفتى ولا يرجع إليه شيء مما للعباد عليه قدرة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر:22]، واستغاثة الميت ليست سبباً كاستغاثة المخلوق فيما لا يقدر عليه[1].
2. ذو الفطرة السليمة وإن كان جاهلاً يفرق بين الطلب من الحي الحاضر مما في يده وبين الطلب من الميت والغائب، ولا يسوي بين الحي والميت إلا من اجتالته الشياطين عن الفطرة التي فطره الله عليها، أو إنسان أعماه الهوى والتقليد، فمن سوى بين الحي والميت، ويطلب من الميت ما يطلب من الحي فقد سوى بين ما فرق الله والناس بينهما، حتى المجانين يفرقون بين الحي والميت، فلو قصد مجنون بيت إنسان ليطعمه فوجده ميتاً وأهله عنده لعدل إلى الطلب من أهله الأحياء الحاضرين عنده ولم يلتفت إلى الميت[2].

---

(1) انظر: كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النجدي (المتوفى : 1349هـ)، الناشر : أضواء السلف، الطبعة : الأولى، عدد الأجزاء : 1، ص303.

(2) انظر: تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز ابن عبدالرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس الملقب بـ"أبابطين" (المتوفى: 1282هـ)، المحقق: عبد السلام ابن برجس العبد الكريم، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الأولى 1422هـ -2001م، عدد الأجزاء: 1، ص82.

3. نتج من هذا القياس الفاسد والرأي الكاسد تلك الضلالة الكبرى، والمصيبة العظمى التي وقع فيها كثير من عامة المسلمين وبعض خاصتهم، ألا وهي الاستغاثة بالأنبياء عليهم السلام والصالحين من دون الله تعالى في الشدائد والمصائب حتى إنك لتسمع جماعات متعددة عند بعض القبور يستغيثون بأصحابها في أمور مختلفة، وهذا هو الشرك؛ فوقعوا بسببه في هذه الضلالة الكبرى[1].

(1) انظر: التوسل وأنواعه وأحكامه، ص123-124.

المبحث الثاني
استدلالهم بالمعقول

المطلب الأول: تعريف العقل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني:الشبه الثامنة عشر: التوسل بالوسائط الإلهية تحكيم لسلطان الله على سلطان العبد.

المطلب الثالث: الشبهة التاسعة عشر: الاختلاف في المراتب الوجودية.

المطلب الأول
تعريف العقل لغة واصطلاحاً.

تعريف العقل لغة:

العقل: عقل يعقل عقلاً ومعقولاً، وهو مصدر، بمعنى: الحجر والنهى ضد الحمق، والجمع عقول، والمعقول: ما تعقله بقلبك، والمعقول: العقل، يقال: ما له معقول أي: عقل، والعقل: التثبت في الأمور[1].

"عقل عقلاً أدرك الأشياء على حقيقتها، والغلام أدرك وميز "[2].

" العقل: نقيض الجهل"[3].

تعريف العقل اصطلاحاً:

"فهو غريزة لا يعرف إلا بفعاله في القلب والجوارح، لا يقدر أحد أن يصفه في نفسه ولا في غيره بغير أفعاله، لا يقدر أن يصفه بجسمية ولا بطول ولا بعرض ولا طعم ولا شم ولا مجسة ولا لون ولا يعرف إلا بأفعاله"[4].

"هو نور وضعه الله طبعاً وغريزة يبصر به ويعبر به، نور في القلب كالنور في العين وهو البصر، فالعقل نور في القلب والبصر نور في العين"[5]

" أنه ملكة يتأتى بها درك المعلومات"[6].

محل العقل:

قال تقي الدين السبكي: "اختلف أئمتنا في محله: فالمعروف عن الشافعية أن محله القلب، وهو الصحيح الذي دلت عليه صرائح الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾

---

(1) انظر: لسان العرب ج11، ص 458.
(2) المعجم الوسيط، ج2، ص 616.
(3) العين، ج 1، ص 159.
(4) ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: 243هـ)، المحقق: حسين القوتلي، الناشر: دار الكندي ، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الثانية، 1398، عدد الأجزاء: 1، ص 204.
(5) المصدر نفسه.
(6) الأشباه والنظائر، ج 2، ص 17.

[الحج: 46]، وقال تعالى:﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[الأعراف:179]، وقال ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة،...)[1]، ... وهو المعروف عن أبي حنيفة رضي الله عنه أن محله الدماغ"[2].

ثمرة العقل طاعة الله فيما أمرنا به ونهانا، فعقل لايثمر طاعة الحق كعين لا تبصر وأذن لا تسمع.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الإيمان، ب: فضل من استبرأ لدينه، ج 1، ص20، رقم 52، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: المساقاه، ب: أخذ الحلال وترك الشبهات، ج 3، ص 1219، رقم 1599.

(2) الأشباه والنظائر،ج، ص 17-18، وتفسير السمعاني، ج5، ص 247، المقدمات الممهدات، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 520هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1408 هـ- 1988 م، عدد الأجزاء: 3، ج3،ص334، وذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي، عدد الأجزاء: 1، ص 5-6.

المطلب الثاني

الشبهة الثامنة عشر: التوسل بالوسائط الإلهية تحكيم لسلطان الله على سلطان العبد ويقولون فيها:

"إن نصب الوسائط والأبواب من قبل المخلوقين والعبيد باقتراحهم واختراعهم يعد تصرفاً في سلطان الله ﷻ، ونوع من تحكيم إرادة العبد وهواه على إرادة ربه، ويكون هذا الفعل من العبد شركاً وندِّية ووثنية جاهلية، فالعبد هو الذي ينادد ربه في جعله الوسائط واختراعها، سواء من ناحية العمل كاتخاذ الأحجار والأصنام وجعلها واسطة بين العبيد وبين ربهم، ....أما التوسل والتوجه بالوسائط التي جعلها الله ﷻ وترك التوجه إليها هو الشرك الناقض للإيمان أيضاً؛ لأنه استكبار على إرادة الله وسلطانه"(1).

الجواب:

1. قال ابن المقفع(2): " لا ينبغي للمرء أن يعتدَّ بعلمه ورأيه ما لم يذاكره ذوو الألباب، ولم يجامعوه عليه؛ فإنه لا يستكمل علم الأشياء بالعقل الفرد"(3)، فنحن نسألهم هل يوجد آيات في الكتاب العزيز أو الأحاديث النبوية، ترشدنا إلى ما تقولون به بعقولكم وفهمكم هذا البعيد كل البعد عما أنزله الله تعالى وجاءت به جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بل هذا القول بخلاف ما جاءت به جميع الرسالات السماوية، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53]، فقد جاءت الرسالات السماوية، لتكشف للناس، عما يصلح حالهم، في دنياهم وفي آخرتهم، فيما أُوحي به إلى الرسل، من آيات يتلوها على الناس، ويعلمها لهم، فإن تصور البعض، أن ما فهموه من هذه الكلمات ومن هذه النصوص، هو الفهم الوحيد، الذي يجب أن يتابعه كل الناس، فقد أدى هذا الفهم في تاريخنا إلى صراعاتٍ وإلى حروب، بين الذين ينتمون اسماً إلى دين واحد؛ لذلك لابد لنا أن نعلم أن الكتب السماوية أنزلت لغاية واحدة وهدف واحد، أنزلت لتكون منهج حياة لكل البشر، تقودهم بما فيها من تعاليم وتوجيهات

---

(1) انظر: الإمامة الإلهية، ص92-30.

(2) هو: عبد الله بن المقفع: من أئمة الكتاب، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ولد في العراق مجوسيا (مزدكيا) وأسلم على يد عيسى ابن علي (عم السفاح) وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، (106-142) هـ، انظر: الأعلام للزركلي، ج 4، ص 140.

(3) الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع (المتوفى: 142هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، عدد الأجزاء: 1، ص 36.

وهداية، وقد بين القرآن الكريم في موضع واحد الهدف الذي أنزل الله من أجله التوراة والإنجيل والقرآن، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ* وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ* وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ**﴾ [المائدة: 45-49]، يقول سيد قطب – رحمه الله – : " إن الله هو صاحب السلطان المتصرف في الكون والناس، بما أنه هو الخالق المالك الرازق، وبما أنه هو صاحب القدرة التي لا يكون بدونها خلق ولا رزق ولا نفع ولا ضر، وهو سبحانه المتفرد بالسلطان في هذا الوجود، والإيمان هو الإقرار لله سبحانه بهذه الخصائص الألوهية، والملك، والسلطان، متفرداً بها لا يشاركه فيها أحد، والإسلام هو الاستسلام والطاعة لمقتضيات هذه الخصائص،هو إفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية والقوامة على الوجود كله وحياة الناس ضمناً، والاعتراف بسلطانه الممثل في قدَره والممثل كذلك في شريعته، فمعنى الاستسلام لشريعة الله هو– قبل كل شيء– الاعتراف بألوهيته وربوبيته وقوامته وسلطانه، ومعنى عدم الاستسلام لهذه الشريعة، واتخاذ شريعة غيرها في أية جزئية من جزئيات الحياة، هو– قبل كل شيء– رفض الاعتراف بألوهية الله وربوبيته وقوامته

وسلطانه، ويستوي أن يكون الاستسلام أو الرفض باللسان أو بالفعل دون القول وهي من ثم قضية كفر أو إيمان وجاهلية أو إسلام"[1].

2. إن طاعة الله تعالى هي في ألا يتخذ الإنسان رباً من دون الله، فلا يتخذ مفهوم إنسانٍ . أياً كان . أنه المفهوم الذي يريده الله ﷻ، فالله تعالى أعلى عن أي مفهوم إنساني، وعن أي كلام بشري، وعن أي منطق مادي، وبما أن الله أكبر، وأكبر، وأكبر، فمرجعية الإنسان هي كلمات الله ﷻ، وهي المصدر الذي يلهمه، والذي يضيء له طريقه؛ لذلك علينا أن نتدبر هذه الآية قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: 64]، من منطلق هذه الآية يجب على كل واحد منا أن يراجع نفسه، إذا وجد هناك تعارضاً بين مفهومه، وبين النص القرآني،هل مفهومه على صواب ؟ أم أنه عليه أن يبحث عن مفهوم آخر، هو الحق في هذه المسألة؟

3. نظراً لما سبق نقول: إن الحق في هذه المسألة هو ما جاء به نبينا محمد ﷺ، واتبعه من بعده الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، والحق ما بينه الله لنا في كتابه العزيز، وعلمه لنا رسول الله ﷺ، قال تعالى:﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الحشر:7]، واتبعه من بعده الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، قال رسول الله ﷺ: (النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)[2]، وغير ذلك فهو باطل ويكون من البدع والشبهات، وهذا ما أخبرنا به رسول الله ﷺ، حيث قال ذات يوم في خطبته: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته[3] عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، الناشر: دار الشروق- بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر- 1412 هـ، ج2، ص 889.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة، ج 4، ص 1961 ،رقم 2531.

(3) نحلته: أعطيته وفي الكلام حذف أي: قال الله تعالى كل مال أعطيته عبدا من عبادي فهو له حلال، انظر: شرح النووي على مسلم، ج17، ص197.

الشياطين فاجتالتهم[1] عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)[2]،وهذا يدل على إغواء الشياطين لبني آدم لصرفهم عن شريعة الحق؛ لذلك أرسل الله تعالى إلى جميع الأمم رسلاً يرشدونهم الخير والهدى، ويحذرونهم من الشر والضلال، ولا شك أن في مقدمة تعليمهم وإرشادهم تعريفهم بخالقهم ورازقهم، ولم يتركوا الناس يتعرفون إلى خالقهم عن طريق البحث والاجتهاد، وقد كان هؤلاء الرسل من الكثرة بحيث أنهم بلغوا البشرية كلها دعوة الله، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:24]، واستمر موكب الأنبياء في كل أمة يبينون للناس الحق والهدى كلما انتكسوا أو انحرفوا؛ حتى جاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ الذي دعا إلى التوحيد، وسلك نهج سلفه من الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، وأكمل الله به الدين وأتم به النعمة كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة:3].

(1) فاجتالتهم بالخاء المعجمة أي: استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل، المصدر السابق.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا، ج4، ص2197، رقم2865.

المطلب الثالث

الشبهة التاسعة عشر: الاختلاف في المراتب الوجودية

يقولون فيها:

"هناك ضرورة عقلية أكّدها الفلاسفة، وهي إن الله تعالى وإن كان هو الخالق لكل شيء ولا خالق سواه، ولكن إيجاد المخلوقات من الله تعالى ليس على رتبة واحدة، بل هي ذات مراتب متفاوتة – كما يقول المناطقة–، وهذه الضرورة ليست نابعة من عجز في قدرة الله تعالى؛ إذ هو على كل شيء قدير، وإنما النقص والعجز في طرف المخلوق المتلقي للفيض والعطاء؛ وذلك لأن شيئية الأشياء لا تتقرر ولا يمكن أن تفرض متحققة إلا بعد إمكانها وصلاحيتها واستعدادها، فمع عدم إمكانها لا يمكن فرض الشيئية لها، والأشياء النازلة في الرتبة الوجودية كالموجودات المادية أو البرزخية مثلاً لابد لها من سلسلة إعدادات ومخلوقات سابقة تكون مجاري فيض الله تعالى وعطائه، ويكون للمخلوقات السابقة في الرتبة الوجودية دور في تقرر صلاحية ومكان المخلوق اللاحق، وليس ذلك إلا لعجز المخلوق الهابط في الرتبة عن التلقي المباشر من منبع العطاء، فلابد من واسطة في الفيض ذاتاً وصفة، ولذا نرى أن الإنسان ببدنه المادي مثلاً لا يتقرر له إمكان إلا بعد خلق المعدات وتسخير الأرض والسماء والماء والهواء وكافة المخلوقات الحية وغيرها، ففي الخلقة الدنيوية المادية توجد مؤثرات كثيرة أعدها الله تعالى وسخرها لكي يعيش الإنسان حياة ممكنة في هذا الكون.......... إذن أساس فكرة الوساطة والسببية والوسيلة سنة تكوينية سنها الله ﷻ في خلقة الممكنات، وهذا بيان عقلي واضح دال على ضرورة التوجه والتوسل بالمقربين وبالمخلوقات الكريمة على الله تعالى على المستوى الشرعي، وذلك لأن الشريعة تتناسب وتتلائم مع نظام الخلقة والفطرة التكوينية."[1].

الجواب:

1. نقول: هداكم الله وأصلح أحوالكم إلى أين ذهبت عقولكم، تركتم كتاب الله تعالى واتجهتم إلى كلام الفلاسفة لتأخذوا منهم دينكم، ولوأننا افترضناه افتراضاً لما عرفنا له تعليلاً معقولاً ولا شبه معقول ، اللهم إلا شيئاً واحداً قد يحيك في صدر الجاهل، وهو أن يكون هذا القول هو أساس فكرة الواسطة التي بيننا وبين الله ﷻ، وهي إرسال الرسل عليهم السلام، فنقول ما قاله المحاسبي – رحمه الله – : " ولقد استخص الله آدم وذريته فأخذ منهم الميثاق بما فطرهم عليه من العقول الرضية، والألباب، والفهم؛ ليدبروا بها شواهد التدبير وأحكام التقدير ولن يستطيع الإنسان أن يقدر نعمة الله في هبته العقل له حق قدرها إلا إذا عرف أن العقول معادن

(1) الإمامة الإلهية، ص 32-34.

الحكمة، ومقتبس الآراء ومستنبط الفهم ومعقل العلم ونور الأبصار إليها يأوي كل محصول؛ ولأنه تفرد بعلم الغيب سبحانه فإنه لا يعرف صفاته ومراضيه ومساخطه إلا هو؛ لذا فقد أرسل الرسل فكلمهم تكليماً لا بأداة أو آلة، بل بذاته فخاطبوا العقل البشري بأمر الله ﴿ **لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾ [النساء:165]، ففضل العقل في أنه الأداة التي تتلقى عن الرسل شرع الله وهذه هي وظيفة العقل أن يعقل الشرع لا أن يشرع ويبتدع من عنده، فلم يكن ممكناً أن نعبد الله حق العبادة بغير رسالة وباسم العقل لأن العقل متلق وليس صانعاً"[1].

2. لقد علمنا رسولنا الكريم ﷺ كيفية الدعاء الصحيح ولم يترك المجال لعقولنا؛ لأن الدعاء عبادة والعبادة توقيفية؛ لأجل ذلك عندما سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى، ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (عجل هذا، ثم دعاه فقال له: – أو لغيره – إذا صلى أحدكم، فليبدأ بتمجيد ربه جل وعز، والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد بما شاء)[2]، فأرشدنا إلى أن نحمد الله أولاً، ثم نصلي على النبي ﷺ، ثم ندعو، هذا هو الأفضل، وهذا هو الأقرب إلى الإجابة، لكنه ليس شرطاً، فنقول لماذا لم يعلمه الرسول ﷺ أن يتوسل به أوبغيره؟!، فهذا الدليل كافي لإبطال التوسل بجاه الأنبياء عليهم السلام أو بغيرهم من الصالحين، قال ابن القيم: "ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب، علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكرعبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته"[3].

3. لقد تعقبت جميع الأحاديث الصحيحة التي بها توصية من الرسول ﷺ لأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، ولم أجد بها حديثاً يقول به أوصيك بالتوسل بي لأنه هو النجاه والسبيل لإجابة الدعوة، أو هي القربى والوسيلة التي أمرنا الله بها ﷻ، ومن هذه الأحاديث التي وصى بها الحبيب محمد ﷺ صحابته حديث معاذ بن جبل، أن رسول ﷺ أخذ بيده، وقال: (يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول:

(1) فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: 243هـ)، المحقق: حسين القوتلي، الناشر: دار الكندي ، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الثانية، 1398، عدد الأجزاء: 1، ص 246.

(2) أخرجه أبي داود في سننه، ك: الصلاة، ب: الدعاء، ج 2، ص 77، رقم 1481، وأخرجه الترمذي في سننه، ك: الدعوات، ج 2، ص 517، رقم 3477، حكم الألباني: صحيح.

(3) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1، ص48.

اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك)[1]، فهل من المعقول أن يحلف رسول الله ﷺ بأنه يحبه ولا يخبره بأفضل وسيلة أو قربة تقربنا إلى الله تعالى !!!!!!!.

4. والعبرة في العقل والشرع إعطاء العقل حقه من التدبر، والتفكر، والاستدلال، والنظر والوقار، والتمسك بالشرع، تراك ما تعلم أن في طيّ كلمة لعناهم، في قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 13]، وفي قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[البقرة: 65]؛ لعنهم الله بسبب اعتدائهم في سبتهم ونقضهم عهد الله تعالى فجعل قلوبهم قاسية؛ وهذا ثمرة كل عدوان في أوامر وشرائع الله تعالى، فمن هنا نعلم أن من أجل ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى هو الخوف والتعظيم لأوامره والانقياد لطاعته؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّالِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56].

5. إن ماتقوله خلاف العقل والشرع فأين أنت من عزم الذبح وبذل الذبيح، وهذا عين ما فعله النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما أمره الله تعالى بذبح ابنه، وقد بلغ حبه في قلبه ما بلغ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[الصافات:102]، فأراد الله ﷻ أن يكون حبه في قلب إبراهيم عليه السلام ملك له فقط لا يشاركه أحد، ويؤيد ذلك ما قاله ابن القيم: " ولما سأل إبراهيم عليه السلام الولد فأعطيه، وتعلق حبه بقلبه، فأخذ منه شعبة، غار الحبيب على خليله أن يكون في قلبه موضع لغيره، فأمره بذبحه، وكان الأمر في المنام ليكون تنفيذ المأمور به أعظم ابتلاء وامتحاناً، ولم يكن المقصود ذبح الولد، ولكن المقصود ذبحه من قلبه؛ ليخلص القلب للرب، فلما بادر الخليل عليه الصلاة والسلام إلى الامتثال، وقدم محبة الله على محبة ولده، حصل المقصود فرفع الذبح، وفدي بذبح عظيم"[2]، فنقول لقد كان هذا الأمر العظيم لمجرد أن إبراهيم عليه السلام كان يحب ابنه، فكيف لو أنه كان يتوجه لغير الله تعالى أو

(1) أخرجه أبي داود في سننه، ك: الصلاة، ب: في الاستغفار، ج 2، ص 86، رقم 1522، وأخرجه النسائي في سننه، ك: السهو، ب: نوع آخر من الدعاء، ج 3، ص 53، رقم 1303، حكم الألباني : صحيح.

(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م، عدد الأجزاء: 1، ص 190-191.

يتوسل أو يستغيث؟!، فما لكم كيف تحكمون؟ قال ابن تيمية: " كان المطلوب من إبراهيم تقديم حب الله على حبه لابنه حتى تتم خلته به قبل ذبح هذا المحبوب لله، فلما أقدم عليه وقوي عزمه بإرادته؛ لذلك تحقق بأن الله أحب إليه من الولد وغيره ولم يبق في قلبه محبوب يزاحم محبة الله"(1)، فهذا هو الحق المبين الذي ما بعده إلا الضلال، إن ينبوع الثقة ومصدرها إنما هو من قبيل أنه سبحانه لا يؤيد غير الصادق، الذي لا يلبس الحق بالباطل، ويتبع أوامر الله تعالى وأوامر نبيه محمد ﷺ، فهذا هو الحب الخالص الصادق لله ﷻ ولنبيه عليه الصلاة والسلام.

6. العاقل من جعل إيمانه في صفاء يصلح للقاء الله تعالى، وإخلاصاً يصلح لرؤيته؛ لأنه القائل سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ [النجم:40]، وقال: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105]، فلم يقل سبحانه وتعالى توسلوا بأعمال غيركم أوبجاههم عندي، بل قال: إن الذي يرى هو سعينا وليس سعي غيرنا، وعملنا وليس عمل غيرنا.

7. قال ابن عقيل: " لقد دخلت البدع على الأديان من طريق سلكه عوام الأديان فهلكوا؛ لذلك فالواجب على من علمه أن يعدل عن سلوكه؛ ليسلم مما وقع فيه من اغتر به فسلكه، وذلك الطريق هو تعظيم الرجال وترك الأدلة، وهو التقليد، فأول من سلكه الشيطان؛ حيث نظر إلى نفسه بنوع من أنواع التعظيم لها، وترك النظر إلى الدلالة القاطعة"(2).

8. وأقول لكم: إن إبليس أوسع منكم في النظروالفكر؛ لأنه عندما أمره الله تعالى بالسجود لآدم قد سبق في علمه بنظره واستدلاله على أن هذا القائل هو الإله المعبود الحكيم المبدئ لخلقه، وهو الأعلم بمقادير العباد التي ابتدع خلقه منها، وبمراتب ما خلق منه، لما رسخ بالمجادلة في فرع وما ثبت عنده أصله، فلو لم يثبت عنده الأصل لا مادة الخلق لقال أولاً: ومتى ثبت عندي أنك – أيها القائل : اسجدوا– آمر، فأنا تحت طاعة أمرك؛ لأن الشكوك في الأصول تمنع الرد بالفروع فلذلك لم يتعرض لجحد أن الله هو الآمر الخالق الذي ابتدعه فيجيب إلى ما أمره به، والذي يشهد لذلك قوله وهو في مقام الجدال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:82]، وهذا قسم عارف بأن الآمر له هو صاحب الموصوف بالعزة المستحق للقسم به، والشاهد الثاني لما سأل البقاء لأن الإبقاء إلى من كان منه أصل الأيجاد، والإبقاء فرع على

---

(1) مجموع الفتاوى، ج 14، ص 145.

(2) الفنون، أبي الوفاء بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي،(المتوفى: 513هـ)، المحقق حميد فقوسي، من مخطوطة باريس الوحيدة، عدد الأجزاء: 2، ج 2، ص 602.

الإيجاد، فلما ثبت ذلك في حق إبليس وجب عليه الائتمار للحق سبحانه، ترك هذا جميعه وأخلد إلى تعظيم نفسه، وهذه الرذيلة دخلت على المتبعين له من أهل التقليد حيث قالوا ما قالوا وعظموا الأنبياء والصالحين من دون الله تعالى(1).

وعلى كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ بسبب فهمهم الخاطيء للآيات والأحاديث الصحيحة، واستدلالهم بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد تبين في غير موضع أن هؤلاء ليس معهم أدلة عقلية تعارض القرآن وتقوم مقام القرآن فما سلكوه في إثبات التوسل بالنبي ﷺ أو بغيره، طرق فاسدة لا تغني عن أدلة القرآن الدالة على ذلك، فضلاً عن أن تعارضها وهذا أحد ما يبين به فساد ما يذكرونه من تقديم مثل هذه الأدلة على دلالة القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

بعد هذا العرض لمسألة التوسل اتضح لنا أن مسألة التوسل من المسائل التي تتعلق بكل من العقيدة والفقه، ومما يدل على ذلك أن العلماء المصنفين في العقيدة يخصون التوسل بباب يتكلمون فيه عن أحكامه وما يجوز منه، وما لا يجوز، وكذلك يتكلمون عليه في كتب الفقه، كما في كتب الحنابلة، وعلى كل حال لا يؤثر في حكمها كونها من مسائل العقيدة أو الفقه، لأن الواجب على المسلم أن يكون متبعاً لأدلة الكتاب والسنة، ممتثلاً لأحكامهما واقفاً عند حدودهما بغض النظر عن كون المسألة عقدية أو فقهية.

الخلاصة:

إن التوحيد أهم أصل من أصول الدعوة إلى الله، وأن مهمة الرسل الأولى هي تحقيق توحيد العبادة، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما وقعوا في الغلو(2) في الصالحين ود، وسواع، ويغوث، ونسراً، قال ابن عباس رضي الله عنه: (... أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت)(3)، قال ابن حجر: " أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح وكانت الأبناء تبر الآباء فمات رجل منهم فجزع عليه فجعل لا يصبر عنه

---

(1) انظر: الفنون، ج2، ص 602-603.

(2) الغلو في اللغة: الزيادة، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: 900هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى 1419هـ- 1998م،عدد الأجزاء:4، ج1، ص31، الغلو اصطلاحاً: مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده، أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ج1، ص328.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: { ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق}نوح: 23، ج6، ص160، رقم 4920.

فاتخذ مثالاً على صورته، فكلما اشتاق إليه نظره، ثم مات ففعل به كما فعل؛ حتى تتابعوا على ذلك فمات الآباء فقال الأبناء ما اتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم فعبدوها"[1]، ولقد نهانا الرسول ﷺ عن الغلو فقال: (يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[2]، وهوآخر الرسل أرسله الله إلى أناس يقرون بتوحيد الربوبية، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:61]، ولم يخرجهم ذلك من الشرك في العبادة، حيث إنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وغيرهم من الصالحين، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:3]؛ لأجل ذلك بعث الله محمداً ﷺ، ليجدد لهم دين إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق لله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما، وهذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد غيره، كما قال النبي ﷺ: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت)[3]، وهو حق الله على العباد، وهو حق ثابت لله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:130]، وكل من له حس سليم وعقل يميز به، لا يحتاج في الاستدلال إلى أوضاع أهل الكلام والجدل واصطلاحاتهم وطرقهم، فبسببها يقع في شكوك وشُبه يحصل بها الحيرة والضلال والريبة.

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج8، ص669.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: المناسك، ب: قدر حصى الرمي، ج3، ص1008، رقم 3029، حكم الألباني صحيح.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الإيمان، ب: قول النبي ﷺ :" بني...،ج1،ص11،رقم8، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: قول النبي ﷺ بني، ج1، ص45، رقم16.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

لقد توصلت خلال بحثي إلى عديد من النتائج التي يمكن إجمالها بالآتي:

1. الشبهات الأصل فيها الشبه، وهي من الالتباس بين الأمرين، وهي التردد بين الحلال والحرام، فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة، ولم يكن فيه نص ولا إجماع، اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي، فإذا الحقه به صار حلالاً، وقد يكون دليله غير خال عن الاحتمال البين فيكون الورع تركه.

2. إن الشبهة واللبس بمعنى واحد، حيث إن إبليس قد لبس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب اتباع أهوائهم، فحكموا آراءهم في النصوص، أو أخذوا من النصوص ما يوافق هواهم، فزين إبليس لهم أعمالهم، لقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ [الأنفال:48]؛ حتى يُحِلوا ما حرم الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [التوبة: 37]، فمن هنا تكمن أهمية كشف الشبهات؛ لأن كشفها وإزالتها من الفرائض، والرد على المخالفين وعلى المناوئين للإسلام باب من أبواب الجهاد؛ لأنه كما يكون ببذل النفس والمال، يكون باللسان أيضاً؛ لبيان الحجة والبرهان لأقوال أهل الحق في مقاومة أهل الباطل.

3. إن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر.

4. فتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التى اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال، ولا ينجى من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول، وتحكيمه في كل أمور الدين، ظاهره وباطنه، فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله، وكل ما خرج عنها فهو ضلال.

5. الابتداع في دين الله ﷻ هو اعوجاج في نفس صاحبه وفي عمله؛ لأنه اتباع الهوى؛ لذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، وما تشتهيه أنفسهم، وما تمليه عقولهم، ولم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك، وهذا الاعوجاج هو الذي سماه الله زيغاً في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا**

﴿تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[آل عمران: 7]، فإبداع أهل البدع انقطاعهم عن السير في صراط الله المستقيم الذي ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153]، فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السنة، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائرين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع.

6. إن معرفة الحقوق، وإعطاء كل ذي حق حقه أمراً له أهميته ولا سيما حق الله على عباده، تجب العناية به علماً وعملاً؛ لأنه الغاية التي من أجلها خلق الإنسان قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، فالموقف السليم لحق الرسول ﷺ، وعباد الله الصالحين، هو عدم الغلو فيهم مع عدم الجفاء، بل الواجب محبتهم في الله وموالاتهم ولنا أن نطلب منهم الدعاء في حياتهم، ويسمى الاستشفاع بهم، أو التوسل بهم، ولابد أن نفرق بين محبتهم لله ومحبتهم مع الله.

7. إن المقلد جعل كلام الغير قلادة في عنقه بغير علم ولا هدى، وهذا هو التقليد المذموم وخصوصاً بأمور الشرع، لابد أن تكون حجة، وهي اتباع النبي ﷺ،، واتباع الصحابي، واتباع أهل الإجماع، إذاً فلا يسمى اتباع شيء من ذلك تقليداً؛ لأنه اتباع للحجة، لكن قد يسمى تقليداً على وجه المجاز والتوسع، كما البدعة الحسنة.

8. الفرق بين التقليد والاتباع، الاتباع: سلوك طريق المتبع والإتيان بمثل ما أتى به، والتقليد: قبول قول الغير من غير حجة، أو من غير معرفة دليله، فاتباع القول الذي شهد الدليل بصحته، يكون المتبع عاملاً بعلم وعلى بصيرة بصحة مايعمل به، ويكون متبعاً للدليل الشرعي.

9. إن مسألة التوسل من المسائل التي تتعلق بكل من العقيدة والفقه، ومما يدل على ذلك أن العلماء المصنفين في العقيدة يخصون التوسل بباب يتكلمون فيه عن أحكامه وما يجوز منه، وما لا يجوز، وكذلك يتكلمون عليه في كتب الفقه، كما في كتب الحنابلة، وعلى كل حال لا يؤثر في حكمها كونها من مسائل العقيدة أو الفقه، لأن الواجب على المسلم أن يكون متبعاً لأدلة الكتاب والسنة، ممتثلاً لأحكامهما واقفاً عند حدودهما بغض النظر عن كون المسألة عقدية أو فقهية.

10. إن الرسالات السماوية ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الشرع؛ فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباعه؛ فالشرع هو

النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، وهونور الله في أرضه، وعدله بين عباده وحصنه الذي من دخله كان آمنا، وليس المراد به التمييز بين الضار والنافع، ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم، أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم، بل أشر حالاً منها ،فمَن قَبِلَ رسالة الله واستقام عليها، فهو من خير البرية، ومَن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية.

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث، فإن كان ما توصلت إليه صواب فمن الله تعالى فضل عليّ ونعمة فله الحمد على ذلك، وما كان من خطأ فمن نفسي والله بريء منه، وصلى الله على الحبيب محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثانياً: التوصيات

1. حث طلبة العلم على دراسة العقيدة الصحيحة أولاً، ومن ثم دراسة العقائد الأخرى حتى لا يتأثر الدارس بها.
2. التركيز على دعوة التوحيد ونشرها بين الناس؛ لأن أهل البدع والأهواء يروجون لعقيدتهم، ويلبسون على الناس أمر دينهم .
3. نشر معتقد أهل السنة والجماعة لإبطال ما يقوم به أهل الأهواء وخاصة في الشبكة العنكبوتية.
4. الاهتمام بالدراسات العقدية خاصة التي تعتمد على المنهج المقارن؛ وذلك لإبراز الحق.
5. العمل على إيجاد مرجعية معتمدة عند الناس خاصة طلبة العلم للنظر في القضايا المستجدة في الواقع المعاصر؛ لبيان كيفية التعامل معها من وجهة نظر شرعية؛ وذلك لقطع الطريق على المتنطعين والمدعين التدين بدون علم شرعي.
6. على علماء أهل السنة والجماعة الرد على شبهات التوسل، وبيان بطلانها، وفضح أفعالهم، وإقامة الحجج الشرعية عليهم، وذلك بشتى الوسائل .

وفي الختام:

أحمد الله ﷻ على ماهداني ووفقني في هذه الرسالة، سائلة المولى أن يجعلها في ميزان حسناتي وحسنات كل من ساهم في إنجاحها وخروجها إلى النور.

كما أسأل الله ﷻ أن ينفع بها كل طلاب العلم أينما كانوا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العـــامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	23	21، 135
﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	55	152
﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾	56	69
﴿فتكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾	179	160
﴿ وَللهِّ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ...﴾	180	18، 18
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا ...﴾	187	90
﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهَّ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾	194	66
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ...﴾	150	19
الأنفال		
﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾	8	60
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾	9	23، 24، 98، 103،
﴿وَلَوْعَلِمَ اللهُّ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾	23	86
﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾	48	38، 171
﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾	72	24
التوبة		
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي ...﴾	113	27

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾	31	74
﴿ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾	37	171، 38
﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا ...﴾	69	41
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ ...﴾	103	87
﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾	105	168
وقال﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى ...﴾	105	75
﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ ...﴾	115	75
﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ...﴾	118	96
يونس		
﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا ...﴾	18	114
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ ...﴾	218	92
هود		
﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	7	63
﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ ...﴾	46	88
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا ...﴾	88	80
يوسف		
﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي...﴾	97	21

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾	79	113
﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾	94	39
الكهف		
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾	110	63
مريم		
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً. إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ...﴾	41	20
﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾	87	118
طه		
﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾	109	114
الأنبياء		
﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ...﴾	83	21
﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ...﴾	89	22
﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾	52	75
﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	7	74
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	25	70
﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾	28	118
﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾	90	70

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه﴾	104	147
الحج		
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ ...﴾	73	106
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فتكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ ...﴾	46	160، 76
المؤمنون		
﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ...﴾	71	60
﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾	7	70
﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾	57	70
﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ ...﴾	117	153
النور		
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا ...﴾	51	77
الشعراء		
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾	214	125
النمل		
﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ ...﴾	62	108، 90
القصص		
﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى ...﴾	15	103 ،97، 24

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الصافات		
﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا ...﴾	102	167
ص		
﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ...﴾	26	56
﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾	41	98
﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾	76	40
﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	82	168
الزمر		
﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا ...﴾	3	170
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾	30	127
غافر		
﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾	6	61
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ...﴾	60	81، 70
﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾	85	47
فصلت		
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ ...﴾	53	161، 76

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	اسم العلم
76	علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي
97	المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي:
83	محمد بن أحمد بن خلف التجيبي، المعروف بابن الحاج:
94	محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي، شمس الدين، أبو عبد الله، ابن قدامة المقدسي
93	محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم:
51	محمد بن فتّوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر:
99	محمد بن موسى، أبو عبد الله شمس الدين ابن النعمان:
98	معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ:
104	يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني،
72	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر

رابعاً: فهرس المصادر و المراجع

القران الكريم

1. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر ابن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: 840هـ)، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 9.

2. إتحاف الورى بما تيسر من أحكام البدعة والهوى، لأبي العباس، نصر صالح الخولاني، راجعه وقدم له : عبد العزيز بن يحي البرعي، دار التيسير صنعاء، مكتبة الثقافة عدن، عام 1421هـ.

3. الأحاديث الأربعين النووية مع ما زاد عليها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد، عبد الله بن صالح المحسن، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،الطبعة: الثالثة، 1404هـ/1984م، عدد الأجزاء: 1.

4. الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع (المتوفى: 142هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، عدد الأجزاء: 1.

5. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م عدد الأجزاء: 2.

6. الاستغاثة في الرد على البكري، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: عبد الله بن دجين السهلي، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997م، عدد الأجزاء: 2.

7. أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت عدد الأجزاء: 2،

8. أصول السنة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، الناشر: دار المنار – الخرج – السعودية، الطبعة: الأولى، 1411هـ، عدد الأجزاء: 1.

9. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ – 1992م، عدد الأجزاء: 2 .

10. الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) ،دار العلم للملايين ،الطبعة الخامسة عشر – 2002 م

11. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)،تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ – 1991م، عدد الأجزاء:4.

12. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: 2.

13. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، 1419هـ – 1999م، عدد الأجزاء: 2.

14. الإمامة الإلهية بحوث سماحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند، الجزء الرابع، الشيخ قيصر التميمي، الطبعة: الأولى 1433هـ – 2012م، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت–لبنان.

15. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ)، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1999م، عدد الأجزاء:3.

16. الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف، محمد بن إسماعيل ابن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ)، المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر_الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1421هـ_عدد الأجزاء: 1.

17. أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ،عدد الأجزاء: 4.

18. الأوائل، أبو عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود السُّلَمي الجَزَري الحرَّاني (المتوفى: 318هـ)، المحقق: مشعل بن باني الجبرين المطيري، الناشر: دار ابن حزم – لبنان – بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ – 2003م ، عدد الأجزاء: 1.

19. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،عددالأجزاء:4.

20. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: 282هـ)، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: 807 هـ)، المحقق: حسين أحمد صالح الباكري، الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1413 – 1992، عدد الأجزاء:2

21. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)،المحقق: مجموعة من المحققين ،الناشر: دار الهداية

22. تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ–1990م، عدد الأجزاء: 2

23. تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس الملقب بـ"أبابطين" (المتوفى: 1282هـ)، المحقق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، الناشر: مؤسسة الرسالة_الطبعة: الطبعة الأولى 1422هـ -2001م، عدد الأجزاء: 1.

24. التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر بن عبد الرحمن بن محمد بن جديع، الناشر: مكتبة الرشيد- الرياض، الطبعة: عام1411هـ

25. التبرك أنواعه وأحكامه، و هذه مفاهيمنا، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الناشر: إدارة المساجد والمشاريع الخيرية الرياض، الطبعة: الثانية 1422هـ- 2001م، عدد الأجزاء:1.

26. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: 885هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م، عدد الأجزاء: 8.

27. تحرير ألفاظ التنبيه، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، المحقق: عبد الغني الدقر، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، 1408، عدد الأجزاء:1.

28. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: 1353هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت،عدد الأجزاء: 10.

29. تسهيل العقيدة الإسلامية ، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين ، الناشر: دار العصيمي للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية،عدد الأجزاء:1.

30. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.

31. تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: 1415هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،الطبعة: السنة الحادية عشرة، العدد الثاني غرة ذي الحجة، عام 1398هـ/1978م، عدد الأجزاء: 1.

32. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، الناشر: دار القلم دمشق، الطبعة: الثالثة1429هـ - 2008م.

33. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م، عدد الأجزاء: 1

34. تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) المحقق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: مكتبة أضواء السلف ، الطبعة :الثالثة 1415هـ- 1995م ،عدد الأجزاء: 1 .

35. تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ، عددالأجزاء:5.

36. تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي_المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1423 هـ .

37. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى 774هـ، ، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999 م.

38. تفسير القرآن للسمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم،الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية،الطبعة: الأولى، 1418هـ-1997م.

39. تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة، ج1

40. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح ابن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: 488هـ)،المحقق:

زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1415 – 1995، عدد الأجزاء: 1.

41. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: 20هـ)تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ– 2004 م،عدد الأجزاء:2.

42. تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، المحقق: محمد عوامة الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، 1406 – 1986، عدد الأجزاء: 1.

43. تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، الناشر: دار القلم بيرزت لبنان،الطبعة: 1403 هـ ، عدد الأجزاء: 1

44. تلخيص كتاب الاستغاثة، المعروف بالرد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية، التحقيق: أبو عبد الرحمن محمد بن على عجال، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية.

45. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (المتوفى: 377هـ)المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر، عدد الأجزاء: 1.

46. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، عدد الأجزاء: 1.

47. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، عدد الأجزاء: 8.

48. التوسل أنواعه وأحكامه، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، المحقق: محمد عيد العباسي، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الطبعة الأولى 1421 هـ – 2001 م، عدد الأجزاء: 1.

49. التوسل في كتاب الله ﷻ، طلال بن مصطفى عرقسوس، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون، 124 - 1424هـ/2004م ، عدد الأجزاء: 1.

50. التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع، محمد نسيب الرفاعي، مؤسس الدعوة السلفية وخادمها بحلب، الطبعة: الثالثة، 1399هـ ، 1979م.

51. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى : 749هـ)، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر : دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى 1428هـ - 2008م، عدد الأجزاء : 3.

52. التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: 1233هـ)، الناشر: دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1404هـ/ 1984م، عدد الأجزاء: 1.

53. التوقيف على مهمات التعاريف،زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)،الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة،الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م عدد الأجزاء: 1.

54. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م ، عدد الأجزاء: 1.

55. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة:الأولى 1420هـ - 2000 م،عدد الأجزاء:24.

56. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ)عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص،الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م عدد الأجزاء: 4.

57. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن،السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ – 2001م، عدد الأجزاء: 2 .

58. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ- 1994 م، عدد الأجزاء:2.

59. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن- الهند، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى،1271هـ 1952 م.

60. الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني (المتوفى: 390هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى 1426 هـ – 2005 م، عدد الأجزاء: 1.

61. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م، عدد الأجزاء: 3.

62. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: دار الصميعي (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية)، الطبعة: الأولى – 1416 هـ – 1996 م،عدد الأجزاء: 3.

63. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ – 1997م، عدد الأجزاء: 1.

64. جواب في الحلف بغير الله والصلاة إلى القبور، ويليه: فصل في الاستغاثة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الناشر: (طبع في الكويت)، الطبعة: الأولى، 1431هـ، عدد الأجزاء: 1.

65. الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي الكريم، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي(المتوفى:937)، تحقيق: محمد زينهم، الناشر: مكتبة مدبولي، ص 17- 20، ناقلاً كلام السبكي بدون توثيق.

66. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1999 م، عدد الأجزاء: 19.

67. الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، 1401 هـ، عدد الأجزاء: 1.

68. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411، عدد الأجزاء: 1.

69. حقيقه السنة والبدعة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني، الناشر: مطابع الرشيد، عام النشر: 1409 هـ، عدد الأجزاء: 1.

70. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني،(المتوفى: 430هـ)الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، ثم صورتها عدة دور منها: دارالكتاب العربي - بيروت، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،و دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة 1409هـ بدون تحقيق)،عدد الأجزاء:10.

71. حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: الدكتور أحمد بن عطية الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1414هـ – 1993م، عدد الأجزاء: 1

72. الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، عدد الأجزاء: 2.

73. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: د/ محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني، طبع على نفقة السيد: حبيب محمود أحمد، عدد الأجزاء: 2.

74. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1405 هـ، عدد الأجزاء: 7.

75. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، التحقيق: أبو اسحق الحويني الأثري، الناشر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – الخبر، الطبعة: الأولى 1416 هـ – 1996 م، عدد الأجزاء: 6.

76. ذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي، عدد الأجزاء: 1.

77. الرد على الإخنائي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: أحمد بن مونس العنزي، دار النشر: دار الخراز – جدة، الطبعة: الأولى 1420هـ / 2000م، عدد الأجزاء: 1.

78. رسالة في أصول الفقه،أبو علي الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب العكبريّ الحنبلي (المتوفى: 428هـ)، المحقق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر،الناشر: المكتبة المكية – مكة المكرمة،الطبعة: الأولى، 1413هـ-1992م، عددالأجزاء:1.

79. الزهد لأبي داود السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد ابن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم ابن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو ابن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، عدد الأجزاء: 1.

80. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، الناشر: دار الفكر العربي عدد الأجزاء: 10.

81. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: 942هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، عدد الأجزاء:12.

82. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - الممكلة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ / 1992 م، عدد الأجزاء: 14.

83. سنن ابن ماجه ، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي،عدد الأجزاء: 2

84. سنن أبو داود أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزديالسِّ جِسْتاني (المتوفى: 275هـ)،المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد،الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ،عدد الأجزاء: 4.

85. سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)تحقيق وتعليق:،أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)،ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)،وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر،الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م،عدد الأجزاء: 5 أجزاء.

86. سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ)،تحقيق: حسين سليم أسد الداراني،الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 2000 م،عدد الأجزاء: 4

87. السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق :محمد عبد القادر عطا ،الناشر :دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة :الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.

88. سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)،تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة،الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب،الطبعة: الثانية، 1406 – 1986،عدد الأجزاء: 8.

89. السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي (المتوفى: بعد 1352هـ)، المصحح: محمد خليل هراس، الناشر: دار الفكر،عدد الأجزاء: 1.

90. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوطالناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، 1405 هـ / 1985 م، عدد الأجزاء : 25.

91. السير والمغازي، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: 151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى 1398هـ /1978م، عدد الأجزاء: 1.

92. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: 418هـ)تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية،الطبعة: الثامنة، 1423هـ / 2003م، عدد الأجزاء: 9 أجزاء (4 مجلدات) – الجزء 9 تجده منفردا باسم: كرامات الأولياء، ج1.

93. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: 900هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى 1419هـ- 1998مـ،عدد الأجزاء:4

94. شرح الرسالة التدمرية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار أطلس الخضراء، الطبعة: 1425هـ/2004م، عدد الأجزاء:1.

95. شرح السنة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (المتوفى: 329هـ)، عدد الأجزاء: 1.

96. شرح العقيدة الطحاوية، أبو جعفرأحمد بن محمد الأزدي الطحاوي (المتوفى: 321هـ)، حققها وراجعها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثامنة، 1404هـ- 1984 م ، عدد الأجزاء: 1.

97. شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك،إعداد:عبد الرحمن بن صالح السديس، الناشر: دار التدمرية، الطبعة: الثانية، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 1.

98. شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي الشافعي(المتوفى: 756هـ)، المحقق: حسين محمد علي شكري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة، الأولى 1977م.

99. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ)،المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر ،بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 11.

100. شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ، ويليه: الأساليب البدعية في فضل الصحابة وإقناع الشيعة، كلاهما: ليوسف بن إسماعيل النبهاني(المتوفى: 1350هـ)، المحقق: عبد الوارث محمد علي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الثالثة، 1428هـ - 2007م.

101. الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: 744هـ)، تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، الناشر: مؤسسة الريان، بيروت – لبنان.الطبعة: الأولى، 1424هـ / 2003م، عدد الأجزاء: 1.

102. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ – 1987 م، عدد الأجزاء: 6.

103. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ،عدد الأجزاء: 9.

104. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،عددالأجزاء: 5.

105. صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)،بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، 1425هـ – 2004م.

106. الضعفاء، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، المحقق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، الناشر: مكتبة ابن عباس، الطبعة: الأولى 1426هـ/2005مـ، عدد الأجزاء: 1.

107. طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: 526هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: 2.

108. طلبة الطلبة، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (المتوفى: 537هـ)الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1311هـ، عدد الأجزاء:1.

109. العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)،المحقق: محمد

زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة 1426هـ – 2005م.

110. العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى : 458هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه : د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة : الثانية 1410 هـ – 1990 م، عدد الأجزاء : 5.

111. العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، حسين بن غنّام (أو ابن أبي بكر بن غنام) النجدي الأحسائي المالكي (المتوفى: 1225هـ)، الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة: الأولى 1423هـ/2003م،المحقق: محمد بن عبد الله الهبدان_عدد الأجزاء: 1.

112. العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف – الرياض،الطبعة: الثانية 1420هـ / 1999م.

113. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، عدد الأجزاء: 25 ×12.

114. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: 8، ج5، ص314، و الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: مسعد عبد الحميد السعدني،الناشر: دار الطلائع، عدد الأجزاء:1.

115. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت_تاريخ النشر: 1418 هـ، عدد الأجزاء: 4.

116. غاية الأماني في الرد على النبهاني ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: 1342هـ)،المحقق: أبو عبد الله الداني بن منير آل

زهوي،الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الأولى، 1422هـ-2001م،عدد الأجزاء: 2.

117. فتاوى الرملي، شهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشافعي (المتوفى: 957هـ)، جمعها: ابنه، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: 1004هـ)،الناشر: المكتبة الإسلامية، عدد الأجزاء: 4.

118. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379، التحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: 13.

119. الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، حققه ورتبه: أبو مصعب، محمد صبحي بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن، عدد الأجزاء: 12.

120. فتوح الشام، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: 207هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417هـ - 1997م، عدد الأجزاء: 2.

121. الفرج بعد الشدة، للقاضي أبي على المحسن بن أبي القاسم التنوخي، (المتوفى: 84 3هـ)، الأصل مأخوذ عن نسخة خطية محفوظة، بدار الكتب المصرية، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثانية-1415 هـ - 1994م، عدد الأجزاء: 2

122. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: 429هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1977، عدد الأجزاء:1.

123. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، 1422هـ - 2001 م، عدد الأجزاء: 3.

124. الفضائل المحمديه، يوسف بن إسماعيل النبهاني، (المتوفى: 1932م)، التحقيق: محمود فاخوري، الناشر: دار القلم العربي –حلب، الطبعة: الأولى، 1414هـ – 1994م

125. فضل الصلاة على النبي ، إسماعيل بن إسحاق القاضي الأزدي الجهضمي (المتوفى: 282هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1977، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء:1.

126. فقه الأدعية والأذكار،عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: الكويت ، الطبعة: الثانية، 1423هـ/2003م ، عدد الأجزاء: 3.

127. الفقيه و المتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة: الثانية، 1421هـ، عدد الأجزاء: 2.

128. الفنون، أبي الوفاء بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي،(المتوفى: 513هـ)، المحقق حميد فقوسي، من مخطوطة باريس الوحيدة، عدد الأجزاء: 2.

129. فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: 243هـ)، المحقق: حسين القوتلي، الناشر: دار الكندي، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الثانية، 1398، عدد الأجزاء: 1.

130. الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي التميمي الحنبلي (المتوفى: 1225هـ)، المحقق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، تقريظ: الشيخ العلامة الجليل صالح بن إبراهيم البليهي_الناشر: دار العاصمة، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: 1.

131. الفوائد والأخبار والحكايات عن الشافعي وحاتم الأصم ومعروف الكرخي وغيرهم، الْحَسَن بن الْحُسَيْن بن حمكان أَبُو عَلِيّ الهمذاني (المتوفى: 405هـ)، المحقق: الدكتور عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى 1422 هـ – 2001 م، عدد الأجزاء: 1.

132. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973 م، عدد الأجزاء: 1 .

133. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ

134. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: مكتبة الفرقان – عجمان، الطبعة: الأولى (لمكتبة الفرقان) 1422هـ - 2001هـ، عدد الأجزاء: 1 .

135. قاعدة في المحبة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)،المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر،عدد الأجزاء: 1.

136. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، عدد الأجزاء: 1.

137. قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)ن المحقق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1999م، عدد الأجزاء: 2.

138. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)،راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، 1414 هـ - 1991 م، عدد الأجزاء: 2.

139. كتاب دليل البحث والتقويم التربوي أحمدالخطيب وآخرون ،طبعة1985م.

140. كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ، عدد الأجزاء: 1.

141. كشف الكربة في وصف أهل الغربة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، التحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية، 1424 هـ – 2003 م، عدد الأجزاء: 1.

142. كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي، التبالي، العسيري، النجدي (المتوفى : 1349هـ)، الناشر : أضواء السلف، الطبعة : الأولى، عدد الأجزاء:1.

143. كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس،عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: 1285هـ)،المحقق: عبدالعزيز بن عبدالله الزير آل حمد ،الناشر: دارا العاصمة للنشروالتوزيع ،الطبعة: 1193هـ – 1285هـ، عدد الأجزاء: 1.

144. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)،المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، عدد الأجزاء: 1.

145. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ، عدد الأجزاء:15.

146. لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1390هـ /1971م، عدد الأجزاء:7

147. ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: 243هـ)، المحقق: حسين القوتلي الناشر: دار الكندي، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الثانية، 1398، عدد الأجزاء: 1.

148. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ)،الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ- 2000م، عدد الأجزاء:1 .

149. المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : 333هـ)، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر : جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، تاريخ النشر : 1419هـ، عدد الأجزاء : 10.

150. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي – حلب، الطبعة: الأولى، 1396هـ، عدد الأجزاء: 3.

151. مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد الأجزاء: 88.

152. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م، عدد الأجزاء: 10.

153. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م.

154. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، عدد الأجزاء: 30 .

155. مجموعة الرسائل والمسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـ)علق عليه : السيد محمد رشيد رضا، الناشر : لجنة التراث العربي، عدد الأجزاء : 5 أجزاء في مجلدين.

156. محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، عبد الرءوف محمد عثمان ، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة – الرياض، الطبعة: الأولى، 1414هـ ، عدد الصفحات: 330، عدد الأجزاء: 1.

157. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبدالشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

158. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر:دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م،عدد الأجزاء:11.

159. مختار الصحاح زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(المتوفى: 666هـ)،المحقق: يوسف الشيخ محمد،الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا،الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م،عدد الأجزاء: 1

160. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م عدد الأجزاء:1.

161. مختص معارج القبول، أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة، الناشر : مكتبة الكوثر – الرياض، الطبعة : الخامسة ، 1418 هـ، عدد الأجزاء : 1.

162. مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: 1422هـ)، الطبعة: الثانية عشر، 1418 هـ - 1997 م، عدد الأجزاء: 1.

163. مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الثانية 1412هـ-1991م، عدد الأجزاء:1

164. المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: 803هـ)، المحقق: د. محمد مظهربقا، الناشر: جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة، عدد الأجزاء: 1.

165. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م_عدد الأجزاء: 5

166. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416هـ - 1996م عدد الأجزاء: 2.

167. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416هـ -1996م عدد الأجزاء: 2 .

168. المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: 737هـ)، الناشر: دار التراث، عدد الأجزاء: 4.

169. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: 74هـ)الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، 1423 هـ،عدد الأجزاء: 27.

170. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1411 - 1990، عدد الأجزاء: 4.

171. مسند أبو يعلى الموصلي_أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ)،المحقق: حسين سليم أسد،الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق،الطبعة: الأولى، 1404 – 1984،عدد الأجزاء: 13.

172. مسند البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9)،وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: 18

173. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، عدد الأجزاء: 2.

174. مصباح الزجاجه في فوائد صلاة الحاجة، عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني، (المتوفى: 1413هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: الثانية، 1429 هـ – 2008م .

175. مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام، محمد بن موسى بن النعمان المزالي المراكشي(المتوفى: 6683683هـ)، المحقق: حسين محمد علي شكري، الناشر: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

176. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت،عدد الأجزاء: 2 (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).

177. المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: 709هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى 1423هـ – 2003 م، عدد الأجزاء: 1.

178. معارج القبول بشرح سلم الوصول، عمر، الناشر : دار ابن القيم – الدمام، الطبعة : الأولى، 1410هـ – 1990 م، عدد الأجزاء : 3.

179. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ)، الناشر: المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى 1351 هـ - 1932 م.

180. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت_الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م، عدد الأجزاء:5.

181. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ قم،الطبعة: الأولى، 1412هـ،عدد الأجزاء:1.

182. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، دار الدعوة.

183. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004 م،عدد الأجزاء: 1.

184. المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (المتوفى: 277هـ)، المحقق: أكرم ضياء العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، 1401 هـ- 1981 م_عدد الأجزاء: 3.

185. المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، عدد الأجزاء: 10.

186. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الرازي (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ، ج 7، ص 156- 166.

187. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – 1412 هـ .

188. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، 1426هـ – 2005م، عدد الأجزاء: 2.

189. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)،المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر،عام النشر: 1399هـ – 1979م،عدد الأجزاء: 6.

190. المقدمات الممهدات، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 520هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1408 هـ – 1988 م، عدد الأجزاء: 3

191. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: 3.

192. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)،المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،الطبعة: الأولى، 1406 هـ – 1986 م، عدد المجلدات: 9.

193. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392، عدد الأجزاء: 18 .

194. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م،عدد الأجزاء: 7.

195. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة– مصر،عدد الأجزاء: 3.

196. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، 1382هـ – 1963 م، عدد الأجزاء: 4.

197. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: 5.

198. نونية ابن القيم، متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1417هـ، عدد الأجزاء: 1.

199. الواسطة بين الحق والخلق، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)،المحقق: محمد بن جميل زينو، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: 1.

200. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 1.

201. الورع، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، رواية: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي (المتوفى: 275هـ)، المحقق: سمير بن أمين الزهيري، الناشر: دار الصميعي – الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ – 1997م، عدد الأجزاء: 1.

202. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي (المتوفى: 911هـ)الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1419، عدد الأجزاء: 4.

خامساً: فهرس الموضوعات

ملخص الدراسة باللغة العربية

إن التوحيد أهم أصل من أصول الدعوة إلى الله، وأن مهمة الرسل الأولى هي تحقيق توحيد العبادة، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما وقعوا في الغلو في الصالحين ود، وسواع، ويغوث، ونسراً، حيث إن أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح عليه السلام، وفي عهده كانت الأبناء تبر الآباء، فمات رجل منهم فجزع عليه، فجعل لا يصبر عنه فاتخذ مثالاً على صورته، فكلما اشتاق إليه نظره، ثم مات ففُعل به كما فعل؛ حتى تتابعوا على ذلك فمات الآباء فقال الأبناء ما اتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم فعبدوها؛ فكان السبب في ذلك الغلو، الذي نهانا عنه رسولنا محمد ﷺ ، وهو آخر الرسل أرسله الله إلى أناس يقرون بتوحيد الربوبية، ولم يخرجهم ذلك من الشرك في العبادة، حيث إنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده، وهذا التقرب محض حق لله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما، وهو حق الله على العباد، وهو حق ثابت لله وحده لا شريك له، وكل من له حس سليم وعقل يميز به، لا يحتاج في الاستدلال إلى أوضاع أهل الكلام والجدل الذي يقع بسببها في شكوك وشُبه يحصل بها الحيرة والضلال والريبة.

ABSTRACT

The monotheism is the most important asset of the call for Allah.

The first task of the prophets is to achieve the monotheism of the worship. The first of them was Noah, peace upon him, sent by Allah to his people when they caught in the hyperbole of the righteous persons; Wade, Suaa, Yaghuth and Nasra. The first idolatry occurred at the era of Noah, peace upon him, where the sons honored their parents. One's father died and his son couldn't stand up his death, so he sculpted his image to look at when he misses him .Then, the son died and his sons did the same. The next generation thought that their parents had those sculptures as Gods and they began to worship them. This is a result of hyperbole which our prophet Mohammad, peace and prayer upon him, forbade us from. Allah sent his last messenger to people admitting the monotheism although they fell in the trap of polytheism as they put some intermediates between them and Allah. Their excuse was that they would help them to be closer to Allah and they need their intercession to him.

Actually, there is no need for any intermediate and the worship is a pure right to Allah and it can't be for neither an angle or a prophet nor another creature and this is the right of Allah to mankind. This right is inalienable right to Allah Alone with no partner.

This monotheism has to be accepted by everyone who has a sense of sound and has a mind to distinguish the things. One even doesn't need in his deduction, to monotheism, to the methods of the people of talking and arguing. On the contrary, they can lead him to fell into doubts and suspicions which cause confusion and delusion.